C



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٥-٢٩٢١

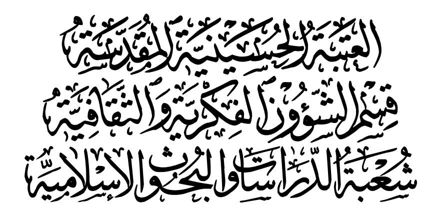
مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara
رقم تصنيف LC:	BP 36.5 .G4 2016
المؤلف الشخصي:	الغرابي، مها نادر عبد محسن
العنوان:	التربية عند أئمة أهل البيت عليهم السلام: دراسة فلسفية تحليلية
بيان المسؤولية:	تأليف مها نادر عبد محسن الغرابي
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م
الوصف المادي:	[٣٨٤] صفحة
سلسلة النشر:	قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية (١٩٦)
تبصرة ببليوغرافية:	يحتوي على هوامش - لائحة مصادر (الصفحات ٣٦١- ٣٧٠)
مصطلح موضوعي:	اهل بيت النبي - نظرية حول التربية
مصطلح موضوعي:	اهل بيت النبي - اخلاق
مصطلح موضوعي:	التربية - فلسفة
مصطلح موضوعي:	التربية الاسلامية
مصطلح موضوعي:	الاخلاق الاسلامية - الشيعة

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



تأليف

مها نادر عبد محسن الغرابي



طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة



{ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }

صدق الله العلي العظيم

البينة: ٧

الإهداء

إلى من كلل العرق جبينه..وشققت الأيام يديه

إلى من علمني أنّ الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار

إلى والدي أطال الله بقاءه، وألبسه ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببره ورد جميله، أهدي ثمرة من ثمار غرسه.

إلى من علمتني الصمود مهما تبدلت الظروف أمي.

إلى رفيق دربي جزاه الله خير الجزاء.

إلى أولادي الذين بهم أحيا ولأجلهم أفنى: أزهر وحسين.

المؤلفة

مقدمة اللجنة العلمية

تكوين الشخصية من خلال الانماء العقلي والسلوكي من أهم ما يتطلع المصلحون والمربون الذين واظبوا وثابروا على تحديد سلوكيات الانسان بالاتجاه الايجابي ونزع أسباب التراجع والتردي في الشخصية السلوكية، وباتت مسؤولية التقويم لأفعال الإنسان من أهم طموحات التربويين الحكاء على مدى التاريخ الانساني وتأتي الرسالات السماوية في أولويات هذه الجهود حيث سعت الى تمتين الحالة التربوية بالاتجاهات المعهودة، أي باتجاه الطاعة العبادية لله تعالى، وباتجاه تعزيز العلاقة بين الآخرين والتأكيد على التعايش بين الجميع.

من هنا ينطلق أئمة أهل البيت عليهم السلام في جهودهم التربوية من أجل التكامل الذي يحرزه الانسان من خلال اتباع ارشاداتهم التي ما فتئت توصي بالتماسك والترابط من خلال علاقات قويمة تُبن بين الجميع، والملاحظ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام أكدوا في منهجهم التربوي على تعزيز العلاقة بين الله وبين الانسان تلك العلاقة التي تبنتها مشاريعهم التربوية التي أكدت أن الانسان عندما ينطلق بعلاقة ممتازة تربطه بالله تعالى سيجد من نفسه شخصية قوية متماسكة غير منهارة أمام الأهواء والشهوات، أي حينما يتخطى الانسان بإرادته كل شهواته من أجل تعزيز الترابط بينه وبين الله تعالى سيشعر حينذاك بنشوة

الانتصار، ويكتشف في تقسيم قوة الارادة وثبات العزيز حتى اذا تكاملت لديه هذه الصفات انصلقت شخصية بشكل لم يدع لتداعيات الحياة أن تؤثر على سلوكه وشخصيته، وبذلك فسيحصل على شخصية نموذجية تخطت الصعاب، وتحدت أسباب الفشل والتراجع، هذا هو التكامل الذي سعى أهل البيت عليهم السلام لاحرازه في شخصية الانسان وبذلك ستكشف البحوث العلمية كم سبق الأئمة عليهم السلام المنئرين الحكماء في تقويم الشخصية السلوكية وتعزيزها، بل حتى البحوث العلمية التي يتداولها اليوم الباحثون سيجدون ما قدمه الأئمة عليهم السلام من جهود مبكرة في اكتشاف الطرق الحديثة لتقويم الشخصية وتربيتها، وهذا ما سنجده في المبحث الموسوم "التربية عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، دراسة فلسفية تحليلية" للباحثة مها نادر عبد، فقد وجدت معالم التربية الحديثة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام من خلال مشاريعهم التربوية الناضجة التي أذهلت الباحثين، لذا تُعد هذه الدراسة من المشاريع المهمة التي سعت الى تقديم قراءة مقارنة بين نظريات أهل البيت عليهم السلام التربوية وبين النظريات المعاصرة.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

المقدمة

إنّ أهل البيت (عليهم السلام) هم معدن النبوة، وأعلام الهدى، وأهل البلاغة والفصاحة، وحديثهم هو قبسٌ من نور الكلام الإلهي، وإضاءةٌ من هدي المنطق النبويّ، وشعلةٌ وضّاءة في سبيل هداية الأُمّة، تتعدّد مسارات إشعاعها لتشمل نواحي الفكر والعقيدة المختلفة، وتغطّي جوانب الحياة كافة. ولقد بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام جهوداً حثيثة في سبيل تصحيح جوانب الإنحراف الطارئة في حياة الأمة المختلفة، وإصلاح ما فسد من أُمور المسلمين بعد رحيل جدّهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فوقفوا بوجه التيارات المنحرفة، ودافعوا عن معالم الدين الحنيف، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، إلى قيام يوم الدين.

ولقد اعتني أهل البيت (عليهم السلام) بتعليم أصحابهم وتلامذتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة لتجسيد العقيدة والأخلاق والأحكام والمفهومات الإسلامية سلوكاً في واقع الحياة، وبناء الإنسان المسلم وتربيته على وفق كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لإيجاد شخصيات إسلامية تحمل منار

الهداية والدعوة إلى الإسلام فتشع على الآخرين العلم والعمل. وتقودهم نحو الإلتزام، لتكوين تيار إسلامي في المجتمع بعد أن طرأت عليه عوامل التخريب والتحريف، والقيام بمهمة التغيير والإصلاح الاجتماعي. فكان الأئمة (عليهم السلام) يعيشونه في حياتهم، هو محاولة القضاء على الإنحراف الموجود في تجربة المجتمع الإسلامي، وإرجاعها إلى وضعها الطبيعي، وذلك بإعداد طويل المدى، وتهيئة للظروف الموضوعية التي تتناسب وتتفق مع ذلك. ونشاهد هذه الحقيقة متجسدة في سلوكهم وأخلاقهم (عليهم السلام) كما نشاهد هذا الاهتمام والإتجاه واضحاً في وصاياهم وتربيتهم لتلامذتهم وأصحابهم. فأخذ الأئمة المعصمون (عليهم السلام) يعملون على تربية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه ايجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشريعة، وتبلورت سيرة الأئمة الراشدين (عليهم السلام) في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم.

فإنّ سيرة أهل البيت (عليهم السلام) لم تترك حالاً أو واقعة أو موقفاً إلاّ وتجد سيرتهم (عليهم السلام) حكمة ورأي الشريعة فيه حتى ورد عنهم (عليهم السلام): " ما من واقعة إلاّ والله فيها حكم " فأهل البيت (عليهم السلام) هم بعث العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقلا ورعاية لا عقل سماع ورواية، فإنّ رواة العلم كُثُر ورعاته قلّة، وهم المعصومون من كلّ دنس ورجس، المفضَّلون على الجنّ والإِنس كافّة، الذين ينتجز الموعود يوم المآب بإنجازهم، ولا يُجاز الصراط إلاّ بجوازهم، فهم النمرقة

الوسطى، من تقدّمهم مرق، ومن تأخّر عنهم زهق، ومن لزمهم لحق،. وهم خاصّة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وصفوة عترته الذين قرن الله معرفتهم بمعرفته، وجعل محبّتهم في الوجوب كمحبّته. وهم دعائم الإسلام، وأئمّة الأَنام، وحجج المهيمن السلام، سراج في كلّ ظلام، ودرج إلى كلّ مرام. (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وقد وظّفت المنهج التحليلي في دراستي لكل فصول الدراسة، وقد جاءت مقسمة على مقدمة ومدخل عام وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

والمدخل العام دارساً، التربية لغة واصطلاحاً، والدراسات السابقة، والتربية وعلاقتها بالفلسفة وعلم النفس، والتعريف بمدرسة أهل البيت. أما الفصل الأول والذي كان بعنوان " أقسام التربية " فقد أخذ، التربية في القرآن، والتربية في السنة. أما الفصل الثاني والذي كان بعنوان " السلوك الإنساني وأثر التربية "اقسام السلوك، السلوك مقوماته وشروطه، العوامل المؤثرة على السلوك. وأما الفصل الثالث والذي كان بعنوان " مدرسة آل البيت في التربية " فقد بحث، وسائل التربية عند أئمة أهل البيت، والإخاء في الإسلام، والأمراض النفسية وطرائق كبحها في مدرسة آل البيت ومنها العجب، التكبر، العصبية، وما يتعلق بها، وانتهت الدراسة بخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

وأخيراً أتأسف عن كل نقص أو تقصير في الدراسة فالنقص والتقصير هما من السمات الغالبة على الجهد البشري، وأنّ العصمة والكمال لله وحده، وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أقدم شكري الخالص إلى كلّ من قدّم للدراسة ولو بكلمة في سبيل تمامها، والله ولي التوفيق.



المدخل العام

١- الدراسات السابقة

٢- التربية وعلاقتها بالفلسفة وعلم النفس

٣- التعريف بمدرسة فكر أهل البيت (عليهم السلام)

أولاً. الدراسات السابقة

نـدوّن في هـذا المبحـث الدراسـات الـسابقة للافـادة مما قدمـه الآخـرون في الموضوع نفسه، إذ إنّ الدراسات والبحوث تراكم علمي علـى امتـداد التـأريخ إلى الوقـت الحاضـر، تـبنى بأُسـلوب منطقـي، تـدرج فكـرة، أو تتبـع قـضية اجتماعيـة وتربوية، أو نسج فكر، أو نظام تعليمي.

حيث تم مسح المكتبات - وكذلك الشبكة الدوليـة للمعلومـات (الانترنـت) بحيث لم يعثر على دراسة موسومة بهذا العنوان:

"التربية عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) دراسة فلسفية تحليلية".

وللأمانة العلمية سـوف أذكـر أهـم الدراسـات الـسابقة أيـضاً علـى دراسـتي هـذه، أعـني المؤلفـات الـتي درس باحثوهـا فيهـا التربيـة. وسـوف نعـرض بعـض الدراسات السابقة، وإنّ عرض الدراسـات يكـون بحسب التسلـسل الـزمني وهـي الآتي:

١- المنهج التربوي عند الإمام الكاظم عليه السلام

لسماحة الدكتور السيد مُحَمَّد بحر العلوم في سنة ١٩٩١ وهو بحث أعد للمؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام في دورته الثالثة عام ١٤٠٩هـ المخصصة بذكرى الإمام موسى بن جعفر الكاظم. يحوي المبحث:

مدخلاً يتحدث به عن ملامح شخصية الإمام الكاظم عليه السلام.

الفصل الأول: يتحدث عن البناء التربوي الإنساني.

الفصل الثاني: يتضمن التطبيق العملي للبناء التربوي عند الإمام الكاظم عليه السلام وهي الآتي:

١- الأُسلوب الإيماني

٢- تشخيص المشكلة ومعالجتها

٣- المودة الاجتماعية

٤- العزة في المسألة

٥- التربية الإيمانية.

٢- القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام

وهي أطروحة دكتوراه في فلسفة التربية، قدمها (حاتم جاسم عزيز السعدي) إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) في جامعة بغداد، بإشراف الدكتور مقداد إسماعيل الدباغ، في سنة ٢٠٠٥م. تتكون الأطروحة من خمسة فصول وهي:

الفصل الأول: مشكلة البحث وأهميته

الفصل الثاني: جوانب نظرية

الفصل الثالث: الدراسات السابقة

الفصل الرابع: منهج البحث

الفصل الخامس: عرض النتائج وتفسيرها

وكانت أهمية البحث: إذ تعد القيم من المفهومات الأساس في ميادين الحياة جميعها، وهي تمس العلاقات الإنسانية بصورها كافة، إذْ إنّها ضرورة اجتماعية وهي معايير وأهداف لا بد أن نجدها في كل مجتمع منظم سواء كان متأخراً أو متقدماً، فهي تتغلغل في نفوس الأفراد على شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري، وفي المواقف التي تتطلب إرتباط هؤلاء الأفراد، ولا يمكن أن نفرضها على الأفراد وإنّما تكتسب من خلال تأثير المنزل والمدرسة والمسجد ومن خلال الأصدقاء والأقران والقادة خارج المنزل. وتؤثر القيم في بناء المجتمع ووحدة تماسكه، إذ يؤدي اتساقها في نظام قيمي موحد يجمع عليه أفراد المجتمع إلى تماسك بنية ذلك المجتمع، فإذا ما كانت تلك القيم متسقة ومشتركة بين جميع أعضائه، آدت إلى تماسك بنية ذلك المجتمع، أما إذا كانت غير واضحة في نظام قيمي موحد، أدت إلى صراع بين أفراد ذلك المجتمع، وساد التفكك والضعف، فالنظام القيمي الموحد الواضح هو الذي يسهل عملية تضامن المجتمع، ويزيد من قوة تماسكه، لأنّه يعتمد الأهداف والقيم المشتركة بين أفراده.

لذا فإنّ المجتمعات بحاجة إلى منظومة قيم تستند إليها عندما تقوم بالتفاعل الإيجابي مع بعضها بعض ويستلزم هذا التشابه في كل مجتمع، إذ تستطيع هذه القيم أن تكفل وتضمن قيم المجتمع وأهدافه ويعتمد ذلك سعة قبول المجتمعات لمثل هذه

القيم أو رفضها إذْ إنَّ قبولهم لها يؤدي من ثمّ إلى وحدة بناء المجتمع وتماسكه ورفضها سيؤدي إلى تفككه وانحلاله.

النتائج التي توصل إليها الباحث: يرى أنّ بذر القيم التربوية التي هي قوام منهج الإسلام الشامل في نفوس الأفراد هي الضمان لتحقيق أهداف التربية الإسلامية، ومن هنا فتحديد الأهداف لا بد أن يراعي صفة الشمول التي تكتسبها تلك القيم، إذ تتكامل في نواحيها العقدية والروحية والأخلاقية كلها وتتمثل فيها العلاقات كلها من إذ علاقة الإنسان بربه ونفسه وغيره، وإلاّ في غياب هذا التكامل، ستذهب كل الجهود المبذولة هدراً وتنتهي إلى بناء مهزوز وطريق مسدود. إنّ القيم التربوية ترتبط ارتباطاً صميمياً بثقافة الأمة، لذا فإنّ فصل القيم التربوية الإسلامية عن إطارها الثقافي السليم، ودمجها في مناخ من الازدواجية الثقافية، أو تركها تحت طائلة الغزو الثقافي من خلال التأثر بالقيم الغربية، يعرضها للذوبان وينزع منها الفعالية في صياغة الشخصية الإسلامية القوية وصنع الواقع الحضاري السليم.

إنّ المصدر الذي استقي منه الإمام الحسين عليه السلام قيمه هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي قام عليها النظام التربوي الإسلامي، إذ العقل لوحده والذي تستند إليه المذاهب المادية الوضعية في ذلك ليس مبرأ من الهوى، فضلاً عن كونه محدود الآفاق في علمه بحقيقة الإنسان والحياة، وارتباط القيم بالدين قائم على أساسين هما: الأول يتعلق بصحة والقيم الصادرة من الدين وصدقها وملاءمتها للفطرة والأساس الثاني: يتعلق بالشحنة القوية التي تتحرك بها القيم عبر النفوس، والتي تستمد قوامها من مبادئ الدين.

إنّ القيم التربوية مرتبطة الواحدة بالأخرى، إذ ليس من الصواب الاهتمام بقيمة وإهمال القيم الأخرى وذلك لأنّ كل واحدة منها تكمل الأخرى، وهذا التداخل فيما بينها يجعلها تشكل كتلة واحدة فالعدل بحاجة إلى الشجاعة والحكمة والعز، والكرامة لا بد لها من التضحية والشجاعة والتي قد يكون طريقها الشهادة وهكذا تتداخل هذه القيم فيما بينها لتشكل الإنسان المؤمن، الذي هو هدف التربية الإسلامية. إنّ أول شيء تثمره القيم التربوية الإسلامية في البناء الشخصي للإنسان المسلم هو تقوية صلته بالله عزّ وجلّ، إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن، في حركاته وسكناته كلها، فهو لا يقدم على شيء إلاّ وهو يراعي حرمة الله. ومعنى ذلك إنّ المسلم في علاقته بربه، يستشعر الخشية والخوف منه، في الوقت نفسه الذي يتوجه إليه بالرجاء. وهذا ما لاحظناه في تأكيدات الإمام الحسين عليه السلام فهو يستحضر الله في حركاته وسكناته كلها وما من عمل يقوم به أو يدعو له إلاّ وكان الذكر الرباني حاضراً فيه. ومن ذلك نستنتج أنّ نظام القيم التربوية في الإسلام يجمع شتات الإنسان ويركز طاقاته وإمكانياته في مركز واحد هو الولاء لله عزّ وجلّ وابتغاء وجهه الكريم.

ما لاحظه الباحث في ضوء نتائج البحث أنّ المنهج التربوي الإسلامي في فكر الإمام الحسين عليه السلام كيان مترابط الأجزاء تتشابك فيه العقيدة مع العبادات وهذه مع الأخلاق، والكل يعطينا تلك الثمرة الطيبة التي هي الإنسان المسلم، وبالنتيجة المجتمع الإسلامي الفاضل فمثلاً الزكاة عبادة اجتماعية، لا يخفى دورها في دعم بنيان المجتمع الاجتماعي والاقتصادي من خلال ما تزود به بيت مال المسلمين، ومن خلال معاني المحبة والتكافل التي تبثها بين الأغنياء والفقراء، وقس على ذلك سائر الفرائض.

٣- الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

وهي أطروحة دكتوراه في فلسفة التربية الإسلامية وطرائق تدريسها، مقدمة إلى مجلس جامعة سانت كلمنس، للطالب (ضياء جواد كاظم الموسوي)، بإشراف الدكتور كفاح يحي صالح أحمد العسكري، في سنة ٢٠٠٨، واختص البحث بالفكر التربوي عند الإمام الصادق (عليه السلام) الذي استخلص واستنتج الفكر التربوي من أقوال ونصح وحكم. وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول: شخصية الإمام الصادق (عليه السلام).

الفصل الثاني: التعرف على البيئة التي عاش فيها الإمام الصادق (عليه السلام).

الفصل الثالث: الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

والنتائج التي توصل إليها الباحث: إذ امتاز عصر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بمزايا عدة منها قلة الضغوط السياسية من الحكام وذلك لأنّه عاش في فترة ضعف كل من حكومتي بني أمية وبني العباس لانهيار الأولى وانتفاء استقرار الثانية، ولقد أفاد الإمام الصادق (عليه السلام) من هذه الفرصة الذهبية لأجل بث المعارف الإسلامية الأصيلة ومنها: تلاقي الحضارات المختلفة وتوارد الآراء الفلسفية، وتضارب الفرق والاديان، وشبهها كالمانوية والمزدكية، مما استوجد عرض بعض الشبهات في الساحة ونشر أفكار الملحدين والزنادقة وبروز الدور الأكبر للإمام (عليه السلام) لمواجهتهم بالسلاح العلمي المتفوق ومنها قيام النهضة العلمية في المراكز الدينية، وخاصة في المدينة المنورة، ولقد أفاد الإمام الصادق (عليه السلام) من هذه الفرصة كمال الافادة وتمكن من أنجاز مشاريع عدة منها:

١- مجابهة التيار الملحد ومقارعته بالحجج العلمية ولو لا الإمام الصادق (عليه السلام) لربما تمكن هؤلاء من إشاعة أجواء الكفر والإلحاد والزندقة في قلب الإسلام، والإستيلاء على قلوب بسطاء الناس وجهالهم.

٢- مقابلة الإنحراف الفكري السائد في أوساط المسلمين وقد هيمن عليه بفكره لتفوقه ونور علمه.

٣- مواجهة الإنحراف المتمثل بظاهرة الغلو، وطرد المغالين وإبعادهم عن الوسط الإسلامي.

٤- تربية جيل من العلماء في مجالات شتى.

وللأمانة العلمية أذكر أنّ الدراسات السابقة على دراستي التي عالجت التربية عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) اختلفت عن دراستي فلكل دراسة قيمتها العلمية ومميزاتها الخاصة، لقد أخذت الدراسات السابقة التربية كما وردت عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من دون الذهاب إلى تحليلها وربطها بأفكار الفلاسفة، أما أنا فحاولت أن أربط دراستي للتربية عندهم بأفكار الفلاسفة وخصوصاً المسلمين مثل الكندي، الفارابي، ابن سينا، الغزالي، اخوان الصفا أينما ورد التقارب والالتقاء بينهم، وكذلك درست اراء علماء النفس في ذلك.

ثانياً. التربية وعلاقتها بالفلسفة وعلم النفس

أ. فلسفة التربية

توجد علاقة وثيقة بين الفلسفة والتربية من خلال تفحص بطون كتب تأريخ التربية، فالتربية ليست إلاّ وليدة للمذاهب الفلسفية، وأنّ رجال التربية هم رجال الفلسفة[1].

وأنّ العلاقة بين الفلسفة والتربية علاقة قديمة. وسيلحظ في الوقت نفسه أنّ الأثر الذي تتركه إحداهما في الأخرى يصعد إلى تلك البدايات التأريخية فقد ظهرت صور العلاقة بين الفلسفة والتربية في أعمال الفلاسفة من أمثال: -

- السفسطائيون: لقد ربط (السفسطائيون) لأول مرة في التأريخ بين الفلسفة والتربية، أنّ فلسفتهم جاءت تعبيراً قوياً عن نزعتهم الفردية. وكان الحاصل من هذه النزعة الفلسفية، نظرية في التربية ترجح أهمية الاكتساب على الفطرة الموروثة. ومن ثم تأكيدهم أنّ الفضيلة مكتسبة، والمعرفة هي الأخرى بدورها مكتسبة. ومرجع كل ذلك إلى قدرة الفرد على التعلم.

(١) أبوشعيرة، خالد محمد: المدخل إلى علم التربية، عمان ـ الأردن، ط١،٢٠١٠، ص٩٢.

- وجاء الفيلسوف (سقراط) فأحدث تحويلاً في وظيفة الفلسفة فبعد أن كانت منصرفة إلى البحث في مشكلات الطبيعة طالب سقراط من خلال اعلانه الفلسفي "أعرف نفسك بنفسك" بتوجيه بحثها نحو الإنسان(١).

- (افلاطون) الذي وضع في جمهوريته نظرية تربوية كاملة وكان من أوضح الفلاسفة تعبيراً عن العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والتربية(٢).

- (ابن سينا) يمثل صورة صادقة لإلتقاء الفلسفة بالتربية، فرجل التربية والفيلسوف يتعرضان للمشكلات نفسها، مشكلة الحق، والخير، وطبيعة العالم، ومعنى المعرفة، والطبيعة الإنسانية.... الخ(٣).

- كذلك آراء (روسو) التربوية مستمدة من فلسفة الطبيعة التي أدت بدورها إلى قيام الحركه الطبيعية في التربية.

- (هربرت سبنسر) فلقد وضح العلاقة بين الفلسفة والتربية بقوله " إنّ التربية الحقّ لاتكون عملية إلاّ عن طريق الفلسفة الحقّ"(٤).

- (جون ديوي) قال يمكن وصف الفلسفة بأنّها النظرية العامة للتربية(٥).

وإنّ فلسفة التربية إنّما تعتمد الفلسفة العامة إذ إنّ المشكلات الرئيسة في التربية إنّما هي في جوهرها مشكلات فلسفية فلايمكن - مثلاً نقد استراتيجيات أو سياسات تعليمية واقتراح بدائل لها من دون النظر في مشكلات فلسفية عامة، مثل

---

(١) فرحان، محمد جلوب: دراسات في فلسفة التربية، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص١٧.

(٢) أبوشعيرة، خالد محمد: المدخل إلى علم التربية، عمان ـ الأردن، ط١،٢٠١٠، ص٩٢.

(٣) النقيب، عبد الرحمن: فلسفة التربية عند ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٢.

(٤) أبوشعيرة، خالد محمد: المدخل إلى علم التربية، ص٩٢.

(٥) مرسي، محمد منير: فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، ١٩٩٥، ص٢٧.

طبيعة الوجود الذي ينبغي أن تؤدي إليه التربية، وطبيعة الإنسان نفسه بكونه موضوع التربية وطبيعة المجتمع نفسه لأنّ التربية في جوهرها عملية اجتماعية وطبيعة المعرفة وأدواتها وإمكانياتها بعدّها ادوات للكشف عن عناصر الوجود والإنسان والمجتمع(١).

إذن هناك اتصال حيوي بين الفلسفة والتربية، وهما وجهان مختلفان لشيء واحد. إنّ الأولى تمثل فلسفة الحياة، والثانية هي طريقة تنفيذ هذه الفلسفة في شؤون الحياة. وإنّ قبول تعريف التربية " على أنّها فلسفة عملية تمس الحياة في كل موضع " إنّ الفلسفة والتربية وجهان لعملة واحدة ولعل تحديد غاية التربية يكشف عن هذا التلاحم بين الفلسفة والتربية.." إنّ الغاية من التربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالغاية من الحياة والفلسفة تقرر ما ترى أنّ الغاية من الحياة والتربية تقترح الوسائل لتحقيق هذه الغاية ".

ويؤكد ذلك الراي الذي يذهب إلى أنّ التربية هي " الجانب الدينامي للفلسفة. فهي الوسيلة العملية لتحقيق المثل العليا(٢):

فالفلسفة هي نشاط (نظري) بالدرجة الاولى، والتربية هي نشاط (عملي)(٣).

إنّ كل ذلك يحملنا على القول إنّ التربية تمثل " العمل المتناسق الذي يهدف إلى نقل المعرفة، وإلى تنمية القدرات وتدريب وتحسين الأداء الإنساني في المجالات كافة وخلال حياة الإنسان كلها ". والفلسفة هي التي تصوغ النظريات التي تحقق

---

(١) أحمد، لطفي بركات: في فلسفة التربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٢٩.

(٢) فرحان، محمد جلوب: دراسات في فلسفة التربية، ١٩٨٩، ص١٦.

(٣) علي، سعيد إسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة،بلا مكان الطبع، ص١٥.

التربية تطبيقاتها[١].

وبذلك تكون فلسفة التربية " هي مجموعة من المبادئ والمعتقدات والمفهومات والمسلمات المحددة بشكل متكامل متناسق لتكون بمثابة المرشد والموجه للعملية التربوية بجميع جوانبها " أو هي ذلك " الميدان الذي يبحث في المشكلات الفلسفية والاجتماعية من الزاوية التربوية، ويبحث المشكلات التربوية بحثاً فلسفياً اجتماعياً"[٢].

ويرى الباحث أنّ فلسفة التربية هي عملية تربوية وارشادية وتحليلية وتهدف من هذه العملية الطبيعة الإنسانية والسلوك الإنساني من خلال التغير الاجتماعي.

ب. علم النفس وعلاقته بالتربية

علم النفس هو علم السلوك ودراسة الخبرة النفسية، أي دراسة سلوك الكائنات الحية دراسة علمية سواء أكان إنساناً أم حيواناً من النواحي الجسمية والعقلية والانفعالية من أجل فهم هذا السلوك والتنبؤ به وضبطه بينما نجد التربية هي الأخرى تحاول أن تعنى بالإنسان من إذ هو ذو إمكانات فطرية نفسية، جسمية وغيرها ليمكن له التكيف الأفضل مع المحيط الطبيعي، الاجتماعي... الخ، لا يستطيع التكيف إلاّ على أساس المساعدة الموضوعية البيئية التي تقدم إليه من طرف الآخرين الراشدين لكي يجنبه الأخطاء ويشجعون قدراته العقلية والحركية ويساعدونه على الخبرة التي تتبلور فيها شخصيته، فالتربية تهتم بهذه الأمور، فهي تعد الإنسان لا ليستغل ثمرات الأجداد والآباء وكل الأجيال الإنسانية بل ليشترك

---

(١) فرحان، محمد جلوب: دراسات في فلسفة التربية، ص١٦.

(٢) ابوشعيرة، خالد محمد: المدخل إلى علم التربية، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص٩٣.

هو الآخر في الجهد الإنساني في البناء الحضاري بمعناه الشامل..والمربي لا يستطيع أن يعرف حاجات المربى إلاّ بمعرفته. كما نجد علم النفس يحاول أن يقدم لنا معلومات صحيحة، فما هو مقدار المعلومات التي يقدمها علم النفس؟ إنّ علم النفس التربوي يأخذ الاهتمام بالفرد في المواقف التربوية[١].

ولقد اهتم علماء النفس التربويون بالمشكلات التربوية مثل الممارسات التربوية، كالتعلم، الدافعية، التوجيه التربوي، التحصيل المدرسي وقياسه وتقويمه. كما أنّ علم النفس التربوي هو فرع من علم النفس يهتم بتطبيق مبادئ علم النفس ونظرياته ومناهج البحث الخاصة به في مجال التربية والتدريس والتعليم والتدريب وما يظهر فيه من مشكلات وظواهر في حاجة إلى دراسة أو علاج أو حلول. ويهدف هذا الفرع من كل هذا إلى رفع كفاية العملية التربوية أو التعليمية وجعلها أكثر مورداً أو استثماراً وأقل تكلفة وأفضل نجاحاً. ويحدد ثلاث وجهات نظر عن علم النفس التربوي. الاولى، تنظر إليه على أنه علم نفس التربية والدراسة العلمية لعلم النفس في مجال التربية، أي وضع المبادئ والمفاهيم والنظريات التي تحكم سلوك المتعلم في مواقف التعلم والتعليم. الثانية، تنظر إليه على أنّه فرع تطبيقي من فروع علم النفس العام يوظف المبادئ والمفاهيم والنظريات النفسية على الممارسة التربوية. الثالثة، تنظر إليه على أنّه عملية التقويم المنظمة لعمليتي التعلم والتعليم.

فعلم النفس التربوي انه ذلك الحقل الذي يجب أن يعني بالدراسة النفسية للمشكلات التربوية المتعددة والعمل على حلها من خلال توفير المبادئ

---

(١) كوافحه، تيسير مفلح: علم النفس التربوي، دار المسيرة، عمان – الأردن، ط٢، ٢٠٠٧، ص٢٨

والمفهومات والأساليب والنماذج المتعددة[١]. فموضوع علم النفس هو سلوك الإنسان، وهو موضوع التربية نفسه وبمعنى آخر، فالتربية عندما تقوم على دراسة المجتمع والثقافة من اجل توجيه العمل التربوي وتنظيم الخبرة التربوية، فإنّها تعتبر الإنسان الفرد نقطة البداية لهذا التوجيه، ولهذا تأخذ من علوم النفس الكثير من القوانين لتطبيقها على التعلم، وتفسير السلوك الإنساني من أجل ضبطه واختيار وسائل توجيه، فمهمة علم النفس هي دراسة الوسائل التي تحقق عملية النمو التربوي[٢].

---

(١) الزغول، عماد عبد الرحيم: مبادئ علم النفس التربوي، دار المسيرة، عمان – الأردن، ط٢، ٢٠١٠، ص٢٢.

(٢) علي، سعيد إسماعيل: اصول التربية العامة، دار المسيرة، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٧، ص٩٢.

ثالثاً. التعريف بمدرسة فكر أهل البيت عليهم السلام

قد ورد لفظ أهل البيت في القرآن الكريم مرتين إحداهما الآية المرتبطة بحديث الكساء الشريف. والأخرى في قوله تعالى:

{ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ الله رَحْمَتُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أهل البَيْتِ }[1].

قال تعالى: { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا }[2].

قال الطبرسي رحمه الله: { وَأمُرْ أَهْلَكَ } أي أهل بيتك وأهل دينك " بالصلوة ". وروى أبو سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية. كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ياتي باب فاطمه وعلي وقت كل صلاة فيقول الصلاة يرحمكم الله[3]. { إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهل البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }[4].

أهل البيت هم أولى بالنبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن أولى باحترامهم وتوقيرهم ومحبتهم وهم الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(١) سورة هود آية: ٧٣.

(٢) سورة طه آية: ١٣٢.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٢٥، ص٢١٢.

(٤) سورة الاحزاب آية: ٣٣.

وهم الذين أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاقتداء بهم ولزوم منهجهم[١]. وأهل البيت (عليهم السلام) هم نبراس ومنار وملاذ لنقتدي بهم ونتمسك بحبلهم ونلجأ إليهم ونستلهم من سيرهم وهم الذين ارتضاهم الله وخصّهم[٢]. وهم الذين جعل الله حقهم في الفيء والخمس ﴿ مَّا أَفَاء الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أهل الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [٣].

إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

"إنّي تاركُ فيكُم الثَّقلين، كتاب الله وأهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. [٤]"

عن عبيد عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال أنت على مكانك وأنت على خير[٥].

عن جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال علي بن أبي طالب

(١) يماني، محمد عبده: علموا أولادكم محبة آل البيت، ط١، ١٩٩١، دار القبلة للثقافه الإسلامية ص١٥.

(٢) بن محمد التميمي المغربي، القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج١، ص٦

(٣) سورة الحشر: آية: ٧.

(٤) الحاكم النيسابوري: المستدرك، ج٣، ص١٤٨.

(٥) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب من سور الأحزاب، ح٣٢٠٥، ص٣٢٨.

(عليهما السلام): إنّ الله عزّ وجلّ فضلنا أهل البيت وكيف لا يكون كذلك؟ والله عزّ وجلّ يقول في كتابه "إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"[١].

عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) قال: سئل أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): " إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي " من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم[٢].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " أهل بيتي مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق "[٣].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "أهل بيتي أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف"[٤].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام عليٍّ (عليه السلام): " أنت مني وأنا منك"[٥]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " عليّ مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض"[٦]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "من كنت مولاه فعليٌّ مولاه"[٧].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٥.

(٣) الحاكم النيسابوري: المستدرك، ج٣، ص١٥١.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(٦) المصدر نفسه، ص١٢٤.

(٧) المصدر نفسه، ص١١٠.

واهل البيت (عليهم السلام) الذين نزههم الله عن الصدقة والزكاة " إنّا آل مُحَمَّد لا تحل لنا الصدقة". وهم الذين أكرمهم الله بأن جعل الصلاة عليهم مطلوبة في كل صلاة[١].

وأهل البيت - إنما هم شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومنبع الرحمة، ومعدن العلم، وينابيع الحكمة، وكنوز الرحمن، ناصرهم ومحبهم ينتظر رحمة الله وكراماته، ومبغضهم يستقبل نقمة الله وسطوته، بهم هدايتنا من الظلماء، وهم سر جدهم المصطفى (صلوات عليه وعليهم اجمعين) [٢].

عن أبي نصير عن خيثمة قال سمعت الباقر (عليه السلام) يقول: " نحن جنب الله، ونحن صفوة الله، ونحن خيرة الله، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله عزّ وجلّ، ونحن حجج الله، ونحن حبل الله، ونحن رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدُّجى، ونحن منار الهدى، ونحن العلم المرفوع لأهل العلم، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، من تمسك بنا لحق، ومن تخلف عنا غرق، ونحن قادة الغر المحجلين، ونحن حرم الله، ونحن الطريق، والصراط المستقيم إلى الله عزّ وجلّ، ونحن موضع الرسالة، ونحن أصول الدين، وإلينا تختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عرى الإسلام، ونحن الجسور، ونحن القناطر، من مضى علينا سبق ومن تخلف عنا محق، ونحن السنام الاعظم، ونحن الذين بنا تنزل الرحمة، وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف الله عزّ وجلّ عنكم العذاب، فمن ابصرنا وعرف حقنا وأخذ

---

(١) يماني، محمد عبده: علموا اولادكم محبة ال البيت، ص١٥ـ ١٦.

(٢) مهران، محمد بيومي: في رحاب النبي واله،ط٢، ص١١.

بأمرنا فهو منا وإلينا "[١].

وقال الحصفكي[٢]:

أئمــة أكــرم بهــم أئمــة ... أســماؤهم مــسرودة لاتطــرد

هــم حجــج الله علــى عبــاده ... وهــم إليــه مــنهج مقــصد

هــم النهــار صــوم لــربهم ... وفــي الــدياجى ركــع وســجد

محمــد والخلفــاء بعــده ... أفــضل خلــق الله فيمــا أجــد

هــم أسسوا قاعــدة الــدين لنــا ... وهــم بنــو أركانــه وشــيدوا

ومــن يخــن أحمــد فــي أصحابه ... فخــصمه يــوم المعــاد أحمــد

قوم لهم في كــل أرض مــشهد ... لابل لهم في كل قلــب مــشهد

حيــدرة والحــسنان بعــده ... ثــم علــي وابنــه محمــد

وجعفــر الــصادق وابــن جعفــر ... موســى ويتلــوه علــي الــسيد

أعنــي الرضــا ثــم ابنــه محمــد ... ثــم علــي وابنــه المــسدد

الحــسن التــالي ويتلــو تلــوه ... محمــد بــن الحــسن المعتقــد

وإنّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ومنهجهم العلمي قد تعرض لحرب سياسية ودعائية وتشويه متواصل. والذين اشتركوا في هذه الممارسات هم صنفان:

صنف قد خطط لهذه المواقف وعمل على تنفيذها وهو يعرف الحقيقة، ويمارس تلك المواقف متقصداً وخوفاً من تفوق أهل البيت (عليهم السلام) وظهور منهجهم العلمي، وهم الحكام المعادون لأهل البيت (عليهم السلام).

وصنف جهل الحقيقة وظلل ولم يكلف نفسه أو لم تتهيأ له الظروف للتعرف

(١) عقيل، محسن: الدرر واللالئ من مجالس الامالي (الصدوق، المفيد، الطوسي)، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٤،ص٢٧٠.

(٢) البدري، جمال: أئمة آل البيت عليهم السلام، دار الكلمة، بغداد، ١٩٩٣، ص٧.

على فكر أهل البيت ومنهجهم الإسلامي الاصيل. وفي الحالين فإنّ الإنسان المسلم ليس معذوراً بجهله، كما هو مسؤول عن مواقف التعصب وترك تقبل كلمة الحق[١]. وعلى الرغم الظروف القاسية كلها التي مرت على أئمة أهل البيت (عليهم السلام) - وهي تجسيد الإنحراف على الخط الإسلامي والسذاجة العارمة للجماهير المغلوبة على أمرها، والضغط الإرهابي الذي مارسه حكام المدارس المضادة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) - فإنّهم تمكنوا من نشر مبادئ الإسلام الصحيحة النقية، والتي كان المسلمون بحاجة إليها في تقويم النفوس، وردع المؤثرات اللاأخلاقية التي تمزق الشخصية الإنسانية، وتغرس التخلف في الفرد والمجتمع، والتي هي ركائز حكام البغي والضلال ضد الإنسان لابقائه في عالم متحلل من القيم، والمثل، والكمال وليعيش الإنسان في بؤرة التخلف ليسهل عليهم ابقاء السلطات الحاكمة لغير الله في الحكم متسلطة على رقاب الناس، متحكمة في عباد الله بأهوائهم ومصالحهم. ولم تكن تلكم المواقف المشينة اللاإسلامية والتي بدرت من بعض الجماهير المدعية للإسلام ضد هذا البيت الطاهر من عهد الإمام عليّ حتى نهاية دور الإمامة - إلاّ نتيجة ضعف الوازع الديني الذي نشره حكام السوء على مر الزمان بداية من معارضة الإمام عليّ (عليه السلام) ومقتله، وسم الإمام الحسن (عليه السلام)، ومقتل الإمام الحسين (عليه السلام) - وهما ريحانتا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسبطاه. ومازالت إلى هذا اليوم مدرسة آل البيت هي محاربة من الحكام"[٢].

---

(١) الموسوي، السيد هاشم: التعريف بمدرسة اهل البيت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٧، ص٦١-٦٢.

(٢) بحر العلوم، محمد: المنهج التربوي عند الإمام الكاظم عليه السلام، ص١٤-١٥.

حيث أنشأ الإمام الحسن مدرسته الكبرى في يثرب، وراح يعمل مجداً في نشر الثقافة الإسلامية في المجتمع الإسلامي. وقد انتمى إلى مدرسته كبار العلماء وعظماء المحدثين والرواة ووجد بهم خير عون لأداء رسالته الاصلاحية الخالدة التي بلورت عقلية المجتمع. وايقظته بعد الغفلة والجمود، مما أدى إلى ازدهار يثرب بالعديد من العلماء والرواة وكانت من أخصب البلاد الإسلامية علماً وأدباً وثقافة(١).

كما كان الإمام الحسن (عليه السلام) يتولى نشر العلم في يثرب ويدعو الناس إلى مكارم الأخلاق التي جاء بها جده الرسول لاصلاح المجتمع وتهذيبهم، فمن سمو أخلاقه أنّه كان يصنع المعروف والإحسان حتى مع أعدائه(٢).

وبعد مأساة كربلاء خاصة وما دلت عليه من وحشية متناهية وقسوة فظيعة، عمد الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) إلى دور البناء الفكري والتربوي والذي كان شبه مفقود حينذاك، ثم جاءت مدرسة الإمام مُحَمَّد الباقر (عليه السلام) وكان عهده يمثل الاضطهاد السياسي والاجتماعي، فركز على هذا الجانب تركيزاً ملفتاً إلى الأنظار.

حيث كانت دار الإمام (عليه السلام) بالمدينة مركز اشعاع للهداية والفضيلة يقصدها طلاب العلم والمعرفة من سائر البلاد.

وبقي هذا المعهد شامخا طوال حياة الإمام مُحَمَّد الباقر (عليه السلام)، ساعد ذلك على ضمور الدولة الأموية، وبوادر التحرك العلوي والعباسي

---

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الحسن المجتبى عليه السلام)، ط٣، ١٤٢٧هـ، قم المقدسة، ص١٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٧.

ضدهم. وقد أخذ العلماء عنه واقتدوا به واتبعوا أقواله. وكانت مدرسته استمرارا لمدرسة أبيه(١).

أمّا مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) لم يكن من المبالغة وصف مدرسة الإمام بأنّها جامعة إسلامية، خلفت ثروة علمية وخرّجت عدداً وافراً من رجال العلم، وأنجبت خيرة المفكرين، وصفوة الفلاسفة وجهابذة العلماء، وقد كان من مظاهر سعة علمه إنّه قد ارتوى من بحر علومه أربعة الاف طالب وقد أشاعوا العلم والثقافة في الحواضر الإسلاميه جميعها ونشروا معالم الدين وأحكامه الشريعة(٢).

حيث يقول الإمام الصادق (عليه السلام): " لكل شيء زكاة وزكاة العلم نشره "(٣)

فإنّ مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام)، كانت مصدراً للعلم وينبوعاً يفيض على الأُمة بالعلوم والمعارف الإسلامية، وأغدقت على العالم الإسلامي بخدماتها الجليلة، في بث تلك التعاليم القيمة في عصر ازدهر فيه العلم، وأقبل المسلمون على انتهاله. ولو تسنى لمدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) الظهور التام لأدت رسالتها على أحسن ما يتطلبه واقع المسلمين وما هم فيه من الحاجة إلى نشر التعاليم القيمة في بث روح الأخوة الإسلامية، والعدالة الاجتماعية، ومحو المعتقدات الفاسدة، والآراء الشاذة، ولكن بمزيد من الأسف أنّ السلطة الحاكمة قد

---

(١) بحر العلوم: المنهج التربوي عند الإمام الكاظم، ص١٥

(٢) حيدر، اسد: الإمام الصادق والمذاهب الاربعة، مج١، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٤،ص٦٩.

(٣) بور الهمداني، علي نظامي: المعارف الرافعه في شرح الزيارة الجامعه، ط١، ص٤١٢.

اتخذت التدابير جميعها لمحاربة تلك المدرسة، لأنّ شهرة الإمام الصادق (عليه السلام) في العالم الإسلامي كانت تقض مضاجعهم، وتبعث في قلوبهم الوجل من نشاطه العلمي، ولهذا فقد كانوا يضعون الخطط التي يأملون بها الوصول إلى غلق أبواب تلك المدرسة والقضاء على مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) بكل وسيلة، لأنّ الأنظار أصبحت متجهة اليه، وكانت وفود رجال الأمة وطلاب العلم تتسابق إلى الحضور عنده، والاستماع منه حتى كان ذكره حديث الركبان[١].

وكانت أندية العلم في العواصم الإسلامية تلهج بذكره، وينتهي الاحتجاج في الاستشهاد بقوله. والحقيقة يجب أن تقال: هو أنّ الحضارة الإسلامية والفكر العربي مدينان لهذه المدرسة الفكرية بالتطور والرقي والخلود، ولعميدها الإمام الصادق بالمجد العلمي والتراث الثمين[٢].

وعلى كل حال فإنّ مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) كانت بعيدة عن التأثر بآراء الحكام الذين يفرضون إرادتهم على العلم والعلماء ويحاولون أن تكون لهم السلطة الدينية إلى جانب السلطة التنفيذية. وقد بذل المنصور كل ما في وسعه لجلب رضا الإمام الصادق (عليه السلام) والفوز بمسايرته له، لكنه لم يفلح، فقد أعلن (عليه السلام) مقاطعته، وأوعز إلى أصحابه ذلك، فسارت مدرسته على ذلك الاستقلال الروحي[٣].

وأما مدرسة الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي تربى في مدرسة والده الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) حتى استشهاده تلك المدرسة التي أدّت دوراً بارزاً

(١) حيدر، اسد: الإمام الصادق والمذاهب الاربعه، ص٧٠-٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٧١-٧٢.

في عهد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) في تركيز فكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والثقافة الإسلامية. والذي قطع نحو عشرين عاماً مع أبيه الإمام الصادق عليه السلام ينتهل من نمير علمه، ويستفيد من أخلاقه العالية، ويستقي من فضله، حتى أصبح وهو في مطلع شبابه مصدر اعجاب العلماء واحترامهم، وحكماً مفضلاً في حل أكثر المشكلات تعقيداً وتشعباً، وحتى وصل الأمر بأصحاب الإمام موسى (عليه السلام) وخواصه، إنّهم كانوا يحضرون مجلسه، فإذا نطق بكلمة أو أفتى في نازلة بادروا إلى تسجيل ذلك. وكان عصراً زاخراً بالتيارات والمذاهب الفلسفية والعقائدية والاجتهادات الفقهية ومدارس التفسير والروايه فلقد كانت تلك المدة من أخطر المدد التي عاشها المسلمون إذ تسرب الالحاد والزندقه، ونشأ الغلو وكثرت الفرق الكلاميه التي حملت آراء وأفكاراً إعتقادية شتى. وعلى الرغم من خطورة الظرف السياسي، وتضييق الحكام على الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) إلاّ أنّه لم يترك مسئووليته العلميه، ولم يتجلَّ عن تصحيح المسار الإسلامي، فتصدى هو وتلامذته لتيارات الالحاد والزندقة - لتثبيت أركان التوحيد، وتثبت في اعماق النفس والعقل كما أغنى (عليه السلام) مدرسة الفقه بحديثه وروايته وتفسيره. وأنّ مراجعة التراث الغني الذي تركه لنا الإمام تؤكد اهتمام الإمام (عليه السلام) بحماية عقيدة التوحيد وتنزيهها عن الشرك والأوهام وتركيزها في النفوس كما أنّنا نجد فيه فكرا تأسيسياً للعلوم والمعارف الإسلامية المختلفة ونهجاً تربوياً في بناء شخصية المسلم الأصيلة والأبية[1].

ثم جات مدرسة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) مفزع العلماء وملجأ أهل الفكر والمعرفة، يناظر علماء التفسير ويحاور أهل الفلسفة والكلام،

(١) بحر العلوم: المنهج التربوي عند الإمام الكاظم. ص ١٧.

ويرد على الزنادقة والغلاة، ويوجه أهل الفقه والتشريع، ويثبت قواعد الشريعة واصول التوحيد. وقد شهد علماء عصره من فقهاء وحكماء، ومتصوفة ومتكلمين إسلاميين، ومن زنادقة وغلاة وملاحدة، بغزارة علمه وقوة حجته وتفوق بيانه على خصوم الإسلام في مجالس المناظرة والافتاء ومجالس الحوار والمحاججة، أنّ علوم الإمام (عليه السلام) ومعارفه لهي ميراث النبوة وعطاء من الله له، تنكشف بها المعارف، وتتبين له الحقائق، وتتضح له العلوم. فكان (عليه السلام) أكثر شأناً، وأعلاهم في الدين مكاناً، وأسخاهم بناناً، وأفصحهم لساناً، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأفقهم وأكرمهم[(١)].

عن إبراهيم بن العباس الصولي انه قال:

"ما رأيت الإمام الرضا (عليه السلام) سئل عن شيء إلاّ علمه، ولا رايت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وأنّ المأمون كان يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه وأنّ جوابه كله كان انتزاعات من القرآن "[(٢)].

كما تشترك وتسهم مدرسة الإمام مُحَمَّد الجواد (عليه السلام) طوال مدة إمامته التي دامت نحو سبعة عشر عاماً في إغناء مدرسة أهل البيت العلمية وحفظ تراثها، والتي امتازت في تلك المرحلة على النص والرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). كما اعتمدت مدرسة الإمام الجواد (عليه السلام) الفهم والاستنباط من الكتاب والسنة فضلاً عن إلى اهتمامها بالعلوم والمعارف العقلية

---

(١) بن الحسن الطبرسي، أمين الإسلام الشيخ ابي علي الفضل: إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، ص٢٥.

(٢) الشاكري، الشيخ حسين: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام،ج١٢، قم المقدسة، ط١، ١٤١٨هـ، ص٨٠.

التي سعى الأئمة وتلامذهم في انمائها واغنائها وتوسيع مداراها، وحتى غدت صرحاً شامخاً، وحصناً منيعاً للفكر الإسلامي وللشريعة الإسلامية، فحف جمهور كبير من العلماء والرواة بالامام (عليه السلام) وهم يقتبسون من علومه التي ورثها عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا يدوّنون أحاديثه وكلماته وما كان يدلي به من روائع الحكم والاداب[١].

أما مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) إذ امتاز عصره عن عصر أبيه الإمام مُحَمَّد الجواد (عليه السلام) بزيادة الكبت والضغط عليه من السلطة حتى كانت الرقابة الدائمة هي الأمر المميز والفارق الواضح في حياته وحياة ابنه الإمام الحسن العسكري، وكان الإمام الهادي (عليه السلام) مقصداً لطلاب العلوم لتنوع ثقافته وشمول معارفه فهو (عليه السلام) المتخصص بالعلوم جميعها والخبير في تفسير القرآن الكريم والإمام في الفقه الإسلامي بشتى حقوله ومستوياته، وقد مثل أصحابه الخط الرسالي في الأمة الإسلامية، بكون اتصالهم بأهل البيت (عليه السلام). فرووا أحاديثه ودونوها في أصولهم. فكان لهم الفضل الكبير على العالم الإسلامي بما دونوه من تراث الأئمة الطاهرين فلولاهم لضاعت ثروة كبيرة تشتمل على الإبداع والأصالة وتساير تطور الفكر البشري بل وتتقدم عليه وتجدر بالإشارة إلى أنّ كثيراً من ملامح عمل الإمام (عليه السلام) تنكشف من خلال انشطة اتباعه المعتمدين وتتعمق هذه الحقيقة بمقدار اشتداد الظروف الداعية للسرية في عمل الإمام الهادي (عليه السلام) [٢].

ثم جاءت مدرسة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كانت مهمة الإمام

---

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام محمد الجواد عليه السلام): ص١٩٧.

(٢) لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام علي الهادي عليه السلام): ص٢٠١.

(عليه السلام) هي حفظ الرسالة الإسلامية، والذود عن حياضها، والدعوة إليها، ونشر مبادئها. وقد أكمل الإمام (عليه السلام) الخط الذي أسسه آباؤه الطاهرون وهو إنشاء جماعة صالحة تمثل خط أهل البيت الفكري والعقائدي والأخلاقي والسلوكي.

وقد زخرت مدرسة أهل البيت في عصر الإمام العسكري (عليه السلام) بالعلم والدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وكان قوام هذا العمل هو الأُسلوب المدرسي. كان للإمام (عليه السلام) تلامذة وأصحاب رواة وبعضهم واصل مهمته من عهد أبيه وجده، وبعضهم التحق به في مدة الإمامة، وكان هؤلاء التلامذة والرواة يتلقون من الإمام (عليه السلام) ويروون عنه العلوم والمعارف. ان العلماء الذين رووا عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وتتلمذوا عليه، واخذوا عنه، وتربوا في مدرسته ومدرسة آبائه، واشتركوا في إنماء العطاء العلمي في مجال الفقه والتفسير والرواية والعقيدة والأدب والجغرافية[١]. حتى تاسست جملة من العلوم كعلم الطب، والفلك، والنجوم، والفلسفة، والرياضيات وغيرها من العلوم والمعارف. وقد كانت لبعض الجماعات البشرية كاليونان القديم والهند وايران ومصر والعراق نشاطات عظيمة في دفع عجلة العلم ومدها وقد كان لائمة أهل البيت (عليهم السلام): وأصحابهم دور ريادي وتأسيسي في هذا المضمار، فترعرت في مدرسة الإمامة أجيال من العلماء شعت علومهم على العالم الإسلامي ودونوا فيها ما ملأ الخافقين[٢].

---

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الحسن العسكري عليه السلام)، ص١٦٥.

(٢) الشيخ الخزرجي، صفاء: الفقه والمنهج الموسوعي، مجلة فقه اهل البيت، العدد٣، قم المقدسه، ١٩٩٦، ص١٢٠.



الفصل الاول: أقسام التربية

المبحث الأول / التربية في القرآن

المبحث الثاني/ التربية في السنة

المبحث الأول: التربية في القرآن

تمهيد

يعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدر التربية الإسلامية، والقرآن ولا يزال المصدر الرئيس للتربية الإسلامية وحرص الرسول الكريم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وحرص معه المسلمون ألاّ يختلط بغيره من المصادر الأُخَر، ويدعو القرآن الكريم من ضمن ما يدعو إليه إلى تقوى الله وإلى الصدق والتسامح والصبر والعدل والتواضع والتضحية والمحبة وينهى عن الكبرياء وأكل مال اليتيم والظلم والكذب والنفاق وشهادة الزور، وتوجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك، وأهتم القرآن الكريم في تشريف العلم والحض عليه إذ بدأ الوحي الكريم بالآية: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }[1]. وقد جعل للعلماء منزلة رفيعة في قوله تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الالبَابِ }[2]. كما نرى أنّ التربية القرآنية تراعي الفروق الفردية بين الناس، قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ

(١) سورة العلق: آية: ١.

(٢) سورة الزمر: آية: ٩.

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ } . [١] وفي القرآن الكريم دعوة صريحة إلى ضرورة تحمل كل فرد ما يستطيع حمله وترك تكليفه فوق ذلك قال تعالى: { لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا } [٢]. كما أكد القرآن الكريم العبادة لأثرها التربوي في النفوس قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ } [٣]. والعبادة لا تقتصر على مناسك العبادة فقط بل يراد منها وسيلة لإصلاح الفرد والمجتمع[٤].

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي المنزل على خاتم النبيين مُحَمَّد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم)، لفظاً ومعنىً وأسلوباً والمكتوب في المصاحف والمنقول عنه بالتواتر. وهو سند الإسلام الحي ومعجزته الخالدة التي تحدث ولازالت تتحدى جموع البشرية على مر القرون. وهو دستور الإسلام الجامع لمبادئ الحياة الإنسانية كافة تجاوباً مع الفطرة وانبثاقاً من صميم الإنسانية[٥]. وإنّ الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على النّبي مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعلمه فضل ما نزل عليه وأعلم خلقه في كتابه وعلى لسان رسوله، ان القرآن عصمة لمن اعتصم به وهدىً لمن اهتدى بهدية، وغنى لمن استغنى به، وحرز من النار لمن اتبعه، ونور لمن استنار به[٦]. وقد حوى هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين واخبار الماضيين وتهذيب الأخلاق الأمر بالعدل والنهي عن الظلم

(١) سورة الانعام: آية: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة: آية: ٢٨٦.

(٣) سورة الذاريات: آية: ٥٦.

(٤) خضر، فخري رشيد: تطور الفكر التربوي، ابو ظبي، ٢٠٠١، ص١٢٦- ١٣١.

(٥) الحكيم، محمد باقر: علوم القرآن، ط٤، ١٤٢٥هـ، ص٥.

(٦) أبو سنة، عبد الفتاح: علوم القرآن، دار الشروق، ط١، ١٩٩٥. ص٥

وتبيان كل شيء ماجعله يختلف عن الكتب كلها حتى المنزلة منها وهو لا يزال يتلى على الدهور ومر الايام وهو غض طري يحير ببيانه العقول ولا تمله الطباع مهما تكررت تلاوته وتقادم عهده. وقد كان القرآن الكريم معجزة فيما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء وقد أرسى قواعد نهضته على منهج علمي قويم، فحث على العلم وجعله العامل الأول لتسامي الإنسان نحو الكمال اللائق به وحث على التفكير والتعقل والتجربة والبحث عن ظواهر الطبيعة والتعمق فيها لكتشاف قوانينها وسننها وأوجب تعلم كل علم تتوقف عليه الحياة الإجتماعية للإنسان واهتم بالعلوم النظرية من كلام وفلسفة وتأريخ وفقه وأخلاق ونهى عن التقليد واتباع الظن وارسى قواعد التمسك بالبرهان[١].
عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره فإنّ التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور... وقال أبوعبد الله عليه السلام: كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه: اعلموا أن القرآن هدى النهار ونور الليل المظلم على ما كان من جهد وفاقة[٢]. القرآن - هو كتاب هداية وتربية، ومن أعظم ما جاء به القرآن مشروعه التربوي المتكامل بكونه خاتمة الكتب السماوية التي سددت المسيرة البشرية في مراحل نموها وانطلاقتها نحو الكمال، وقد جاء على فترة من الرسل، والبشرية تتخبط في التيه والعمى، بعد أن بلغت حدا أخذت تتطلع فيه إلى الذروة. فقد عالج القرآن طموح البشرية، وحدد

---

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية " محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم "، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧، ص٢١٤.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٠٠.

رؤاها، وبين لها معالم الطريق، وعرفها على سبيل الغـي والرشـاد، وحـذر وأنـذر، وهدد ووعد، وقـدم الـضمانات كلـها لانقاذهـا مـن اللـبس وانتـشالها مـن أوحـال الجاهلية، وتقويم بناها، وتسديد مسيرها إلى يوم القيامة[١]. القـرآن - هـذا الكتـاب السماوي الذي أنزل للبشرية - قد ربّى نماذج رائعـة عـبر الأجيـال وجعلـها نجومـاً تلمع في سماء الإنسانية وتمنح تأريخها معنى عميقاً، وتبعث الحيـاة والثـورة في الأُمـم المؤمنة. كما نجد سلطاناً عجيباً ونفوذاً مدهشاً لآيات الكتـاب العزيـز علـى قلـوب المؤمنين، فيحولها تحويلاً عظيماً ويغيرها تغييراً كبيراً، بل إنّها كانت على طوال خط التأريخ منشأ للتأمل والإبداع والتفكر والعطاء الذي يغذي المسيرة الإنـسانية، ومـا أكثر المفكرين والقادة والمرشدين الذين انتهلوا مـن سلـسبيله العـذب وارتـووا مـن نميره الصافي. ولم يكن القـرآن كتابـاً وموعظـة فحـسب، يعـظ النـاس ويـصب لهـم قضايا الحياة في قوالب نظرية ذهنية مجـردة جامـدة، أبـداً، إنّمـا يـصور لنـا الواقـع، ويعرض القيم والتعاليم بـصدق وصـراحة وواقعيـة - وهـذه مـن أهـم خـصائص النظام التربوي في القرآن - من خلال نماذج حيـة عاشـت في المجتمـع، ويجسد لنـا الفضيلة والخير في شخصيات نطق سلوكها بذلك حتى صارت مثـالاً عليـه، ويقـدم برنامجاً واقعياً متكاملاً قائماً على أساس الفطرة ومعرفة الإنسان ويحدد المواقـف في القضايا الاساس جميعها التي يبتلى بها الإنـسان في حياتـه[٢]. كمـا في قولـه تعـالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٣].

---

(١) فرهاديان، محمد رضا: أسس التربية والتعليم في القرآن والحديث، تعريب – سيد علي أشرف، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٩٩٥، ص١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٨٩.

أولاً - يمكن أن نستدل على التربية في القرآن الكريم من خلال بعض الآيات القرآنية الآتية

١ - قال تعالى: { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ } [١].

أي ما تحملته أُمة من المحنة والأذى في حمله وتربيته ليكون داعياً له إلى شكرهما وخاصة الأُم، والوهن هو الضعف، والإرضاع في عامين[٢].

٢ - قال تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } [٣].

الآية تدل على وجوب إكرامهما ورعاية الأدب التام في معاشرهما ومحاورهما في الاوقات جميعها، وخاصة في وقت يشتد حاجتهما إلى ذلك وهو وقت بلوغ الكبر من أحدهما أو كليهما عند الولد (واخفض لهما...) وهو تواضعك وخضوعك لهما وتذللك قبالهما رحمة بهما (وقل ربّ...) أي اذكر تربيتهما لك صغيراً فادع الله سبحانه أن يرحمهما كما رحماك ورباك صغيرا[٤].

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال موسى بن عمران عليه السلام

---

(١) سورة لقمان: آية: ١٤

(٢) الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، دار الكتب الإسلامية، ط٢، طهران، ١٣٨٩هـ ق، ص٢٢٧.

(٣) سورة الاسراء: آية: ٣١

(٤) بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن الكريم، ج٥، دار طيبة، السعودية – الرياض، ط٢، ١٩٩٩، ص٧٢.

يارب أوصي قال أوصيك فقال يارب أوصني قال أوصيك بي ثلاثاً فقال يارب أوصني قال أوصيك بأُمك: قال يارب أوصني قال أوصيك بأُمك، قال أوصني قال أوصيك بأبيك، قال فكان يقال لاجل ذلك إنّ للام ثلثي البر وللأب الثلث[١].

٣- قال تعالى: { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } .[٢] { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ }[٣].

وقال تعالى: { وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ }[٤]. { قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ }[٥]. { وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[٦].

فاليتيم هو الذي فقد والده أو والدته أو كليهما يشعر بالحرمان المطلق، حرمان من إشباع حاجاته العاطفية والروحية، وحرمان من إشباع حاجاته المادية كالحاجة إلى المأكل والمشرب والملبس، فتنتابه الهواجس والمخاوف، ويخيّم عليه القلق والاضطراب، فالشعور بالحرمان من العطف والحنان له تأثيراته السلبية على كيان الطفل وعلى بناء الشخصية، ومن خلال متابعة الواقع الاجتماعي نجد أنّ أغلب الأيتام الذين لم يجدوا العناية والاهتمام من الآخرين كانوا مضطربي الشخصية تنتابهم العقد النفسية وسوء التوافق مع المجتمع الذي حرمهم من العناية

---

(١) المجلسي: بحار الانوار: ج٧١،ص٦٧.
(٢) سورة الإنسان: آية: ٨
(٣) سورة البلد: آية: ١٤- ١٥.
(٤) سورة البقرة: آية: ١٧٧.
(٥) سورة البقرة: آية: ٢١٥.
(٦) سورة الانعام: آية: ١٥٢.

والاهتمام، لذا أوصى الإسلام برعاية اليتيم رعاية خاصة لا تقل ان لم تَزِدْ على الرعاية الممنوحة للأطفال الآخرين، فأكّد على إشباع حاجاتهم المادية والروحية جميعها، وكانت الآيات القرآنية المختصة برعاية الأيتام أكثر من الآيات المختصة بعموم الاطفال[١].

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مرّ عيسى بن مريم بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: ياربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يعذّب؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه؛ ياروح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقا وآوى يتيما فغفرت له بما عمل إبنه[٢].

وعن أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) قال: "بَرُّوا أيْتامَكُمْ، وَواسَوْا فُقَراءَكُمْ، وارْفُقُوا بِضُعَفائِكُمْ".

وقال (عليه السلام) "مَنْ ظَلَمَ يَتيماً عَقَّ أوْلادَهُ".

وقال (عليه السلام): "مَنْ رَعَى الأيْتامَ رُعِيَ في بَنيهِ". [٣]

ومن الاهتمام والعناية باليتيم هو القيام بتربيته تربية صالحة وإعداده لأن يكون عنصراً صالحاً في المجتمع.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أدب اليتيم بما تؤدب منه ولدك واضربه مما تضرب منه ولدك[٤].

---

(١) إصدار مركز الرسالة: تربية الطفل في الإسلام، ص٨٦.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢.

(٣) التويسركاني، سيد حسين شيخ الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٦٦٧.

(٤) العاملي: وسائل الشيعة، ج٢١، ص٤٧٩.

ثانياً - أساليب التربية في القرآن الكريم

١- التربية العقلية

وظّف القرآن الكريم العقل أداة للوصول إلى معرفة وجود الله أي اتبع الأدلة العقلية إلى جانب اذكائه للعواطف والانفعالات لأنّه يتماشى مع الفطرة الإنسانية التي توظّف العقل والعاطفة[١]. والقرآن الكريم نصب للعقل خيمة التفكير والتأمل والتدبر وأتاح له ممارسة المقارنة والموازنة بين الأشياء، ومهّد له الطريق بالإشارات الدلالية إلى الأسرار الكامنة حوله في الكون والمخلوقات وهو طريق يفتح له آفاقاً علمية وإبداعية تعينه على الوصول إلى الحق. ولو أننا تأملنا منهج القرآن الكريم في التربية العقليه ثم حاولنا تطبيق هذا المنهج الرباني في حياتنا الواقعية والإفادة منه في تربية النشئ على المنهج القرآني الصحيح، لاستطعنا العودة بالناشئة المسلمة إلى جادة الحق[٢]. كما في قوله تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أو آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [٣].

ولقد أشار (ابن سينا) إلى هذا فقال: "... سيتضح لك أنّ لنا سبيلاً إلى إثبات المبدأ الأول، لا من طريق الاستدلال من الأمور المحسوسة، بل من طريق مقدمات كليه عقلية توجب للوجود مبدأ واجب الوجود"[٤]. والقرآن الكريم قد

---

(١) الساموك، سعدون محمود: تدريس التربية الإسلامية، دار وائل، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٣.

(٢) يوسف، زينب بشارة: أساليب التربية في القرآن، رسالة ماجستير، ١٤٣٢هـ، ص٢٠.

(٣) سورة الحج: آية: (٤٦) .

(٤) احمد علي، رجاء: الله والعالم في فلسفة ابن سينا، التنوير،بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص٣٠.

جعل للإنسان عقلاً وجبله على التفكير والتدبر والموازنة بين الخير والشر. وهذا ما كان لفلاسفة اليونان رأي بأهمية دور العقل وخاصة (سقراط) إذ قال: " الفضيلة علم وألرذيلة جهل ". فيرى (سقراط) أنّ الإنسان يريد الخير دائماً، ويهرب من الشر بالضرورة، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان ارادة حتماً. أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره، ولا يعقل أنّه يرتكب الشر عمداً. وعلى ذلك الفضيلة علم، والرذيلة جهل - وهذا قول مشهور عن سقراط يدل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير[١].

وقد جعل القرآن الكريم للإنسان اختيار الطريق الصحيح والتأثر بما يمكن أن يصل إليه من نتائج، فإن الله تعالى وهب الإنسان العقل كما وهبه قابلية التمييز بين الخير والشر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٢].

كما أنّ القرآن الكريم قد قدر العقل واعتبره مناط المسؤولية وركز على أهميته في بناء عقيدة المسلم وتصحيح مفهوم التوحيد والعبودية والتفكر في ايات الله[٣]. والتفكر هو من أعظم العبادات بل لا عبادة أفضل ولا عمل أعظم منه، ويتوقف كل عبادة وكل عمل عليه، ولا ينال الإنسان درجة من الماديات والمعنويات إلاّ به، وهو إنسانية الإنسان. فهو كالوجود، فكما أنّ الوجود، موجود بذاته وموجد غيره فكذلك التفكر موجود بذاته وموجد كل علم. وكالنور، فكما أنّ النور ظاهر بذاته مظهر لغيره فكذلك التفكر ظاهر بذاته وكاشف عن كل معلوم[٤]. قوله تعالى:

(١) كرم، يوسف: تأريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص٥٣.

(٢) سورة الإنسان: آية: ٣.

(٣) يوسف، زينب بشارة: أساليب التربية في القرآن، ص٢١.

(٤) المظاهري، حسين: دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية، ص٣١٣.

{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[١]. ومن الأدلة على أهمية العقل قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الالبَابِ }[٢]. عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: "نبه بالتفكر قلبك؛ وجاف. عن الليل جنبك، واتق الله ربك". وقال (عليه السلام): "أفضل العبادة إدمان التفكر في الله. وفي قدرته"[٣]. والتفكر هو الآتي:

أ - معرفة الخالق: تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق والهدف الأسمى للتربية الإسلامية هي عبادة الله. فيقول (الغزالي): " إنّ تحصيل العلم بالله ومعرفته عبادة بل هو أفضل العبادات"[٤]. ويرى (اخوان الصفا): " أنّ المعرفة بالله تحتل قمة المعارف ولا تتم معرفة الإنسان بالله تعالى إلاّ بعد النجاة من الآراء الفاسدة "[٥].

ب - التفكر في الكون: يحرص القرآن أن يوجه القلوب والأنظار للتفكر في خلق الله، وتدبرالمشاهدة الكونية التي هي أثر من آثار القدرة الشاملة التي لايعجزها شيء، وكل ما في الكون من مشاهد سماوية وأرضية يجري بتدبير دقيق[٦]. قوله تعالى: { أَفَلَمْ يَنظُرُوا إلى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ. وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً

(١) سورة النحل: آية: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٩٠.

(٣) الكليني: الكافي، ج٢، ص٥٤- ٥٥.

(٤) خضر، فخري رشيد: تطور الفكر التربوي، ص١٢٩.

(٥) العبد، عبد اللطيف محمد: في فكر اخوان الصفا، القاهرة، ١٩٧٦، ص١٩٢.

(٦) قنيتي، حامد صادق: الكون والإنسان في التصور الإسلامي، ط١، ١٩٨٠، ص٤٧-٥٤

وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ }[(١)].

ج - التفكر في خلق الإنسان: فعلى الإنسان التفكر في خلقه وكيفية تكوينه[(٢)]. قوله تعالى: { يا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ }[(٣)]. فيرد الإسلام الإنسان إلى خالقه ويصله به مباشرة بقوله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ }[(٤)]. وكذلك قوله تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ }[(٥)]. وهنا تتجسد تربية الخالق للمخلوق

د - التفكر في الكائنات الحيه: حث القرآن على الإنسان الإمعان في الكائنات الحية، كالنبات، فقد وهب كل نبات من الخصائص ما لم يهبه لغيره، وأعدّه اعداداً مرتباً يأخذ من الأرض ما ينمو فيه خاصته، ويؤهله للغاية التي خلق من أجلها[(٦)]. قوله تعالى: { فَلْيَنْظُرِ الإنسان إلى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }[(٧)] وقد دعا القرآن الكريم إلى

---

(١) سورة ق: آية: ٦ - ٨.

(٢) القرشي، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام: ص٢٣٥.

(٣) سورة الحج: آية: ٥.

(٤) سورة ق: آية: ١٦.

(٥) سورة البقرة: آية ١٨٦.

(٦) القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٧) سورة سورة عبس: آية: ٢٤-٣٢.

الامعان في خلق الحيوانات أيضاً، والنظر في بديع صنعتها. قوله تعالى: { أَفَلا يَنظُرُونَ إلى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ }[١].

و - التفكر في أحوال الأمم: مما يدعو إلى إيقاظ العقل، وتنمية إدراكاته التدبر في أحوال الأمم والشعوب، والنظر في تاريخهم وشؤونهم، فهناك طائفة من الأمم سلكت الطريق النير، وابتعدت عن الوان الشذوذ والانحراف جميعها، وقد ظفرت بالحياة الكريمة التي تسودها الأمن والاستقرار[٢]. قوله تعالى: { وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ }[٣].

وهناك طائفة من الأمم لم تتبع العقل وانحرفت عن الطريق القويم، وشذت عن طريق الحق والعدل، فتدمرت وهلكت وخبا ذكرها وأفل نجمها. قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ. ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }[٤].

هكذا دعا القرآن الكريم المسلمين إلى التفكير في الأسباب والمسببات ونبه العقل لكي يبحث ويفكر في نفسه، وفيما حوله، ويؤمن بالاستدلال من الأثر على المؤثر، ومن الخلق على الخالق، ومن القدرة على القادر، ومن الإبداع

---

(١) سورة الغاشيه: آية: ١٧.

(٢) القرشي: النظام التربوي في الإسلام: ص٢٣٩.

(٣) سورة النور: آية: ٥٥.

(٤) سورة يونس: آية: ١٣- ١٤.

على المبدع...[١]

٢- التربية الإيمانية

من أهم سمات التربية القرآنية التدرج في اكتساب القيمة، حتى تتمكن في النفس المؤمنة وتصبح جزءاً أساسياً من مكوناتها الثقافية والأخلاقية. وهي التربية التي تعمل على النمو السليم المتوازن بالروح، والعقل، والنفس والجسم، وتهدف التكييف الاجتماعي[٢]. فالتربية القرآنية هي تربية إيمانية تقوم على الإيمان بالله عزّ وجلّ الذي خلق الكون والإنسان والحياة الذي يستحق وحده العبادة[٣]. كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٤]. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّنَا﴾[٥]. ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُوا﴾[٦]. ﴿لَّيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾[٧]. ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ

---

(١) نوفل، عبد الرزاق: المسلمون والعلم الحديث، دار الشروق، ط١، ١٩٨٨، ص٣٠.

(٢) يوسف، زينب بشارة: اساليب التربية في القرآن، ص٢٧.

(٣) الساموك، سعدون محمود: تدريس التربيه الإسلامية، دار وائل، الأردن، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٦.

(٤) سورة البقرة: آية: ٦٢.

(٥) سورة القصص: آية: ٥٣.

(٦) سورة إبراهيم: آية: ٣١.

(٧) سورة البقرة: آية: ١٧٧.

وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [١]. فدلت الآيات القرآنية على لفظ الإيمان، فتربية القرآن للنفوس بالإيمان اندرجت تحت هذا الأسلوب الإلهي المتكامل مع حاجات الإنسان ومراعاتها.. وتؤكد التربية الإيمانية الجانب الأخلاقي فيها مثل:

١- الإخلاص: المراد من الاخلاص، هو إخلاص النية وأن يكون الهدف في دائرة الفكر والسلوك: هو الله تعالى فقط. وقد يكون هناك أشخاص من ذوي الإرادة القوية، تمنحهم القوة للوصول إلى أهدافهم، إلاّ ان الدافع الحقيقي لهم هو النفع المادي والمصلحة الذاتية، ولكن أولياء الله والسالكين في خط الحق والإيمان يتمتعون باخلاص النية لله تعالى إلى جانب الارادة القوية. ونرى في القرآن الكريم والروايات الإسلامية ان عنصر (الاخلاص) إلى درجة من الاهمية، إذ يعد العامل الاساس في حركة الإنسان والحياة للفوز في الدنيا والآخرة، وكل عمل في الإسلام، لا يقبل إلاّ إذا توفر عنصر الإخلاص لله تعالى، هذا من جهة. ومن جهة أخرى نرى أنّ الاخلاص يعد من أصعب الأمور، ولا يصل إلى الدرجة العليا من الاخلاص الا المقربون، رغم ان حالة الاخلاص محمودة في أي مرحلة ومرتبة[٢].

فالإخلاص يعني صدق العبد في توجهه إلى الله اعتقاداً وعملاً، قال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [٣]. { وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [٤]. { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } [٥]. لذا فإنّ

---

(١) سورة الاعراف: آية: ١٢٦.

(٢) الشيرازي: الأخلاق في القرآن، ج١، ص٢٣٢.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) سورة الاعراف، آية: ٢٩.

(٥) سورة ص، آية: ٨٢- ٨٣.

الإخلاص في القول والعمل، أساس القبول عند الله. عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [١]. قال: ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الاصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ؛ والعمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلاّ الله عزّ وجلّ والنية أفضل من العمل، ألا وإنّ النية هي العمل، ثم تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ [٢]. يعني على نيته[٣].

ويشير الغزالي إلى هذا إذ يقول " اعلم أنّ كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه خلص عنه سمي خالصاً، ويسمى الفعل المصفى المخلص: إخلاصاً، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [٤]. فإنّما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به، والإخلاص يضاده الإشراك، فمن ليس مخلصاً فهو مشرك إلاّ أنّ الشرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضاده الشرك في الإلهية. والشرك منه خفيّ ومنه جليّ، وكذا الإخلاص. والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحلة القلب إنّما يكون ذلك في القصود والنيات"[٥].

٢- التقوى والورع: التقوى: هو ان لايراك الله إذ نهاك ولا يفقدك إذ أمرك

---

(١) سورة الملك: آية ٢.

(٢) سورة الاسراء: آية: ٨٤.

(٣) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٦.

(٤) سورة النحل، آية: ٦٦.

(٥) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٤، ص٣٦٧.

وبمعنى آخر هو الخشية والخوف من الله عزّ وجلّ، وهو اتقاء ما يجر الإنسان إلى النار أيضاً بالإمتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه بالتخلي عن كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة. وأما الورع: فهو الاجتناب عن الحرام والتنزه عنه وعن مال الحرام أكلاً وطلباً وأخذاً واستعمالاً، وهو بكف النفس عن مطلق المعاصي ومنعها عما لا ينبغي. والورع والتقوى من أعظم المنجيات وطريق لنيل أرفع الدرجات[١].

قال تعالى: { وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }[٢]. { اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ }[٣].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إتّق الله بعض التقى وإن قلّ، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رقّ[٤].

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (إنّ لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء بالعهد، وقلة العجز والبخل، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء وقلة المؤاتاة للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، واتباع العلم، فيما يقرب إلى الله، طوبى لهم وحسن مآب)[٥].

عن عمرو بن سعيد بن هلال قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أوصني، قال أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنّه لا ينفع اجتهاد

---

(١) الهاشمي: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص٥١٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

(٣) سورة ال عمران، آية: ١٠٢

(٤) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج٩، ص١٤٠.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٨٢.

لاورع فيه) [١].

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إنّ الإسلام ليس مجرد تفكير وتدبّر وخشوع يتحرك في داخل العقول والقلوب، وإنّما هو منهج حياة واقعي، يدعو إلى استنهاض الهمم والعزائم وتقوية الإرادة؛ لتنطلق في الواقع مجسدة للمفهومات والقيم الإلهية بصورة عملية، وهو يدعو إلى النهوض بالتكاليف الالهية في عالم الضمير وعالم الواقع على حدٍّ سواء، والاستقامة على ضوئها. وبما أنّ الإنسان يحمل في جوانحه الاستعدادات المختلفة للخير والشر وللفضيلة والفجور، ويتأثر بالعوامل الخارجية كالمغريات والمثيرات المتنوعة، فضلاً عن دور الشيطان في الوسوسة والإغراء، فهو بحاجة إلى من يهديه ويرشده ويقوّم له تصوراته وعواطفه وممارساته العملية، لتكون موصولة بالعقيدة والشريعة الإسلامية، ولهذا شرع الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليقوم به الإنسان المسلم إيقاظاً للقلوب البشرية الغافلة، وتحريكاً للإرادات الضعيفة لتستقيم على أساس المفهومات والموازين الإلهية فأوجب سبحانه وتعالى الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله من التكاليف الأساس[٢].

ونجد أنّ (المعتزلة) يؤكدونه في اصولهم الخمسة ويعتبرونه أحد هذه الأصول إذ يقولون تجيء أهمية هذا البعد من خلال واقعيته التطبيقية وألعملية تنفيذا للأمر القرآني ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [٣]. ونجد (المعتزلة) يستشهدون بقضية الإمام الحسين (عليه السلام) أبرز

---

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص٧٨.

(٢) إصدار مركز الرسالة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص١٣.

(٣) سورة آل عمران: آية: ١١٠.

نماذج هذا المبدأ إذ برهن بخروجه على السلطة وبثورته التي قادها حتى النهاية في مقاومة قهر الحكام الظلمة والسلطة المستغلة وانتصارا للمثل الإسلامية بأن يدفع حياته استجابة لمبدأ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[١]. إذ قال الإمام الحسين (عليه السلام): إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله وسلم) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي عليٍّ[٢].

وبالاَمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتهيأ الأجواء الروحية والنفسية للانتصار على الأهواء والشهوات، والتعالي على أثقال المطامع؛ لأنّه يتتبع دخائل النفوس، وينفذ إليها بالكلمة الطيبة والقول السديد. فإنّ النفوس تتلقى وتستجيب لمن يريد تربيتها واصلاحها، وإنّها لتتطلع إلى أُفق أرحب واهتمامات أرفع، وتتوجه إلى الفضائل والمكارم وحسن السيرة إذا ما تمّ تعاهدها بالمعروف، وإبعادها عن ساحة المنكر. والاَمر بالمعروف يدفع إلى العمل الصالح بعد التعالي على أغلال الإنحراف والفساد جميعها، فيصبح الإنحراف والفساد فلتة عارضة وحادثة منقطعة، تعود إلى الأصل وهو الاستقامة على المنهج الذي يريده الله تعالى[٣]. قال تعالى { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[٤].

عن أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) قال في وصيّته لولده محمّد بن

---

(١) الراوي، عبد الستار عز الدين: فلسفة العقل، بغداد، ١٩٨٤، ص١١٣.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٣) اصدار مركز الرسالة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٣٩.

(٤) سورة ال عمران، آية: ١٠٤.

الحنفية: يا بني اقبل من الحكماء مواعظهم، وتدبّر أحكامهم، وكن آخذ الناس بما تأمر به، وأكفّ الناس عمّا تنهى عنه، وأمر بالمعروف تكن من أهله، فإنّ استتمام الأمور عند الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

٣- الإنسان ومسؤوليته في القرآن الكريم

ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان بشرف تحمله المسؤولية، زيادة على ما كرمه بالعقل وفضله على سائر المخلوقات وذلك ان الإنسان اشرف الخلق، فلم يخلق عبثاً، ولم يترك هملاً، بل إنّ الله خلقه لا ستعمار الأرض، وشرفه بخلافته على الأرض، ليبتليه في عمله خيراً أم شراً. قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [٣] والإنسان هو تكريم وتشريف سجله القرآن في آياته البينات[٤]. إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [٥]. ويظهر من القرآن[٦].

أ - أنّه خليفة الله في الارض، قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٧].

---

(١) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج٤، ص٤٢٠.

(٢) سورة المؤمنون: آية: ٥.

(٣) سورة هود: آية: ٦١.

(٤) نصير، آمنة محمد : إنسانية الإنسان في الإسلام، دار الشروق، ط١، ١٩٨٩، ص٣٩.

(٥) سورة الاسراء: آية: ٧٠.

(٦) المظاهري، الشيخ حسين: دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية، دار التعارف، ص٣٨.

(٧) سورة البقرة: آية ٣٠.

ب - أنّه مظهر الأسماء والصفات كلها، قال تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا }[١].

ج - أنّه روح الله تعالى، قال تعالى: { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }[٢].

د - أنّه مسجود الملائكة، قال تعالى: { فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ }[٣].

هـ - أنّه حامل أمانة الله تعالى، قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا }[٤].

إنّ الإنسان ينماز عن البهائم كونه (موجوداً... عاقلاً... ذا قدرة وحرية) - وهذه شروط المسؤولية - فهو الموجود القادر على كشف سبل الحقيقة وسنن التكامل..ولذلك عرض خالقه الحكيم أمانته عليه بعد ان أبت حملها السماوات والأرض والجبال لعظمة الأمانة ونوعيتها الجسيمة وفقدان تلك الشروط في هذه الموجودات، إلاّ أنّ غالبية البشر على امتداد التأريخ قد استهانوا بهذه الأمانة الإلهية، ولم يتورعوا في الخيانة، بترك تحملهم لمسؤولية حفظ الأمانة وأدائها، ولذلك قال عنهم الله عزّ وجلّ: { إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا } هذه الامانة ومسؤوليتها عظيمة بل شك وريب، والإنسان حينما وافقت فطرته ان تتحمل

---

(١) سورة البقرة: آية ٣١.

(٢) سورة الحجر: آية: ٢٩.

(٣) سورة الحجر: آية: ٣٠.

(٤) سورة الاحزاب ٧٢.

مسؤولية هذه الأمانة - أي أن يكون على وفق رسالة الله - قد تستدرجه هواه إلى الخيانة (النفاق والمعصية)، ولكن هناك من يتراجع عن الخيانة بسرعة فيتوب إلى الله (صاحب الأمانة)[١].

وإنّ الله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وبين له سبل الخير وسبل الشر. مانحاً إيّاه حرية الاختيار وملقياً عليه أعباء اختيار سبل الشر. قال تعالى: { مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً }[٢].

فالمسؤولية إذا يترتب عليها الثواب لمن اهتدى سبل الخير في الحياة، كما يترتب عليها العقاب لمن ضل هذه السبل.

والإنسان مشروط في القرآن بالتكليف الذي تسعه طاقة المكلف وبالسعي الذي يسعاه إلى ربّه ولنفسه[٣]. قال تعالى: { لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا }[٤]. { وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى }[٥]. { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }[٦].

وهناك من الآيات القرآنية التي تستعمل كلمة (المسؤولية) في سياق ما يرتبط بالآخرة بكونها دار الحصاد لما يزرعه الإنسان في دنياه من خير وشر.... كما

(١) البحراني، عبد العظيم المهتدي: العلم والعلماء في الكتاب والسنة دار البيان العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٩، ص٢٦.

(٢) سورة الإسراء: آية: ١٥.

(٣) العقاد، عباس محمود: الإنسان في القرآن، دار الإسلام، القاهرة، ص١٥.

(٤) سورة البقرة: آية: ٢٨٦.

(٥) سورة النجم: آية: ٣٩

(٦) سورة الزلزلة: آية: ٧- ٨.

تستعمل الكلمة في سياق ما يرتبط بالدنيا بصفتها محطة التزود والتاثير والتاثر. قال تعالى: { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ }[١].

وقال تعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }[٢].

عن عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، قال: فسمعت هؤلاء من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحسب النبي (صلى الله عليه وآله سلم) قال والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[٣].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عزّ وجلّ فيما حملكم من كتابه فإنّي مسؤول وإنكم مسؤولون إنّي مسؤول عن تبليغ الرسالة وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي[٤].

إذن المسؤولية هي أمر فطري عند كل إنسان، يتعهد بها إما في سبيل الخير والصلاح، وإما في سبيل الشر والفساد..بل يصح القول " إنّ من لم يتحمل

---

(١) سورة الصافات: آية: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء: آية: ٣٦.

(٣) الديلمي، حسن بن أبي الحسن: إرشاد القلوب، ج١، ص١٨٤.

(٤) الكليني: أصول الكافي، ج٢، ص٦٠٦.

مسؤولية الخير با ختياره فإنَّهُ يتحمل مسؤولية الشر باختياره تارة وبغير اختياره تارة أخرى" فينبغي للإنسان المسلم عالماً كان أو متعلماً أن يتحمل مسؤوليته في سبيل الإنجاز الأحسن للقيم الإلهية، وإلاّ فإنّ القيم الجاهلية سوف تأخذ من جهوده وطاقاته ماخذاً كبيراً وتؤدي به إلى الهلاك والانحراف عن القيم الأصلية التي دعا إليها القرآن والسنة النبوية الشريفة، وعند ذلك تقع عليهم مسؤولية الإنحراف عن ثقافة الأمة وأصالتها الإسلامية، ولا ينفع الندم ما ضيعه الزمن. فالإنسان مسؤول... مسؤول أمام ربّه الذي خلقه... مسؤول أمام نفسه كيف يصوغها؟ وأين يضعها؟... مسؤول أمام مجتمعه كيف يتعامل معه ويعاشر الناس فيه؟... مسؤول أمام الكون وما في الطبيعة من موجودات كيف يسخرها لصالح الأعمال ويذللها لخير الإنسان وتكامل البشرية؟ وكلما يكون الإحساس بالمسؤولية أقوى في نفس الإنسان كلما ازدادت مبادراته الإيجابية وسبقه إلى الخيرات..وكلما كان الإلتزام بالمسؤولية أكثر والتعهد بها وانتشاره بين الأفراد أوسع كلما تعمقت الثقة بين الناس وصارت للعقود والعهود والعلاقات بينهم متانة وضمانة أكبر، فمن عطاء المسؤولية شرف المجتمع وسمعته وأمانة الناس وطمانينتهم. ثم من أهم شروط تحمل المسؤولية هو الوعي لها..الوعي بأبعادها.. أهميتها.. آثارها ومعطياتها على صعيد شقاء الإنسان وسعادته..فمن لا يعرف ربّه سوف لا يفهم نفسه، ومن لا يعرف دينه سوف يجهل مصيره، ومن ثمَّ لا يتحمل (المسؤولية).. أمّا الإنسان العارف بربِّه ونفسه ودينه ومصيره..والذي يعلم ما يدور حوله علما سليما. ويرى الموجودات في الكون كله منظومات مرتبطة ببعضها الآخر وهو - أي الإنسان - جزء من فصيل هذه المخلوقات، فإنّه يشعر (بالمسؤولية) شعوراً عميقاً، يندفع نحو انجازها ويتألم حين فقدانها. بل الإنسان العالم والعالم الملتزم يبحث دائماً عن

المسؤولية تلو أخرى، تجده لا يعرف الملاك ولا الكسل، طاقاته متفجرة، ينتقل من عمل إلى عمل.. من عطاء إلى عطاء، ليدفع بطاقاته إلى المزيد ثم المزيد، هذا ولان علم الإنسان ونوعية وعيه لأمور الحياة ركن أساس في سلوكه ومستوى تفاعله مع (المسؤولية)[١].

قال الإمام الصادق (عليه السلام): يا هشام أصلح يومك الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو؟ وأعد له الجواب فإنّك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر وأهله فإنّ الدهر طويلة قصيرة فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك لتكون أطمع في ذلك، وأعقل عن الله، وانظر في تصرف الدهر وأحواله فإنّ ما هو آتٍ من الدنيا كما ولى منها فاعتبر بها[٢].

٤- التربية النفسية

إنّ النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد، ويربو ويغتذي[٣].

اهتم القرآن الكريم في النواحي النفسية للنفس البشرية، واهتمامه بالتربية النفسية، أو تربية الضمير ليحث المسلم على ايقاظ الحس الداخلي للإنسان من خلال ضميره المتيقظ وتحديد موقفه من الحلال والحرام، والخير والشر[٤].

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إذا أويت إلى فراشك فانظر ما سلكت في بطنك وما كسبت في يومك واذكر أنّك ميت وأنّ لك معاداً[٥].

---

(١) البحراني، عبد العظيم المهتدي: العلم والعلماء في الكتاب والسنة، ص٣١- ٣٢.

(٢) البحراني، عبد العظيم المهتدي: العلم والعلماء في الكتاب والسنة، ص٣١- ٣٢.

(٣) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج٢، ص٤٨١.

(٤) يوسف، زينب بشارة: اساليب التربية في القرآن،ص٣٤.

(٥) المجلسي: بحار الانوار، ج ٦٨، ص٢٦٧.

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإنّ عمل خيراً استزاد الله منه وحمد الله عليه، وان عمل شراً أستغفر الله منه وتاب إليه[١].

على الإنسان أن يعين في كل يوم وليلة وقتاً يحاسب فيه نفسه بموازنة طاعاته ومعاصيه ليعاتب نفسه ويقهرها لو وجدها في هذا اليوم وتلك الليلة مقصرة في طاعة واجبة أو مرتكبة لمعصية، ويشكر الله عزّ وجلّ لو أتت بالواجبات جميعها ولم يصدر منها معصية ويفعل كل ذلك لأنّه يعلم أنّ الله عزّ وجلّ سيحاسبه على الصغير والكبير والجليل والحقير وعلى مثاقيل الدر من عمله[٢].

قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾[٤].

فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب، وطالبها في الأنفاس والحركات، وحاسبها في الخطرات واللحظات، ووزن بميزان الشرع أعماله، وأقواله: خف في القيامه حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومابه، ومن لم يحاسب نفسه: دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامه وقفاته، وقادته إلى خزى سيئاته. قال تعالى: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[٥]. وقال الإمام الصادق (عليه

---

(١) بحار الانوار، ج٦٧، ص٧٢

(٢) الهاشمي، عبد الله: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص ٢٨٦.

(٣) سورة الزلزلة: آية: ٦- ٨.

(٤) سورة ال عمران: آية ١٦١.

(٥) سورة الحشر: آية: ١٨.

السلام) " إذا أراد أحدكم أن لايسأل ربه شيئاً إلاّ أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلاّ من عند الله تعالى، فإذا علم الله تعالى ذلك من قبل لم يسأله شيئاً إلاّ أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها فإنّ للقيامة خمسين موقفاً، وكل موقف مقام ألف سنة. ثم تلا: { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }[1].

فعلى الإنسان أن يراقب نفسه فإنها إن تركت طغت وفسدت ثم أن يراقب الله في حركة وسكون وأن يعلم أنّ الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت. كما في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }[2].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (من عرف نفسه فقد عرف ربَّه)[3].

ويقول ابن سينا: أما إذا فارقت النفس البدن وهيأتها استعلائية بقيت متصلة بالعالم الأعلى لابسة الجمال الأعلى منقطعة عن العالم الذي كانت فيه، والسعادة التي يحصل عليها الإنسان انما يحصل عليها اولئك الذين تنزهوا عن شواغل البدن واتجهوا إلى الكمال الأعلى عالم النور والسعاد[4].

ويتوجب على النفس التحلية بالأوصاف المحمودة... وتخليها عن الأوصاف المذمومة والمنطلق الذي تنطلق منه مناهج التربية، يقوم على ركيزة مستقاه من القرآن الكريم، وهي أنّ الإنسان فطر على نسيان الحق، فإذا لم يذكر به بصفة

---

(١) سورة المعارج: آية: ٤.

(٢) سورة النساء: آية: ١.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٦، ص٢٩٣.

(٤) التكريتي، ناجي: الفلسفة الأخلاقية الافلاطونية عند مفكري الإسلام، ص٣٢٢.

مستمرة انحرف عن جادة الصواب، وركن إلى الخمول والبلادة، فيتلقفه الشيطان ويوسوس له، ويحسن له باطل عمله، وبذلك تميل النفس إلى طبيعتها، فتنحرف إلى الاهواء والاماني الكاذبة، وتندفع إلى الغفلة والضياع، إذ إنّ أبا البشر آدم - (عليه السلام) نسى ولم يستطيع الصمود أمام غواية الشيطان. تصديقاً لقوله تعالى:

{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } [١]. فالنسيان إذن آفة مفطور عليها الإنسان، وعليه مغالبته بالعلم، والعلم بهذا العلم ممارسة عملية وإرشاد وتوجيه مستمر لتقوية العزم، والعزم نقيض النسيان[٢].

أقسام النفس في القرآن

١- النفس الأمّارة بالسوء

قال تعالى: **{ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ }** [٣].

والأمّارة بالسوء هي التي تمشي على وجهها تابعة لهواها. وتورط الإنسان في فعل الشرور واقتراف الذنوب. إنّ الآية حكاية على لسان إمراة العزيز التي راودت يوسف (عليه السلام) عن نفسه وهي الآن في موقف الاعتراف بجريمتها بعد ان كانت قد اتهمته بالتعدي عليها. وهي إذ تقر الآن بأنّها هي التي راودته عن نفسه تقرر أنّ النفس أمّارة بالسوء أيضاً، ثم يكون الاستدراك (إلاّ ما رحم ربّي).فهي تؤكد أنّها كانت مدفوعة إلى فعلتها تلك دفعا، تحت ضغط والحاح شديدين من

---

(١) سورة طه: آية: ١١٥.

(٢) الشرقاوي، حسن: نحو تربية إسلامية، ١٩٨٣، ص٣١٠- ٣١١.

(٣) سورة يوسف آية: ٥٣.

نفسها الأمارة بالسوء. وأنّ النفس الأمّارة بالسوء ربما احتالت على العقل وعلى الضمير مستغلة شيئاً من تهاونهما، فحققت أغراضها، عن طريق تقديم مبررات مغلوطة لأفعالها، أو عن طريق الالتفات في ظاهر الأمر بما لا يأباه العقل والضمير، ومن ثم قد يصنع الإنسان عملاً يحسب أنّه لاضير منه، في حين تكون نفسه الأمارة بالسوء قد أنفذت غرضها من خلاله. وهذا يحتاج من الإنسان إلى تنبه شديد إلى نفسه، وإلى محاسبة لها بين الحين والآخر على نحو ماسيدلنا عليه الهدى القرآني[١].

عن الإمام علي (عليه السلام) قال: " إنَّ هذِهِ النَّفْسَ لأمارَةٌ بِالسُّوْءِ فَمَنْ أهْمَلَها جَمَحَتْ بِهِ إلى المَ آثِمِ"[٢].

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: " طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله، ومن جاور عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الرب من النفس والهوى، وليس لقتلهما في قطعهما سلاح واله مثل الافتقار إلى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل، فإنّ مات صاحبه مات شهيداً، وان عاش واستقام أداؤه عاقبته إلى الرضوان الأكبر. قال الله عزّ وجلّ: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }[٣].

وقد أشار (افلاطون) بالنفس الأمارة بالسوء بالقوة الشريرة المنحطة فهي ما يسمى باسم (القوة الشهوية) التي تصدر عن الاحساسات والتي يسودها عنصر

(١) إسماعيل، عز الدين: نصوص قرآنية في النفس الإنسانية، ص١٧٩- ١٨٠.

(٢) الإسلامي: حسين: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٦٠٣.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، ج٦٨، ص٦٩.

اللذة والألم بالمعنى الحسي الخالص، وهذه القوة موضعها البطن[١].

٢- النفس اللوامة

قال تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ. وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [٢]. المراد به النفس الإنسانية أعم من المؤمنة الصالحة والكافرة الفاجرة فإنّها تلوم الإنسان يوم القيامة أما الكافرة فإنّها تلومه على كفره وفجوره، وأما المؤمنة فإنها تلومه على قلة الطاعة وانتفاء الاستكثار من الخير. والقائل إنّ النفس اللوامة هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعة، وأنّ المؤمن لا تراه إلاّ لائماً نفسه، وأما الجاهل فإنّه يكون راضياً بما هو فيه من الأحوال الخسيسة. فاللوم هو عملية مستمرة مع الإنسان. والتقابل واضح بين النفس اللوامة والنفس الأمّارة بالسوء. إنّهما يقفان على طرفي نقيض، طرف يجذب الإنسان إلى حضيض الخسة، وآخر يقف له بالمرصاد، يسجل عليه أخطاءه، ويؤنبه على أفعال السوء التي يرتكبها، سواء بالفعل أو بالنية المبيتة. ولأنّ هذا الجانب من النفس هو الجانب النظيف الشريف الرادع للنفس الأمارة بالسوء، فقد أقسم الله تعالى به، بعد أن أقسم بيوم القيامة، فيوم القيامة هو يوم الحساب أيضاً، والنفس اللوامة هي ذلك الجانب من النفس أيضاً الذي ما يفتأ يناقشها الحساب. النفس اللوامة هي حساب النفس في الحياة الدنيا، ويوم القيامة هو حساب النفس في الاخرة. والإنسان الذي ما يفتا يلوم نفسه إنسان فيه صلاح، لأنّ لوم النفس علامة على أنّ الإنسان غير راضٍ عن أفعاله، منكر لها، وعندئذ يكون اللوم أول مراحل العدول عن مواطن الخسة، واللواذ بالتقوى[٣].

---

(١) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج١، ص١٧٨.

(٢) سورة القيامة: آية: ١-٢.

(٣) إسماعيل، عز الدين: نصوص قرآنية في النفس الإنسانية، ص١٨١.

وقد أشار إليها (افلاطون) بالقوة الغضبية، قوة الكبرياء أو توكيد النفس أو السيطرة أو محاولة السيادة على الآخر، وهذه القوة موضعها الصدر، أو القلب بعبارة أدق[١]. كما أشار إليها كذلك (ابن مسكويه) بالقوة الغضبية هي التي تسمى السبعية وآلتها التي توظّفها من البدن - القلب[٢].

٣- النفس المطمئنة

قال تعالى: { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي }[٣].

والنفس المطمئنة هي التي تسكن إلى ربها وترضى بما رضي به، فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شر أو نفع أو ضرر، ويرى الدنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أي نفع وضر إبتلاء وإمتحاناً إلهياً، فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر، بل هو في مستقر من العبودية، لا ينحرف عن صراطه المستقيم بافراط أو تفريط. وتوصيفها بالراضية، لأنّ اطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدر وقضى تكوينا أو حكم به تشريعا، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصيته، وإذا رضي العبد من ربه رضى الرب منه، إذ لا يسخطه تعالى إلاّ خروج العبد من زي العبودية فإذا لزم طريق العبودية، استوجب ذلك رضى ربه ولذا عقب قوله (راضية) بقوله (مرضية)[٤].

---

(١) بدوي: موسوعة الفلسفة، ج١، ص١٧٨.

(٢) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٢٤.

(٣) سورة الفجر: آية: ٢٧-٣٠.

(٤) السيد الحيدري، كمال: التربية الروحية، دار فراقد، ط٢٠، ٢٠١٢، ص٧٢.

والنفس المطمئنة عند (الفارابي) الآتية: "إنّ النفس المطمئنة كمالها عرفان الحق الأول بإدراكها فعرفانها للحق الأول برتبة قدسه على ما يتجلى لها هو اللذة القصوى"[(١)].

أما (ابن سينا) يقول: إذا راضت النفس المطمئنة قوى البدن انجذبت خلف النفس في مهماتها التي تنزعج إليها؛ احتيج إليها أو لم يحتج، فإذا اشتد الجذب، اشتد الانجذاب، واشتد الاشتغال عن الجهة المولى عنها"[(٢)].

وقال النراقي على هذه المراتب للنفس الإنسانية: " والحق أنّها أوصاف ثلاثة للنفس بحسب اختلاف أحوالها، فإذا غلبت قوتها العاقلة على الثلاث الآخر، وصارت منقادة لها مقهورة منها، وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت "مطمئنة" لسكونها حينئذ تحت الاوامر والنواهي وميلها إلى ملائماتها التي تقتضي جبلتها.

وإذا لم تتم غلبتها وكان بينها تنازع وتدافع، وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصي، وحصلت للنفس لوم وندامة سميت " لوامة". وإذا صارت مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت " الأمّارة بالسوء" لأنّه لما اضمحلت قوتها العاقلة واذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة، فكأنّما هي الأمرة بالسوء"[(٣)].

---

(١) الفارابي: فصوص الحكم، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٦، ص٦٥.

(٢) ابن سينا: الاشارات والتنبيهات، ج٤، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص١١٤.

(٣) النراقي، محمد مهدي: جامع السعادات، ج١،ص٣٢. ينظر الحيدري، التربية الروحية، ص٧٣.

وتقدم الغزالي فيما يخص النفس وهي المكون الثالث من بعد القلب والروح من مكونات الطبيعة الإنسانية بتحديد لطبيعتها، وهذا التحديد يحوى معنيين:

١- المعنى الجامع لقوتي الغضب والشهوة في الإنسان.

٢- اللطيفة الموجودة في القلب (الروح) التي تشكل حقيقة الإنسان. وتوصف بأوصاف مختلفة وهي "النفس المطمئنة" وإنّها ساكنة لا تتعرض لأي اضطراب.

و"النفس اللوامة" وهي النفس المندفعة نحو الشهوات، و"النفس الأمّارة بالسوء" وهي التي تابعت الشيطان واعتنت بمقتضى الشهوات[1].

ثالثا - وسائل التربية في القرآن الكريم

لقد حوى القرآن الكريم طرائق متعددة في التربية منها:

١- التربية بالقدوة

القدوة إنّما هي الحب والاحترام فلم تكن العلاقة بين المقتدي والمقتدى علاقة استعلاء وتسلط وقهر فكري أو مادي، ولكنها اقتداء واقتفاء لخطوات راشدات وسيرة حميدة واستقامة واعية. ولقد أمر نبيُّنا مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) أن يقتدى بالأنبياء السابقين في أخلاقهم الحميدة وشيمهم الرفيعة، يقتدي بهم من خلال سيرهم وصبرهم على الاذى في سبيل نشر الدعوة، فكانت حصيلة الدرس الإلهي زاخرة بالمناقب والفضائل التي تحلى بها رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) إذ جمع ما كان مجتمعاً فيهم من صفات الكمال وحميد الخصال فنال باستيعابه الدرس التطبيقي أعظم شهادة وأسمى جائزة، فلا جرم إن كان خاتم الأنبياء

(١) فرحان، محمد جلوب: دراسات في فلسفة التربية، ص٢٠.

والمرسلين[١]. عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "إنّ الله عزّ وجلّ أدب نبيه فأحسن أدبه فلما اكمل له الأدب قال: {إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده[٢]. فكان (صلى الله عليه وآله) خلقه القرآن[٣].

فكان النبي (صلى الله عليه واله) أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم، لم تمس يده يد إمرأة لا تحل، وأسخى الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإنّ فضل ولم يجد من يعطيه ويجنه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى أنّه لربّما يحتاج إليه قبل انقضاء العام إن لم يأته شئ، وكان يجلس على الأرض، وينام عليها، ويأكل عليها، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويعقل البعير فيحلبها، ويطحن مع الخادم إذا أعيا، ويضع طهوره بالليل بيده، ولا يتقدمه مطرق، ولا يجلس مكتئاً، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم، وإذا جلس على الطعام جلس محقراً، وكان يلطع أصابعه، ولم يتجشأ قط، ويجيب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع، ويقبل الهدية ولو أنّها جرعة لبن ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، لا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربّه ولا يغضب لنفسه وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد، لا يلبس ثوبين، يلبس برداً حبرة يمينة،

---

(١) الفورتيه، احمد جهان: القرآن اصل التربية وعلم النفس، دار الملتقى، قبرص، ط١، ١٩٩٤، ص٤٩.

(٢) الكليني: الكافي، ج١، ص٦٦.

(٣) بن عثيمين، محمد بن صالح: مكارم الأخلاق، دار الإيمان – الإسكندرية، ص٥٣.

وشملة جبة صوف، والغليظ من القطن والكتان، وأكثر ثيابه البياض، ويلبس العمامة، ويلبس القميص من قبل ميامنه، وكان له ثوب للجمعة خاصة، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً، وكان له عباء يفرش له إذ ما ينقل تثنى ثنيتين، يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن، يحب البطيخ، ويكره الريح الردية: ويستاك عند الوضوء، يردف خلفه عبده أو غيره، يركب ما أمكنه من فرس أو بلغة أو حمار، ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، ويمشي راجلاً وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، ويشيع الجنائز، ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلاّ بما أمر الله، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، وكان أكثر الناس تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن أو لم تجر عظة، وربما ضحك من غير قهقهة، لا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ما شتم أحداً بشتمة ولا لعن إمرأة ولا خادماً بلعنة، ولا لآموا أحداً إلاّ قال: دعوه، ولا يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلاّ قام معه في حاجته، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفر ويصفح، يبدأ من لقيه بالسلام ومن رامه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها وإذا لقي مسلماً بدأه بالمصافحة، وكان لا يقوم ولا يجلس إلاّ على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلاّ خفف صلاته وأقبل عليه، وقال: ألك حاجة؟ وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً، يجلس إذ ينتهى به المجلس، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي

تحته، وكان في الرضا والغضب لا يقول: إلاّ حقاً[١]. عن أبيه الإمام الحسين بن علي عن أبيه الإمام علي (عليه السلام) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها وسمعته صلى الله عليه وآله يقول: استتمام المعروف أفضل من ابتدائه[٢]. فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدوة في أخلاقه وقدوة في تربيته للأمة قال تعالى: ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[٣]. فكان مربياً حملت مناقب المربي فيه، فهو رفيق في تعليمه ويقول: " ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف " فكان يصل إلى قلوب الناس بالين السبل حتى قال سبحانه وتعال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٤]. فهو أعظم من تمثل خلق القرآن فنجده القريب من النفوس، الحبيب إلى القلوب[٥]. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدوة في تربيته لأولاده. لقد عمل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) زيادة على توصية أتباعه الاهتمام بتربية الأطفال وبذل العناية البالغة بإحياء الشخصية فيهم، على تطبيق النكات والدقائق اللازمة جمعيها بخصوص أولاده. فقد بعث فيهم الشخصية الكاملة منذ الصغر، لقد كان (صلى الله عليه وآله) يراقب أطفاله منذ الأيام الأولى للولادة، فالرضاع، فالادوار الأُخَر خطوة خطوة، ويرشدهم إلى الفضائل العليا والقيم المثلى، يحترمهم ويكرمهم

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج١٦، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٦، ص٤٠٥.

(٣) سورة البقرة: آية: ١٢٩

(٤) سورة ال عمران: آية: ١٥٩

(٥) القرني، عائض بن عبد الله: محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأنّك تراه، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ص١٤٦.

حسب ما يليق بهم من درجة تكاملهم الروحي، وأهم من ذلك أنّه كان لا يقصر اهتمامه على أولاده فقط، بل كان يهتم بتربية أطفال الآخرين أيضاً، فقد كان - في الواقع - مربياً عظيماً وأباً عطوفاً لأطفال المسلمين أيضاً، وكان يسعى إلى إحياء الشخصية الفاضلة فيهم قدر المستطاع[١].

فالقدوة هي من أهم الركائز التربوية التي انتظمها المنهج القرآني منذ التمهيد الأول لبدء الدعوة. وإذا كان رسولنا قد أمر بالاقتداء من قبل من اختاره واصطفاه، فإنّ أتباعه كانوا دعوا إلى أتخاذه أسوة يتأسون بها في شؤون حياتهم الخاصة والعامة كلها في تكامل لا يقبل التجزئة[٢]. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣].

٢- التربية بالأمثال أو التشابيه

وهي من وسائل التأثير التربوي في القرآن وهي ذات مغزى أخلاقي فهي تؤثر تأثيراً عميقاً في العواطف. قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا القرآن عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]. والقرآن الكريم مشتمل على الكثير من الأمثال والغرض منها أنّه سبحانه ضرب بها مثلاً للناس للتفكير والعبرة[٦]. قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

(١) الفلسفي، محمد تقي: الطفل بين الوراثة والتربية، ج٢، تعريب فاضل الحسيني الميلاني، ص٧٩.
(٢) الفورتيه، احمد جهان: القرآن أصل التربية وعلم النفس،ص٥٠.
(٣) سورة الأحزاب: آية: ٢١.
(٤) سورة العنكبوت: آية: ٤٣.
(٥) سورة الحشر: آية ٢١.
(٦) السبحاني، جعفر: الامثال في القرآن الكريم، ص١٧

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا } [(١)].

أي مثل الحياة الدنيا في بهجتها المعجبة ثم الزوال كمثل مطر أعجب الحراث نباته الحاصل بسببه ثم يتحرك إلى غاية ما يمكنه من النمو فتراه مصفر اللون ثم يكون هشيماً متكسراً - متلاشياً تذروه الرياح[(٢)].

وقال تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا } [(٣)]. أي واضرب لهؤلاء المتولهين بزينة الحياة الدنيا المعرضين عن ذكر الله مثلاً ليتبين لهم أنّهم لم يتعلقوا في ذلك إلاّ بسراب وهمي لا واقع له. (جنتين من اعناب) أي من كروم فالثمره كثيراً مايطلق على شجرها، وجعل النخل محيط بهما حافة من حولهما، (وجعل بينهما زرعا) أي بين الجنتين ووسطهما[(٤)].

قال الإمام علي (عليه السلام): «كتاب ربكم فيكم مبينا حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وامثاله»[(٥)].

روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده أمير المؤمنين علي (عليه

---

(١) سورة الحديد: آية: ٢٠

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص١٨٨.

(٣) سورة الكهف: آية: ٣٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٣٣١.

(٥) الرضي الشريف: نهج البلاغة، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ايران – قم المقدسة، ط١، ١٤١٩.

السلام) أنّه قال لقاض «هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟»، قال: لا، قال: «فهل أشرفت على مراد الله عزّ وجل في أمثال القرآن؟» قال: لا، قال: «إذاً هلكت وأهلكت». والمفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن وبواطن الإشارات والآداب والإجماع والاختلاف والإطّلاع على أصول ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه، ثم حسن الاختيار، ثم العمل الصالح، ثم الحكمة، ثم التقوى، ثم حينئذٍ إن قدر[١].

٣- التربية بالموعظة

قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٢]. فالقرآن مليء بالمواعظ والتوجيهات، نذكر منها. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالعَدْلِ إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ الله كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[٣] والمراد بالأمانات ما يعم الأمانات المالية وغيرها من المعنويات كالعلوم والمعارف الحق التي من حقها ان يبلغها حاملوها أهلها من الناس. ولما خانت اليهود الأمانات الإلهية المودعة عندهم من العلم بمعارف التوحيد وآيات نبوة الرسول مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) فكتموها ولم يظهروها في واجب وقتها، وإن الله سبحانه وتعالى أمر الناس بتأدية الامانات إلى أهلها، والعدل في الحكم[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أو هُمْ قَائِلُونَ. فَمَا

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٢، ص١٢١.

(٢) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٣) سورة النساء: آية: ٥٨.

(٤) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: ج٤، ص٤٠٢.

كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } [١].

هو تذكير لهم بسنة الله الجارية في المشركين من الأمم الماضية إذا اتخذوا من دون الله أولياء فأهلكهم الله بعذاب أنزله إليهم ليلاً أو نهاراً فاعترفوا بظلمهم[٢].

وقال تعالى: { وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [٣].

أي إنّ الله يدعوكم إلى الحياة الأخروية فتستجيبون إلى قبولها، وهو تكليف الناس بما يريده من دين بلسان آياته إنّ الله يدعو إلى دار السلام وهي الجنة إذ لا شر فيها ولا ضر على ساكنها، وقيل إنّها سميت دار السلام لأنّه تعالى لإنما سمي سلاماً لبراءته من كل شر وسوء ويهدي من يشاء إلى الطريق المستقيم[٤].

عن الهروي قال: سمعت علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبي من أنبيائه إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه والخامس فاهرب منه، قال: فلما أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم، فوقف وقال: أمرني ربي عزّ وجلّ أن آكل هذا وبقي متحيراً، ثم رجع إلى نفسه فقال ربي جل جلاله: إلا يأمرني إلا بما اطيق فمشي إليه ليأكله فلما دنا منه صغر حتى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله، ثم مضى فوجد طستاً من ذهب فقال: أمرني ربي أن أكتم هذا فحفر له حفرة وجعله فيه وألقى عليه التراب ثم مضى فالتفت فإذا

---

(١) سورة الاعراف: آية: ٤-٥.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص٦.

(٣) سورة يونس: آية: ٢٥

(٤) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٠، ص٣٦.

الطست قد ظهر فقال: قد فعلت ما أمرني ربي عزّ وجلّ فمضى فإذا هو بطير وخلفه بازي، فطاف الطير حوله، فقال: أمرني ربّي عزّ وجلّ أن أقبل هذا ففتح كمه فدخل الطير فيه فقال له البازي: أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيام فقال إنّ ربي عزّ وجلّ أمرني أن لا أويس هذا، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه ثم مضى فلما مضى فإذا هو بلحم ميتة منتن مدود، فقال أمرني ربي عزّ وجلّ أن أهرب من هذا، فهرب منه ورجع ورأى في المنام كأنه قد قيل له إنك قد فعلت ما امرت به فهل تدري ماذا كان؟ قال: لا، قيل له: أما الجبل فهو الغضب، إن العبد إذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب فإذا حفظ نفسه وعرف قدره وسكن غضبه كانت عاقبته كاللقمة الطيبة التي أكلها. وأما الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يظهره ليزينه به مع ما يدخرله من ثواب الآخرة. وأما الطير فهو الرجل الذي يأتيك بنصيحة فاقبله واقبل نصيحته. وأما البازي فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه. وأما اللحم المنتن فهي الغيبة فاهرب منها[١].

٤- التربية بالقصة

إنّ القرآن نزل للتأثير على النفوس، وما من شيء أشد أثراً على النفوس من التربية بالقصة، ولذا اعتمد القرآن إيراد الموعظة بنحو القصة وذلك لأنّ القصة تعطي دليلاً حسياً ملموساً لمن يسمعها، وكان الهدف من القصص القرآنية هو لإيصال النور والهداية إلى العقول والقلوب تتميز بقوتها وتأثيرها وإمكانية الإفادة منها وإدراكها وايصال أهدافها[٢].

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٤، ص١٨.

(٢) إصدار مركز نون للتاليف والترجمة: قصص القرآن: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، ←

قوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الالبَابِ }[(١)]. { وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ }[(٢)].

أ- نذكر أنموذجاً تربوي رائعاً يعتبر خير أُنموذج نقتدي به في التربية وهي وصايا لقمان لابنه.

قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ. وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ. وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أو فِي السَّمَاوَاتِ أو فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا الله إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ. وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ الله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ}[(٣)].

وهذه الوصايا في الآيات القرآنية هي إشارة إلى إيتاء لقمان الحكمة ونبذة من حكمه ومواعظه لابنه من إذ قصته المتلئة حكمة وموعظة لما قص من حديث من

٢٠٠٧، ص٧- ٨.

(١) سورة يوسف: آية: ١١١.

(٢) سورة هود: آية: ١٢٠.

(٣) سورة لقمان: آية: ١٢- ١٩.

كان يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم[١].

ب - قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أو أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ الله صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا. قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أهل قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. وَأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا. وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

---

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص٢٢٥.

صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [١].

قصّة موسى والعالم الّذي لقيه بمجمع البحرين وكان يعلم تأويل الحوادث ذكر الله سبحانه بها نبيّه (صلّي الله عليه وآله وسلّم) وهو من التذكيرات الواقعة إثر ما أمره في صدر السورة بالصبر والمضيّ على تبليغ رسالته والسلوة فيما يشاهده من إعراض الناس عن ذكر الله وإقبالهم على الدنيا وبيّن أنّ الذي هم مشتغلون به زينة معجّلة ومتاع إلى حين فلا يشقّنّ عليه ما يجده عندهم من ظاهر تمّتعهم بالحياة وفوزهم بما يشتهون فيها فإنّ وراء هذا الظاهر باطناً وفوق سلطتهم على المشتهيات سلطنة إلهيّة. فالتذكير بقصّة موسى والعالم كأنَّه للإشارة إلى أنّ لهذه الوقائع والحوادث الّتي تجري على مشتهى أهل الدنيا تأويلاً سيظهر لهم إذا بلغ الكتاب أجله فأذن الله لهم أن ينتبهوا من نومة الغفلة وبعثوا لنشأة غير النشأة يوم يأتي تأويله يقول الّذين نسوه من قبل لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ[٢].

في هذه السورة المباركة من كتاب الله تعالى، وهي جانب من تجربة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وما فيها من وقفات عظيمة المنفعة للدعاة وطلبة العلم، سواء في مسائل العقيدة أو مسائل التعامل مع المدعوين بصفة عامة ومع المقربين والصفوة من الأتباع بصفة خاصة. ولما تحمله هذه القصة من التواضع والتضحية والصبر في طلب العلم.

---

(١) سورة الكهف: آية: ٦٠-٨٢.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٣٦٦- ٣٦٧.

المبحث الثاني: التربية في السنة

تمهيد

وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد الكتاب المجيد، كما أنّها من أهم مصادر التشريع، وذلك لأنّ أكثر تفصيلات الأحكام الشرعية الفرعية تم التعرف عليها بواسطة السنة الشريفة. والمراد من السنة الشريفة هو " مطلق قول المعصوم وفعله وتقريره ". والتعبير بالاطلاق منشاؤه ما يبني عليه الامامية من حجية كل ما يصدر عن المعصوم من قول وفعل وتقرير، وأنّ ذلك لا يختص بما إذا كان المعصوم (عليه السلام) في مقام التبليغ، إذ إنّه ما من قول أو فعل أو تقرير يصدر عن المعصوم إلاّ وله دلالة على معنى، وهذا المعنى لابد وأن يكون مناسباً للشريعة، إذ هو مقتضى إفتراض العصمة المطلقة. ثم أنّ الغرض من اطلاق السنة على ما يصدر من مطلق المعصوم هو الإشارة إلى ما هو مبنى الإمامية من حجية مطلق ما يصدر عن الإمام (عليه السلام) والذي ثبتت له العصمة بالدليل القطعي. فالحجية لا تختص بما يصدر عن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) بل هي شاملة لمن ثبتت له العصمة من أهل البيت (عليهم السلام)، ولا نعني من ذلك أنّ مرتبة أهل البيت (عليهم السلام) هي عين مرتبة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) بل لأنّ مناط

حجية كل مايصدر عن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) إنما هو العصمة وهي ثابتة لأهل بيته (عليهم السلام) وان كل ما يصدر عن أهل البيت (عليهم السلام) إنما هو ملتقى عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن الكريم فهم معصمون في التلقي كما أنهم معصومون في الامتثال والبيان[١].

وتعد السنة النبوية فضلاً عن ذلك منبع أصل التربية. وهي ترجمة لحياة الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي يعبر عن سمو الأخلاق وعظمة الفكر[٢].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا"[٣].

إذ دعا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهمية التربية والتعلم وأوجبه بقوله " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " وكذلك دعا إلى الاستمرار في طلب العلم قائلاً " لا يزال الرجل عالماً، ما طلب العلم، فإذا ظنّ إنه قد علم فقد جهل " وكذلك أوجب الرسول (صلى الله عليه وآله) احترام أهل العلم قائلا " ليس من امتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقّه"[٤].

كما في قوله تعالى: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ. عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ } [٥].

(١) البحراني، محمد صنقور علي: المعجم الاصولي،ج٢، ص١٧٨.
(٢) سلامه، عبدالله: اضواء تربوية لمعلم التربية الإسلامية، ط٢، ٢٠١١، ١٦٥.
(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ص٤٢.
(٤) خضر، فخري رشيد: تطور الفكر التربوي، ص١٢٧.
(٥) سورة العلق: آية: ١

فاهتم النبي (صلى الله عليه وآله) بنشر الدعوة بشقيها: الدين والعلم، واستنهض الهمم للدراسة والبحث، وجمع الرسول من يجيدون الكتابة لتسجيل ماينزل من آيات القرآن الكريم. وكان أول من كتب له في المدينة، بن كعب الانصاري، وزيد بن ثابت، ودعا المسلمين إلى تعلم الكتابة والقراءة ليكتبوا القرآن، ويتعلموه، وينشروه. حتى أنّه كان في غزوة بدر كان فداء بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا صبيان المدينة..كل اسير يعلم عشرة..ولم يترك الرسول الكريم فرصة إلاّ اوضح فيها عمق اهتمامه بالعلم، ورغبته في أن يتعلم المسلمون[(١)]، فقد خرج رسول الله مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) ذات يوم، وراى مجلسين احدهما يدعون الله عزّ وجلّ، ويرغبون اليه، والثاني يعلمون الناس، فقال: " اما هؤلاء فيسالون الله تعالى فأن شاء اعطاهم وأن شاء منعهم، واما هؤلاء فيعلمون الناس. وإنّما بعثت معلما، ثم عدل اليهم وجلس معهم"[(٢)]. فكان الله يأمر النّبي (صلى الله عليه وآله) أن يلجأ إليه متضرعاً داعياً أن يزيده علماً **{ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا }** .[(٣)] وهذا الدعاء الذي يتجه به (صلى الله عليه وآله) إلى سبحانه وتعالى إنّما هو من أروع الأمثلة في التربية، وذلك أنّه صادر من الإنسان الكامل، إنّه صادر من رسول الله، أكمل الرسل - يبيّن للأمة أنّ الإنسان مهما بلغت به المنزلة ينقصه الازدياد من العلم[(٤)].

فكان (صلى الله عليه وآله) يحث المسلمين على العلم ونشره وتعاليمه،

---

(١) نوفل، عبد الرزاق: المسلمون والعلم الحديث، ص٣١.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج١، ص٢٠٦

(٣) سورة طه: آية: ١١٤.

(٤) د. محمود، عبد الحليم: القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص١٤٢.

وكانت حياته (صلى الله عليه وآله) كلها تربية وتعليماً لأمته: فصلاته وصيامه وصدقته وحجه وذكره لربه وكلامه وقيامه وقعوده واكله وشربه، كل هذا هو تعليم وأسوة لمن آمن به واتبعه[١]. قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

فالسنة جعلت أُسس العلم متسمة بالخير، ويجعل غايته منغمسة في الخير، ويجعل من العلم قربى إلى الله، ويجعل منه عبادة لله إنّ العلم في الجو الإسلامي هي قراءة باسم الله، ومن هنا كانت حضارة الإسلام، حضارة رحمة وهداية لا حضارة تدمير وتخريب فكان الرسول (صلى الله عليه وآله) هو رحمة مهداة[٣].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٤].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: " واشهد أنّ محمداً عبده الصفي، وأمينه الرضي (صلى الله عليه وآله) أرسله بوجوب الحجج وظهور الفلج، وإيضاح المنهج، فبلغ الرسالة صادعا بها وحمل على المحجة دالاً عليها وأقام أعلام الإهتداء ومنار الضياء وجعل أمراس الإسلام متينة، وعُرَى الإيمان وثيقة"[٥].

فيقول الكاتب الاسكتلندي (توماس كارليل): "إنّ رسول الله (صلى الله

(١) القرني، عائض بن عبدالله: محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأنك تراه، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ص١٦٣.

(٢) سورة البقرة: آية: ١٥١.

(٣) محمود، عبد الحليم: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دار الكتاب، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٨٥، ص٧٨.

(٤) سورة الانبياء: آية: ١٠٧.

(٥) الرضي: نهج البلاغة، ص٣٥٢.

عليه وآله) هو رجل عظيم وهو الذي علمه الله العلم والحكمة، فواجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء والرسالة التي أداها إلاّ حق صراح، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول"[١].

أولاً - أساليب التربية في السنة

عمل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بفضل أساليبه التربوية وتعاليمه الدينية العظيمة على قمع الصفات الرذيلة، وزرع مكانها الصفات الحميدة والملكات الفاضلة. ومن هذه الأساليب:

١- التربية الجسميه والنفسية

يدعو الإسلام إلى العناية بالجسم وإشباع حاجاته ودوافعه فالإسلام حرص على إيجاد شخص سليم الجسم يستطيع تحمل أعباء الحياة، وان لايكون عالة على غيره سواء في عبادته كالطهارة، والصلاة، والحج، والجهاد، وسواها، ويرى أنّ للبدن حقاً على صاحبه[٢]. لقول الرسول مُحَمَّد المصطفى (صلى الله عليه وآله):

«إنّ لنفسك عليك حقاً، وإنّ لجسدك عليك حقاً، وإنّ لزوجك عليك حقاً، وإنّ لعينك عليك حقاً»[٣].

فحرصت التربية على المحافظة على سلامة الجسم وشرعت من الأحكام مايحفظ له قوته وطهارته، وحرمت كل مايؤذيه ويضره، ودعت إلى النظافة

---

(١) كارليل، توماس: محمد صلى الله عليه وآله وسلم المثل الاعلى، ترجمة - عربه محمد السباعي، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٤.

(٢) محافظه، سامح واخرون: التربية العمليه رؤى مستقبليه، ج١، ص٢٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، ح٤٩٠٣، ص١٩٩٥.

والطهارة وممارسة الرياضة، وحذرت من الأمراض ودعت إلى تجنب مواطنها وأسبابها، وشرعت التداوي والعلاج، واوصت بالاعتدال في المأكل والمشرب[١].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تزول قدم عبد مؤمن يوم القيامة من بين يدي الله عزّ وجلّ حتى يساله عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته، وعن حبنا أهل البيت»[٢].

عن الإمام علي (عليه السلام) قال: «خِدْمَةُ الجَسَدِ إعْطاؤُهُ ما يَسْتَدْعيهِ مِنَ المَلاذِّ والشَّهَواتِ والمُقْتَنَياتِ وَفي ذلِكَ هِلاكُ النَّفسِ»[٣].

أما نفسياً فقد عني الرسول (صلى الله عليه وآله) في السنوات الأولى من الدعوة الإسلاميه بمكة ببناء الإنسان وتربيته، واعداده لتحمل مسؤوليات نشر الدعوة الإسلامية، واقامة الدولة الإسلامية، فالى جانب تعليمهم أصول الدين الإسلامي، وأداء العبادات، وبث جذور الإيمان والتقوى في نفوسهم، فقد كان (صلى الله عليه وآله) يعلمهم الاستقامة في السلوك، والأخلاق الحميدة، والعادات الحسنة في ممارساتهم المختلفة في حياتهم اليومية، وفي تعاملهم مع الناس الآخرين، وكان يغرس في نفوسهم الامن والاطمئنان والتحرر من الجهل والاوهام والخرافات وكان (صلى الله عليه وآله) يوجههم إلى العناية بصحة الجسم وقوته، وتعلم الفروسية والرماية. فكان (صلى الله عليه وآله) يعلم أصحابه كل ما هو حسن وجميل من الخصال والأخلاق التي يعتبرونها من مؤشرات الصحة النفسية. والسنة

---

(١) الجلاد، ماجد زكي: تدريس التربية الإسلامية الاسس النظريه والاساليب العملية، ط٣، الأردن، ٢٠١١،ص٦٥.

(٢) النوري، الميرزا: خاتمة المستدرك، ج٣، ص٢٤٦.

(٣) الإسلامي: الهداية في تنظيم غرر الحكم، ص٩١.

المطهرة عملت على تربية المسلم تربية تبعث فيه الثقة، مع تخليصه من الشعور بالنقص والضعف والخوف، وحثته على الاعتزاز بالنفس، وعلى الشجاعة في إبداء الرأي، والتعبير عن افكاره ومشاعره من دون خشية من الناس[١].

ومن وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أبي ذر قال:

(يا أبا ذر حاسب نفسك قبل ان تحاسب فإنّه أهون لحساب غدٍ وزن نفسك قبل أن توزن وتجهز للعرض الأكبر.

يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه أمن حلال أو من حرام. يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسبت المال لم يبال الله من أين أدخله النار) [٢].

وعن الإمام علي (عليه السلام) قال:

«اِشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالطّاعَةِ، وألسِنَتكُمْ بِالذِّكْرِ، وقُلُوبَكُمْ بِالرِّضا فِيما أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ».

«تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَها واعْدِلُوا بِها عَنْ ضَرارَةِ عاداتِها».

«دَواءُ النَّفْسِ الصَّوْمُ عَنِ الهَوى والحِمْيَةُ عَنْ لَذّاتِ الدُّنيا».

«رَحِمَ الله امْرَءاً قَمَعَ نَوازِعَ نَفْسِهِ إلى الهَوى فَصانَها، وقادَها إلى طاعَةِ الله بِعِنانِها»[٣].

وقال (عليه السلام): من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن

---

(١) ابو شهبة، هناء يحي: السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، ٢٠٠٧، ص٢٠.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٦، ص٩٨.

(٣) الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٦٠١- ٦٠٦.

خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم[(١)].

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

إن الله عزّ وجلّ خص رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أنّ ذلك من خير وإن لا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها، قال فذكرها عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروة والصدق وأداء الامانة[(٢)].

فكانت لتعاليم القرآن، والرسول (صلى الله عليه وآله) أكبر الأثر في تغيير شخصيات المسلمين، فتغيروا من ضعف إلى قوة، ومن تفكك إلى تكامل، ومن عادات سيئة إلى عادات حسنة، ومن انحرافات في السلوك إلى استقامة، ومن أخلاق مذمومة إلى أخلاق حميدة. أي أصبحت شخصياهم سوية، توفرت فيها الصفات التي تعتبر من المؤشرات الجيدة للنفس[(٣)].

٢ - التربية العقلية

التربية العقليه بأنّها " التربية الذي تقوم على التفكير السليم، عن طريق ممارسة الاستدلال للوصول إلى الحقيقة، وممارسة طرائق التفكير الصحيح، والتدبر في قوانين وسنن الطبيعة والكون والحياة"[(٤)].

فجاء في وصية نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي (عليه السلام): ياعلي أنّه لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة

(١) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١٠، ص١٩١.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص٥٦.

(٣) ابو شهبه، هناء يحي: السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، ص٢٠

(٤) حسان، حسان عبدالله: الفكر التربوي الامامي، ج١، ط١، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٥١.

أوحش من العجب، ولا مظاهره أحسن من المشاورة، ولاعقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر[(١)].

عن أبي ذر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه عزّ وجلّ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيما صنع الله عزّ وجلّ إليه، وساعة يخلوفيها بحظ نفسه من الحلال[(٢)].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنّه قال: لا عدّة أنفع من العقل، ولا عدوّ أضرّ من الجهل، وقال: (عليه السلام) زينة الرجل عقله، وقال: (عليه السلام) من لم يكن أكثر ما فيه عقله كان بأكثر ما فيه قتله، وقال: العقول ذخائر والأعمال كنوز، وقال: من ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله، وقال: الجمال في اللسان، والكمال في العقل وقال: العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء[(٣)].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما أوصى به الحسن (عليه السلام): لاعبادة كالتفكر في صنعة الله عزّ وجلّ[(٤)].

قال الصادق (عليه السلام): اعتبروا بما مضى من الدنيا، هل بقى على أحد؟ أو هل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو؟ فكذلك مالم يأت منها بمامضى أشبه من الماء بالماء، قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) بن شعبة الحراني، ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين: تحف العقول عن ال الرسول، بيروت – لبنان، ط٧، ٢٠٠٢، ص١٣.

(٢) المجلسي: بحار الانوار ج٦٨، ص٣٢٣.

(٣) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام ج١٠، ص٢٠.

(٤) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٨، ص٣٢٤.

وآله: كفى بالموت واعظاً وبالعقل دليلاً، وبالتقوى زاداً، وبالعبادة شغلاً، وبالله مونسا وبالقرآن بياناً[١].

عن الحسن الصيقل قال: سألت أباعبد الله (عليه السلام) عما يروي الناس: تفكر ساعة خير من قيام ليلة [قلت: يتفكر ساعة خير من قيام ليلة؟] قال: نعم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: كيف يتفكر قال: يمر بالخربة وبالدار فيفكر، ويقول: أين ساكنوك؟ أين بانوك؟ مالك لاتكلمين وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له: يا ابن آدم إنّ التفكر يدعو إلى البر والعمل به، وإنّ الندم على الشر يدعو إلى تركه وليس ما يفنى وإن كان كثيراً بأهل أن يؤثر على مايبقى وإن كان طلبه عزيزاً[٢].

فلقد اهتم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالعقل أشد الاهتمام، فعرفه وبين وظيفته ودوره في الحياة: على مستوى التكليف والمسؤولية، وعلى مستوى العمل والجزاء، كما بين عوامل رشده، وتكامله[٣].

عن بعض أصحابه، رفعه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ الله خلق العقل، فقال له: أقبل فأقبل: ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحسن منك، وأحب إلي منك، بك آخذ وبك أعطي[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٥.

(٣) لجنة التأليف: أعلام الهداية " النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم"، اصدار المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، ص٢٢٣

(٤) المجلسي: بحار الانوار، ج١، ص٩٢.

وعنه أيضاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قسم الله للعباد شيئاً " أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبياً " ولا رسولاً " حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته وما يضمر النبي صلى الله عليه وآله في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب، الذين قال الله تعالى: { وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الالبَابِ }[١].

فيقول غيضان السيد علي: اعتبر كل من ابن باجة وابن رشد أنّ العقل هو أثمن قيمة يملكها الإنسان، وهو العنصر الأول في مراتب الأهمية، وهو مناط التكليف وأساس المسؤولية، وهو السبيل في الوصول إلى الحق والخير واليقين أيضاً، هو القانون العام للناس كافة وبه تحصل المعرفة وتبلغ السعادة القصوى والغبطة العظمى، وإنّ أي محاولة لإهماله وتحجيم دوره أو اضطهاد لهي دعوى صريحة إلى التخلف والجمود والرجعية والصعود نحو الهاوية[٢].

وقد أشار (الغزالي) إلى أنّ معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة. ومثاله أنّ من مال إلى العاجلة واثر الحياة الدنيا وأراد ان يعرف أنّ الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان: إحداهما أن يسمع من غيره أنّ الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة باعتماد مجرد قوله وهذا يسمى تقليداً ولا يسمى معرفة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٩. ينظر الكليني: الكافي، ج١، ص١٣.

(٢) السيد علي، غيضان: الفلسفة الطبيعية والالهية: النفس والعقل عند ابن باجة وابن رشد، دار التنوير، ٢٠٠٩،ص٤١٥.

والطريـق الثانيـة أن يعـرف أنّ الأبقـى أولى بالإيثـار ثم يعـرف أنّ الآخـرة أبقـى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أنّ الآخرة أولى بالإيثار ولا يمكـن تحقق المعرفة بأنّ الآخرة أولى بالإيثـار إلاّ بـالمعرفتين الـسابقتين فاحـضار المعـرفتين السابقتين في القلـب للتوصـل إلى المعرفـة الثالثـة يـسمى تفكـراً أو اعتبـاراً وتـذكراً ونظراً وتاملاً وتدبراً[١].

فاهتم الإسلام بالتربية العقلية على أنّ العقل هو زينة الإنسان، والتربية هـو تـولي العقـل والفكـر اهتمامـاً كـبيراً فتـدعو إلى إعمـال العقـل بـالتفكر والتـدبر في ملكوت السموات والأرض[٢].

٣ - التربية الإيمانية

الإيمان بالله تعالى يستدعي الإيمان وهي سن التعاليم الدينية وبيـان العقيـدة، وإصدار الأوامر والنواهي التي تحقق كل ذلك. والإيمان إنّما هو خاص بالله وليس لأحد أن يشرك به، والإيمان هو أساس العقيدة ومن ثمّ هو أساس التربية المطلوبـة فإذا قوي إيمان المسلم بعقيدتـه صـار مـصدراً للخير لأن عقيدتـه ضـابط لعناصـر الإيمـان والتـصورات والأفكـار كلـها، والإيمـان تكـون عواطـف الإنـسان وتفكـيره ونوازعه، قوى متضافرة ترمـي إلى تحقيـق هـدف الخضوع لله وحـده، وتـدعو إلى تربية عقله على سعة النظر وجب الاطلاع على اسرار الكون والطموح إلى معرفة ماوراء الحياة. وهذا الإيمان هو الذي يربي الإنسان على حب التعاون والابتعاد عن كل مايشرك بعقيدته[٣].

---

(١) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٤، ص٤١٢.

(٢) سلامه، عبدالله: اضواء تربوية لمعلم التربية الإسلامية، ص٢٣.

(٣) الساموك، سعدون محمود: تدريس التربيه الإسلامية،ص٢٧-٢٨.

عن أبيه الإمام الحسين بن عليّ الشهيد، عن أبيه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الإيمان قول مقول، وعمل معمول، وعرفان العقول[١].

وعليّ (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالأركان[٢].

وقالت فاطمة (عليها السلام) في خطبتها: فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك[٣].

وحدثنا مُحَمَّد بن بشار قال: حدثنا غندر قال: حدثنا شعبة عن أبي حمزة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «هل تدرون ما للإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله، اعلم قال: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطو الخمس من المغنم»[٤].

عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): جاءني جبرئيل فقال لي: يا أحمد، الإسلام عشرة أسهم، وقد خاب من لا سهم له فيها، على شهادة أن لا إله إلاّ الله وهي الملة، والصلاة وهي الفريضة، والصوم وهي الجنة، والزكاة وهي المطهرة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو العز، والأمر بالمعروف وهو الوفا،

---

(١) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١، ص١٨٠.

(٢) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١، ص١٨٠.

(٣) العاملي: وسائل الشيعة، ج١، ص٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي وفد عبد القيس على أن يحفظوا العلم والإيمان، حديث (٨٧)، ص٤٥.

والنهي عن المنكر وهو الحجة، والجماعة وهي الأُلفة، والعصمة وهي الطاعة[١].

ثانياً - وسائل التربية في السنة

١- التربية بالقدوة

لقد قررت السنة النبوية مبدأ القدوة في التربية من خلال الدعوة إلى الإقتداء بكل من دعا الناس إلى الخير والصلاح والهدى الذي جاء به النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) [٢].

وقرر (صلى الله عليه وآله) أنّ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من اقتدى بها إلى يوم القيامة. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليها وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[٣].

وتعتبر التربية بالقدوة أسلوباً إسلامياً أصيلاً بداه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وربى أصحابه على ذلك، والإقتداء به منهجاً وسلوكاً فكان (صلى الله عليه وآله) قدوة حسنة، وان تقتدي برسول الله في سائر أعماله وتصرفاته وذلك لأنّه بعث ليقتدى به وليطاع، والاقتداء به والسير على نهجه هو النجاة. الحقيقية للإنسان في الدنيا والآخرة فهو القدوة الحسنة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته لكي يستلهم الناس سلوكهم من هذه القدوة، فكان (صلى الله عليه وآله) الأسوة

---

(١) العاملي: وسائل الشيعة، ج١، ص٢٢

(٢) زهد، عصام العبد: القدوة الصالحة واثرها على الفرد والمجتمع،٢٠١٠، ص٧.

(٣) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة او سيئة، حديث ١٠١٧، ص٢٠٦٠.

الحسنة للناس في جوانب الحياة جميعها[١]. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[٢].

ولقد تكاملت في شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) الصفات الإنسانية كلها من علم وحلم وتقوى ونبل وكرم ووفاء وشجاعة، وظهرت في سلوكه العملي بدرجة لم تتهيأ لإنسان من قبل، وكفى بالتقرير الإلهي شاهداً عليماً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومن المعلوم أنّه على المستوى الإنساني العام تبرز صفة أو صفات عدة عند بعض الشخصيات القيادية في التأريخ الإنساني، ولكننا لم نشهد الصفات الإنسانية كلها تتجسد في إنسان واحد، إلاّ على مستوى الأنبياء المعصومين. وبما أنهم لم يمارسوا الدعوة بأبعادها العملية كلها في الحياة من الناحية الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن ثمّ فإنّ القيم الخلقية الكامنة فيهم لم تظهر في شكلها العملي كما برزت في شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بناء على المرحلة التأريخية التي ظهر فيها من عمر الإنسانية. فقد شاء الله ان تكون الرسالة التي بعث فيها الرسول مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) رسالة خاتمة للرسالات السماوية جمعاء، تشمل على المبادئ التي بعث بها الأنبياء السابقون وزيادة تتناسب مع عمر البشرية الذي بلغ النضج المؤهل لحمل رسالة الإسلام بتفصيلاتها كلها[٣].

وإذ نفهم من الحديث الشريف (إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) نفهم منه

---

(١) زهد، عصام العبد: القدوة الصالحة واثرها على الفرد والمجتمع، ص٢.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج١٦،ص٢١٠.

(٣) عبود، شلتاغ: قضايا إسلامية معاصرة "في السيرة والأدب النبوي الشريف"، دار الهادي، لبنان، ط١، ٢٠٠٤،ص١٠٣.

أنّه اشارة إلى أنّ مكارم الأخلاق وإن وجدت في شخصيات الأنبياء (عليهم السلام)، ومارسوا بعضها أو أغلبها، ولكن مرحلتهم التأريخية لم تكن مرشحة لبروز تلك الأخلاق وتجسدها من الناحية العملية. إذ كيف أن تبرز الأخلاق العسكرية أو السياسية في شخصية لم تمارس الحياة العسكرية أو السياسية؟ الأمر الذي كان متجسداً في شخصية الرسول مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله). ولهذا لم يقل الرسول الأعظم إنّه جاء بمكارم الأخلاق، وإنّما قال إنه جاء لكي يتممها في شكلها العملي الممارس في الحياة، بحيث رأت البشرية كيف تجسدت أخلاق الأنبياء جميعاً في شخصية خاتمهم، وكيف نعمت هذه البشرية بهذه الرحمة الإلهية المهداة. إنّ البحث عن الشخصية الإنسانية المتكاملة لا يمكن أن يكون خارج إطار الشخصية المحمدية التي وجهها القرآن وبناها القرآن، وهذا التوجيه والبناء هما رعاية الهية لهذه الشخصية، كما هما رعاية إلهية للإنسانية جميعاً. فلقد تكاملت الأبعاد الروحية والاجتماعية والتنظيمية والفكرية في هذه الشخصية فصح وصفها بالاستقامة، تلك الاستقامة التي مع كونها هبة ربانية، ولكنها لم تأت ناجزة ومن دون مشقة وعناء. والذي نعرفه من سيرة الرسول مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) أنّه بذل غاية الجهد وأقصاه من أجل بلوغ هذا التكامل في شخصيته حتى قال (لقد شيبتني هود واخواتها) وعنى بذلك قوله تعالى: { واسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } ..اي انه شاب عناء وجهدا من شدة تقصي الاستقامة وبلوغ اقصى مراميها، حتى كرمه الله بالاحاطة بها وبهداية منه وتكريم[1]. قال تعالى: { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[2].

---

(١) عبود، شلتاغ: قضايا إسلامية معاصرة " في السيرة والأدب النبوي الشريف "، ص١٠٤.

(٢) سورة الانعام: آية: ١٦١.

عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام): قال الحسين (عليه السلام): سألت أبي (عليه السلام) عن مدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء جزء لله تعالى، وجزء لاهله، وجزء لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم منه شيئاً. وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيشاغل ويشغلهم فيما أصلحهم وأصلح الأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: " ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وابلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة "، لا يذكر عنده إلاّ ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون رواداً، ولا يفترقون إلاّ عن ذواق، ويخرجون أدلة فقهاء.

فسألته عن مخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان (صلى الله عليه وآله) لا يخزن لسانه إلاّ عما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة الله أن يغفلوا أو يميلوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه. فقال: كان (صلى الله عليه وآله) لا يجلس ولا

يقوم إلاّ على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس إذ ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل أحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب أحد من جلسائه أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلاّ بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه، وصار لهم أباً رحيماً، وصاروا عنده في الحق سواء. مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته، متعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: كيف كان سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب، ولا مزاح ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلاّ فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، وإذا تكلم عنده أحد انصتوا له حتى يفرغ من حديثه، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصير للغريب على الجفوة في المسألة والمنطق، حتى إن كان أصحابه ليستجلبوهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام. قال: فسألته عن سكوت رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال (صلى الله عليه وآله) كان سكوته على أربع: الحلم، والحذر والتقدير، والتفكر: فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما

تفكره ففي ما يبقى ويفنى، وجمع لـه الحلـم في الـصبر، فكـان لا يغـضبه شـيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه الحسن ليقتـدى بـه، وتركـه القبـيح لينتـهي عنه، واجتهاده الراي في اصلاح امته والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة، صلوات الله عليه وآله الطاهرين[١]. وإنّ الأسـوة الحسنة بـالمربي والقـدوة الـصالحة بأفعاله وصفاته هي السبب الأقوى في التربية المجدية والعامـل الأعظـم في نجاحهـا فالتأسي بالعظماء في الصفات والإقتداء بهم في المظاهر والأعمال إحـدى النزعـات الأصيلة في نفس الإنسان، المنطبعة فيها منذ نعومة أظفاره. من أجل هذا كانت بعثة الرسول وكانت عصمته من متسمات رسالة الدين ومن الضمانات اللازمة لتحقيق غايته. ومن أجل هذا كانت بعثة الرسول وكانت عصمته مـن ضـرورات الإنـسان الفرد. ومن ضرورات الأمة للإرتفاع بهما إلى هدف الإنسانية الأقصى. ومن أجـل هذا كانت مهمة الرسالة مزدوجة فهي بلاغ مبين لتعاليم الدين وشرح وافٍ لأهدافه من جهة، وهي تربية لنفوس الأمة وتزكية وتطهـير لقلـوبهم وأرواحهـم[٢]. كمـا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

٢- التربية بالموعظة

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) واعظاً ومرشداً أمينـاً، يـأمر بـالمعروف وينهي عن المنكر، وكان متحلياً بمحاسن الأخلاق، وكـان (صـلى الله عليـه وآلـه)

(١) الري شهري، محمد: موسوعة الإمام الحسين، م١، دار الحديث، قـم المقدسـه، ط٢، ١٣٩١، ص٢٧٥- ٢٧٨.

(٢) زين الدين، محمد امين: الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته، ص٧٣.

(٣) سورة ال عمران، آية: ١٦٤.

مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام، لهذا أمر الله المؤمنين باتباع الرسول وطاعته[(١)].

فكان (صلى الله عليه وآله) يدعو إلى مبدأ يراه أو عقيدة قد تخيرها وما هي إلاّ طبيعة النبوة ومن أثر تطلعه (صلى الله عليه وآله) إلى هدف واحدفقط، هو أن تؤتي الدعوة ثمارها[(٢)].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس! إنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص القرآن، وخير الأمور عزائمها، وشر الأمور محادثتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وماقل وكفى خير مما كثر والهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، ومن أعظم خطايا اللسان الكذب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما ألقى في القلب اليقين، والمسكر من النار، والخمر جماع الإثم، والنساء حبالات إبليس، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب الربا، وشر الماكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنّما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، وملاك العمل خواتيمه، وكل ماهو آتٍ قريب، وسباب المؤمن الفسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يستغفر الله يغفر له ومن يعف يعف عنه الله ومن

---

(١) زهد، عصام العبد: القدوة الصالحة واثرها على الفرد والمجتمع صص٤.

(٢) القاضي، خالد محمد: مولد امة، ١٩٩٤، ص٦٠.

يصبر على الرزية يعوضه الله»[١].

٣- التربية بالأمثال

تزخر السنة النبوية بالأمثال المنسوبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهي من جوامع الكلام التي تلقاها النبي (صلى الله عليه وآله) عن ربه سبحانه وتعالى وقد وظّف الرسول (صلى الله عليه وآله) الأمثال لتعليم أصحابه ليحاججهم تارة، ويعظهم تارة أخرى، يرغبهم في الخيرات ويرهبهم من الرذائل والسيئات، ويدعوهم إلى الأخلاق السليمة والإيمان الصادق، مما يجعل من الأمثال وسيلة تربوية متميزة وعظيمة.

وعن رسول (صلى الله عليه وآله): «لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء، قالوا: لايبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[٢].

عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يارسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاءوا به حتى رموا بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هكذا تجتمع الذنوب». ثم قال: «إيّاكم والمحقّرات من الذنوب، فإنّ لكلّ شيء طالباً، ألا وإنّ طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين»[٣].

---

(١) الامين، محسن: اعيان الشيعة، ج١، تحقيق حسن الامين، ص٢٩٨.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الامثال، باب مثل الصلوات الخمس، حديث ٢٨٦٨، ص١٤٠

(٣) الحسيني الميلاني، مرتضى: قصص الابرار من بحار الانوار، ص٥٢٨.

وقال (صلى الله عليه وآله): «مثل المؤمن كمثل السنبلة، تخر مرة، وتستقيم مرة، ومثل الكافر مثل الارزة، لا يزال مستقيماً لا يشعر». وقال (صلى الله عليه وآله): «لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثل جناح بعوضة ما أعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً»[١].

ضرب النبي (صلى الله عليه وآله) الأمثال في أحاديثه للناس، للتنبيه على مافيه خيرهم في الدنيا والآخرة، وكرر مواعظه ونصائحه لهم، للفت انتباههم وإزالة الغفلة عن قلوبهم، وتربية الإنسان على الأعمال الصالحة، وعلى تطبيق منهج الله تعالى في جوانب الحياة كافة[٢]. وإنّ النبي (صلى الله عليه وآله) استعمال أسلوب المثل كان له أغراض يقصدها، وإنّ أبرز تلك الأغراض التي لا يكاد يخلو منها أي مثل هو تقريب المعاني المعقولة من المحسوسة، من اجل تسهيل فهمها عند السامعين، كما أن لها أهدافاً عقائدية، وأخرى تعبدية وأخلاقية، قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترسيخها من خلال ضرب الأمثال[٣].

٤- التربية بالقصة

النبي مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) عاش في مكة ولم يخرج منها إلاّ في سفر مكة ولم يفارق قومه قط بتأريخ حياته، لكنه كان يورد من قصص الأُمم السالفة والأنبياء مالم يكن لأحد اطلاع عليه ولم يكن لأحد إنكاره ولا مجال إلاّ بالتصديق به. فقد واجه (صلى الله عليه وآله) واصحابه الكثير من المصاعب في تأريخ

---

(١) الحراني: تحف العقول، ص٣٣.

(٢) العويضات، فاطمه حسن عوده: المدلولات التربوية النبوية القياسية، رسالة ماجستير، فلسطين، ٢٠١١، ص٤٨.

(٣) اصدار مركز نون للتاليف والترجمة: قصص القرآن، ط١، ٢٠٠٧، ص٩- ١٠.

الدعوة الإسلامية، فأراد الله عزّ وجلّ أن يسلي نبيه ويزيح عنه ذلك الهم الكبير الذي شغل نفسه به ألا وهو دعوة قومه إلى الحق وهو يواجه تحديهم له ورفضهم الإيمان به. ومن المعلوم أنّ الإنسان يميل بفطرته إلى سماع القصص وقراءتها مما جعل المربين يلجأون إليها كوسيلة لبث مايريدون بثه من اتجاهات وقيم، والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة ويدرك مالها من تأثير ساحر على القلوب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية[١]. قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢].

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: كانت امرأتان معهما أبناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنّما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنّما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى[٣].

ومن مظاهر الاصطفاء في شخص علي (عليه السلام) هو حصوله على شرف التربية النبوية منذ نعومة أظفاره حتى رحيل المصطفى (صلى الله عليه وآله) إلى رحمة ربّه إذ كان آخر الناس عهداً به. تربّى الإمام عليّ (عليه السلام) في حجر النبي صلّى الله عليه وآله بعيداً عن أباطيل الجاهلية، ومن دون أن تُلبسه من مدلهمات ثيابها، أو تنجسه بأنجاسها، فقد ولد في الجاهلية مسلماً وأحرز قصب السبق إلى الإيمان بالإسلام، مكرماً وجهه عن الشرك وعبادة الأوثان، وتلقّته يد

---

(١) قطب، محمد: مناهج التربية الإسلامية، ج١،ص٤٦.

(٢) سورة الاعراف، آية: ١٧٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المراة ابناً، ح٦٣٨٧ص٢٤٨٥.

النبوة لتحنو عليه منذ الصغر، فكان النبي صلّى الله عليه وآله يلي تربيته ويراعيه في نومه ويقظته ويحمله علي صدره، ويحبوه بألطافه وتحفه، وكان علي عليه السلام يتبعه أتباع الظلّ، مقتدياً بمكارم أخلاق معلّمه العظيم، وعظمة نفسه، وطهره ونقائه، وحسن سيرته، وبذلك تهيّأت له فرص التفاعل مع النبي (صلّى الله عليه وآله) والاندماج بخط رسالته ما لم يتهيأ لغيره، قال عليه السلام: «قد علمتم موضعي من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويُمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْل، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْل.... ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به»[1].

فضلاً عن التربية في القرآن والسنة فإنّ لأهل البيت (عليهم السلام) رأياً في التربية وقد تضمنت بعض الأمور والآتية: -

١- التربية الأسرية، ولأهمية الأسرة في البناء التربوي أبدى أهل البيت عليهم السلام أهمية خاصة بها، وكانت إرشاداتهم تؤكد اختيار شريك الحياة الصالح والمتدين ليقوم بالتعاون مع شريكه في إعداد الأطفال إعداداً ينسجم مع المنهج التربوي في الإسلام، لأنّ الأسرة هي المحيط التربوي الأساس المسؤول عن إعداد الطفل إعداداً تربوياً، ليكون عنصراً صالحاً فعالاً في المجتمع على أساس الصلاح والخير والبناء الفعّال، والأسرة نقطة البدء التي تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، وتؤثر في مراحل الحياة كلها إيجاباً وسلباً، وهي مسؤولة بالدرجة الأولى

(١) الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص٣٩٤، ينظر الكعبي، علي موسى: وصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، ص٧٧-٧٨.

عن النشأة والترعرع، وهي التي تحدد مسار الإنسان التربوي[١].

ولقد أشار(الغزالي) إلى أهمية الأسرة فقال: إنّ للأسرة أهمية كبيرة في نمو القيم الأخلاقية عند الطفل، وعلى قدر نوعية الخبرات والمثيرات التي يمتصها من والديه ينشأ سليم النفس طاهر العقل[٢].

إذ سجلّ التأريخ للزهراء (عليها السلام) أجمل الصور التي جسدت أسمى نماذج العلاقة بين المرأة وزوجها في تفصيلات الحياة الأسرية كلها، ابتداءً من علاقتها بزوجها إلى تربية أولادها وادارة شوون بيتها. إذ قامت سيدة النساء الزهراء عليها السلام بمهمة هي تربية الأولاد، فقد وهبها الله كرامة أُمومة الأوصياء، وأعطاها شرف الربط بين النبوة والإمامة، وقد استطاعت أن تجني من نتاج تربيتها أقدس الثمار. ولقد غرست سيدة النساء الزهراء (عليها السلام) في نفوس أولادها خصال الخير ومكارم الأخلاق ومعالي الفضيلة، وأرضعتهم مبادىء التوحيد والدفاع عن الحقِّ، ونشأ أولاد الزهراء (عليها السلام) في ظل رعاية الأُمّ سيدة النساء والأب وصي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) يحيطهم أشرف الأنبياء والرسل (صلى الله عليه وآله) بحنانه وعطفه وتربيته، فكانوا خيرة البشرية وقدوة الإنسانية[٣]. وحظي الحسن والحسين (عليهما السلام) بمساحة واسعة من حب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحنانه وعطفه، فهما ريحانتاه يشمهما ويكثر من تقبيلهما، ويحملهما على عاتقه، ويضمهما إليه، ويعوّذهما، ويعلمهما

(١) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص١٨.

(٢) سلوم، طاهر عبد الكريم،و د. جمل، محمد جهاد: التربية الأخلاقية " القيم مناهجها وطرائق تدريسها، دار الكتاب الجامعي، العين – الامارات، ط١، ٢٠٠٩، ص١٣٨.

(٣) الكعبي، علي موسى: سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، مركز الرسالة، ص٧٣.

القرآن، ويلقنهما العلم والفصاحة والشجاعة والزهد والورع، فاستوحيا رساليته وروحانيته وأخلاقيته، وتجسدت فيهما شخصيته، فكانا اختصاراً لعناصرها الأخلاقية والتربوية والروحية والإنسانية جميعها، فصارا رمز الفضيلة والمروءة وقدوةً صالحة وخلقاً كريماً، عملا بوصاياه وتعاليمه، وجاهدا في سبيل دينه ومبادئه، ونهضا من أجل إقامة الاصلاح في أُمته، فكانا عليهما السلام مشعل نور وهداية في حياة الأُمّة[١].

وكان أمير المؤمنين الإمام (عليه السلام) الأب العطوف والحنون إذ قال (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام):

"وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وكَأَنَّ المَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أو فَنِيتُ"[٢].

هذا حنان أبوي لبيان تمحيص النصح، وإسداء أقصى ما يسع أيّ ابن أُنثى أن يسديه من محض الخير، والإمام في طليعة من يفيض البر، ويحثّ على المعروف، وهو سلام الله عليه ليست حياته حياة دمويّة، ولا كيانه كياناً مادّياً، حتّى تثيره لإرشاد ولده المحبوب عاطفة طبيعية، أو حبّ بشري، ولكن له وجود مكيّف بالفيض الأقدس، وحياة مزيجها المواهب الإلهية، فليس فيما ينيله إلاّ الخير محضاً، ولكن كلّما كملت قابليّة القابل عظم النصح المبذول. وفي المقام لا قصور في الفاعل والقابل، فلا تقصير في مدى كلٍّ منهما، غير أنّه سلام الله عليه استعمل هذا النوع من الخطاب جرياً على ما هو المطرد في العادة، من أنّ الإنسان لا يدّخر

(١) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٢) ابن حديد: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٥٧.

برّه عمّن هو أقرب الناس إليه من قربى ولده. وهو بخطاب ابنه العزيز يرمي إلى المجتمع الديني كلّه من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة»، فعلى كلّ فرد أن يأخذ منه منيته من المقدرة، وقسطه من المعرفة. هكذا كان الإمام (عليه السلام) يتّجه إلى الناس بحكمه، وأمثاله، ونصائحه الرائعة التي لا تجد لها أشباهاً إلاّ في حكم النبي وأمثاله ونصائحه[١].

وحثّ أهل البيت (عليهم السلام) الوالدين على القيام بمسؤوليتهما في التربية وخصوصاً الوالد إذ تقع عليه كامل المسؤولية. إذ تعتبر التربية من أهم الأمور التي تساهم في بناء الإنسان روحياً وعقلياً وجسدياً حتى أننا نجد أنّ الله تعالى يذكر في كتابه الكريم أنّ الهدف من بعثة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) هو التربية، قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[٢]. ومعنى التزكية في الآية المباركة هو التنمية والتربية، فكما أنّ الرجل يتعهد البذرة حتى تنمو وتصير شجرة، كذلك فإنّه يتعاهد ولده - المولود على الفطرة حتى ينموا نمواً متكاملاً[٣].

ومن هنا جاء عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال لولده الحسن: " بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أو أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي أو يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ

(١) القبانجي، حسن: علي عليه السلام وألاسس التربوية، تحقيق: هاشم الميلاني، مطبعة الهادي، ط١، ص٩٢.

(٢) سورة الجمعة: آية: ٢.

(٣) محمد، حسن نجيب: محاضرات أخلاقية،مطبعة الاميرة، لبنان، ٢٠١١، ص٢٩٩.

بَعْضُ غَلَبَاتِ الهَوَى أو فِتَنِ اَلدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ اَلنَّفُورِ وإِنَّمَا قَلْبُ الحَدَثِ كَالأَرْضِ الخَالِيَةِ مَا القِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ"(١).

ولهذه الضرورة فقد اعتبر الإمام علي (عليه السلام) أنّ التربية حق من حقوق الأبناء على الأباء التي تأتي عنده (عليه السلام) انطلاقاً من الرؤية الإسلامية فهي وسيلة " من وسائل بناء الشخصية الإنسانية لتحقيق أهداف الإنسان الكبرى في إطار الفهم الإسلامي، وإعداد المسلم لتحقيق الأهداف الإسلامية كلها التي وضعت بين يدي الإنسان، سواء على مستوى انفتاحه على الله أم انفتاحه على الناس أم على نفسه... بالعبادة والمعرفة، إنّ هدف التربية إعداد الإنسان المسؤول عن الكون والحياة في علاقته بالله وبالإنسان وبالحياة. فيلقي الإمام على الأسرة مسؤولية التربية كونها أول محيط يحتضن الطفل.

ويروى عن الإمام (عليه السلام) قوله: "رحم الله والداً اعان ولده على بره"(٢)، ويقول أيضاً (عليه السلام): " حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن ادبه ويعلمه القرآن "(٣).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): «وأما حق ولدك فتعلم أنّه منك ومضاف اليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنّك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك

---

(١) التستري، محمد تقي: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج٨، ص٣٠٣.

(٢) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١٠، ص ٣٢٨.

(٣) الرضي: نهج البلاغة، ص٨٧٦. ينظر كتاب حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام رؤية علمية،لغسان السعد، ص٢٧٥.

ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له من»[١]. وقال أيضاً: «وأمّا حق الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له والستر على جرائر حداثته فإنّه سبب للتوبة، والمداراة له وترك مماحكته فإنّ ذلك أدنى لرشده»[٢].

ودور الأسرة لا يحدد سلوك أفرادها فحسب بل يحدد مقومات الشخصية جميعها: الفكرية والعاطفية والنفسية، إذ ينعكس التعامل مع الأبناء على إتزانهم النفسي والانفعالي، ولهذا يختلف الوضع النفسي من فرد لآخر في أسرة واحدة أو في أسر متعددة تبعاً لنوع المعاملة معه من إذ الرعاية أو الاهمال[٣].

٢- اهتم أهل البيت (عليهم السلام) بأهمية التعليم، فأشادوا بسموه، وجعلوه عنصراً أساساً من عناصر النهضة الفكرية، مستندين في ذلك إلى حديث النبي (صلى الله عليه وآله): " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"[٤].

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٥]. إذ إنَّ العلم حياة للنفس الإنسانية، وحرمانها منه يعني انتقاصاً وامتهان كرامتها. ومما يؤكد حق التعلم والتعليم في الإسلام مافعله النبي (صلى الله عليه وآله) بأسرى بدر، إذ جعل فدية الأسير تعليم عشرة من أبناء المسلمين. وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى حق التعلم والتعليم في معرض تفسيره

(١) رسالة الحقوق للامام زين العابدين عليه السلام، ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه،ص٢٨.

(٣) العذاري، ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص١٨.

(٤) سنن ابن ماجة: كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ص٩٩.

(٥) سورة المجادلة: آية: ١١.

لقوله تعالى: { وإذ أخذَ اللهُ ميثاقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ لتُبيِّنُنَّهُ للنَّاس ولا تكتُمونَهُ فنبذوهُ وراءَ ظُهورهم... }[١].

فقال: «ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبيان العلم، حتّى أخذ ميثاقاً من أهل العلم ببيان العلم للجهّال»[٢]. لقد عد الإمام (عليه السلام) نيل العلم والتعليم من أهم حقوق الإنسان التي يجب ان يتم السعي الحثيث إلى تحقيقه، ذلك أنّ من حق كل فرد أن يأخذ من التعليم ما ينير عقله ويرقى بوجوده ويعلو من شأنه إذ يخاطب (عليه السلام) الإنسان قائلاً: "إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد في تعلمهما فما يزيد من علمك وادبك يزيد من ثمنك وقدرك"[٣].

لقد أعطى الإمام علي (عليه السلام) للعلم جملة من المحددات التي فرضها به ليسمو ويكون حقاً للإنسان ولعل من أهم ما سعى إليه (عليه السلام) هو رفع شأن العلم حتى وصفه بأنّه "حياة وشفاء "، و"افضل الكنوز"، وهو " كنز عظيم لايفنى "، و"أفضل شرف "، ويقول (عليه السلام) رابطاً بين رضا الله والعلم " إذا أحب الله عبداً ألهمه العلم"[٤].

ويعد الإمام (عليه السلام) العلم جزءاً من استمرارية الرسالة المحمدية إذ يقول: " وخلف فيكم [رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما خلفت الأنبياء من أممها إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم "[٥].

---

(١) سورة ال عمران: آية: ١٨٧.

(٢) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١، ص٦١.

(٣) الريشهري: ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٠٦٦. يظر كتاب حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام لغسان السعد، ص٢٨٤.

(٤) السعد: حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام، ص٢٨٥.

(٥) الرضي: نهج البلاغة، ص٣١.

وكـذلك أنّ الأئمـة (علـيهم الـسلام) يرفـضون مبـدئياً احتكـار العلـم، ويؤكدون ضرورة بذله لطالبيه. عن الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا الصَّدد: «إنّ العالم الكاتم علمه يُبْعَث أنتن أهـل القيامـة ريحـاً، تلعنـه كـلّ دابّـة حـتى دوابّ الأرض الصغار»[١].

فالعلم هبة إلهية ونعمة شرَّف الله تعالى بها الإنسان علـى سـائر المخلوقـات، وقد أوجب الله تعالى على العلم زكاة، وزكاته نشره[٢].

وقد بين الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق، حـق المـتعلم علـى المعلّم بقوله:

«أمّا حق رعيّتك بالعلم، فإنْ تعلم أنّ الله عزّ وجـلّ إنّمـا جعلـك قيّمـاً لهـم فيما آتاك الله من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحـسنت في تعلـيم النّـاس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم، زادك الله من فضله، وإن أنت منعـت النّـاس علمـك وخرقت بهم عند طلبهم العلم، كـان حقّـاً علـى الله عـزّ وجـل أن يـسلبك العلـم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك»[٣].

وبالمقابل حدّد حق المعلّم على المتعلم بقوله: «حق سائسك بالعلم التّعظـيم له، والتوقير لمجلسه، وحـسن الاسـتماع إليـه، والإقبـال عليـه، وأن لا ترفـع عليـه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يُجيب، ولا تُحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنـه إذا ذُكـر بـسوء، وأن تـستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً، فـإذا فعلـت ذلـك

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٢، ص٧٢.

(٢) اصدار مركز الرسالة: الحقوق الاجتماعية في الإسلام، سلسلة المعارف الإسلامية، ص١٩-٢٠.

(٣) رسالة الحقوق للامام زين العابدين، ص١٨.

شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للنّاس»[١].

٣- كذلك أهتم أهل البيت (عليهم السلام) بالعلوم جمعيها. وأكبر دليل على هذا الاهتمام هو توسيع المسلمون في أنواع العلوم الدخيلة كافة إضافة إلى العلوم الشرعية.

قال تعالى: { قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }[٢].

فاهتم أهل البيت (عليهم السلام) بأنواع العلوم والمعارف جميعها، خصوصا التي تتطور بها الحياة الفكرية والاجتماعية، بل إنّ بعضها يكون واجباً يتحتم على الإنسان القيام به، كعلم الطب والصيدلة وغيرها من سائر العلوم والفنون الصناعية، ويتأكد ذلك بصورة معرفة العلوم الحديثة والتخصص بها، فقد أصبحت أساساً لرقي الشعوب ونهضتها فإنّ من أوثق الأسباب التي أوجبت تدهور العالم الإسلامي، وتمزيق أوطانه، وتظافر القوى الاستعمارية على نهب ثرواته، والاستيلاء على مواد اقتصادية هو ما مني به من الجهل والانحطاط الفكري، وتأخره في عالم الصناعات، وترك مسايرته للدول الناهضة التي أقامت على أسس حضارتها على العلم والفن. وقد أشار ابن سينا إلى وجوب تدريس الخطابة والحساب وصناعة تناسب طبيعة الفرد وتمكنه فيما بعد من كسب عيشه، فأراد (ابن سينا) أن تكون التربية شاملة لكل وجه من الوجوه، فهي تعلم للقراءة والكتابة وحفظ للقرآن وتلقين لمعالم الدين ورواية للشعر والأدب وإتقان للعلوم وتشبع لمكارم الأخلاق واكتساب لصناعة من الصناعات[٣].

(١) المصدر نفسه، ص١٦.

(٢) سورة يونس: آية: ١٠١.

(٣) خضر، فخري رشيد: تطور الفكر التربوي، ص١٦٧

فالعلم الذي حث أهل البيت (عليهم السلام) على طلبه لا يتقيد بنوع خاص، وإنما يشمل أنواع العلوم والفنون جميعها، وقد فتق أغلب أبوابها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم خزنة علم النبي (صلى الله عليه وآله)، ومستودع حكمته وأسراره، فقد خاضوا في محاضراتهم وبحوثهم ألوان العلوم العقلية والنقلية جميعها كعلم الفقه، والحديث، وعلوم القرآن الكريم، وعلم الطب، والكيمياء وغيرها، وكان الإمام الصادق (عليه السلام) له الظلع الأكبر في بلورة الحياة الفكرية، وأتساع نطاق العلوم التي ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية. إنّ انتشار العلم في ذلك الزمن قد ساعد على فك الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة، من حواضر العالم الإسلام، ولا يفوتنا ان نشير إلى أنّ الذي تزعم تلك الحركة هو حفيد الإمام (علي بن أبي طالب) الإمام (جعفر الصادق عليهما السلام)، وهو رجل رحب أفق التفكير، بعيد اغوار العقل ملم كل عن الإمام علي (عليه السلام): خير العلوم ما أصلحك. وقال (عليه السلام) العلم بالله أفضل العلمين[1].

ويقول الشيخ النراقي: إنّ أشرف العلوم وأحسنها هو العلم الإلهي المعرف لأصول الدين، وعلم الأخلاق المعرف لمنجيات النفس ومهلكاتها، وعلم الفقه المعرف لكيفية العبادات والمعاملات، وهذا ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): " عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنّه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً"[2].

أما اخوان الصفا فقالوا: " اعلم يا أخي أنّ كل علم وأدب لا يحمل

(١) الريشهري: ميزان الحكمة، ج٣، ص٢١٠٥.

(٢) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٨٥.

صاحبه على طلب الآخرة، ولا يعينه على الوصول أليها، فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة"[١]. وقالوا: " وأعلم يا أخي أنّه ليس من علم ولا عمل ولا صناعة ولا تدبير ولا سياسة مما يتعاطاه البشر هو أعلى منزلة ولا أسنى درجة، ولا في الآخرة أكثر ثواباً، ولا بأفعال الملائكة أشد تشبها ولا إلى الله، أقرب قربة ولا لرضاه أبلغ طلباً من وضع الشرائع الالهية"[٢].

وأما الغزالي فقال في رسالته: " أيها الولد، كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب، وحرمت على نفسك النوم، لا أعلم ما كان الباعث منه إن كان نيل غرض الدنيا، وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال فويل لك، ثم ويل لك، وإن كان قصدك إحياء شريعة النبي (صلى الله عليه وآله) وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمارة بالسوء، فطوبى لك ثم طوبى.... "[٣].

٤- تأكيد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على الفرد أن يستعمل علمه في المنفعة العامة للبشرية. ويروى عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أنّه أستعاذ بالله من علم لا ينفع. والإسلام يشدد على العلم النافع للفرد والمجتمع[٤]. لا ريب في ان العلم أفضل الفضائل الكمالية واشرف النعوت الجمالية، بل هو أجل الصفات الربوبية وأجمل السمات الألوهية، وهو الموصل إلى جوار ربّ العالمين

---

(١) اخوان الصفاء وخلان الوفاء: رسائل اخوان الصفاء، ج١، ص٣٤٩، دار صادر، بيروت.

(٢) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٤، ص١٢٨.

(٣) الغزالي: آيةا الولد، تحقيق علي محي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية، ط٤، ٢٠١٠،ص١٠٥.

(٤) خضر: تطور الفكر التربوي، ص١٣٦.

والدخول في أفق الملائكة المقربين، وهو المؤدي إلى دار المقامة التي لا تزول ومحل الكرامة التي لا تحول، وقد تطابق العقل والبرهان وأجماع أرباب الأديان على: أنّ السعادة الأبدية والقرب من الله سبحانه لا يتيسران بدونه، وأي شيء أفضل مما هو ذريعة اليهما[١].

وعن الصَّادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سروراً) [٢]. وفي رواية أُخرى عن الصَّادق عليه السلام يقول: (سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أحب الناس إلى الله؟ قال: أنفع الناس للناس)[٣].

وقال الإمام عليٌّ (عليه السلام): لا كنز أنفع من العلم[٤]. وقال (عليه السلام): خير العلم ما قارنه العمل. وقال(عليه السلام): أنفع العلم ما عمل به. وقال (عليه السلام): خير العلم ما أصلحت به رشادك، وشره ما أفسدت به معادك. وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): خير العلم ما نفع[٥].

حيث أن لا أفضيلة كالعلم، فإنّ به حياة الأُمم وسعادتها، ورقيّها وخلودها، وبه نباهة المرء وعلوّ مقامه وشرف نفسه. ولا غرابة لو كان العلم أفضل من العبادة أضعافاً مضاعفة، لأنّ العابد صالح على طريق نجاة قد استخلص نفسه

---

(١) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٨٠.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٤) الكليني: الكافي، ج٨، ص١٩.

(٥) الريشهري: ميزان الحكمة، ج٣، ص٢١٠٥.

فحسب، ولكن العالم مصلح يستطيع أن يخرج عوالم كبيرة من غياهب الضلال، وصالح في نفسه أيضاً، وقد فتح عينيه في طريقه، ومن فتح عينه أبصر الطريق. وليس في الفضائل ما يصلح الناس وينفعهم ويبقى أثره في الوجود مثل العلم، فإنّ العبادة والشجاعة والكرم وغيرها إذا نفعت الناس فإنّما نفعها مادام صاحبها في الوجود، وليس له بعد الموت إلاّ حسن الأحدوثة، ولكن العالم يبقى نفعه مادام علمه باقياً، وأثره خالداً[(١)].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين الف عابد[(٢)].

عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَؤا ﴾ [(٣)] قال: يعني بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم[(٤)].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر، وفي رواية اخرى: ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها، ألا لا خير في

---

(١) المظفر، محمد الحسين: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، ج١، ص١٣٢.

(٢) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٨٢.

(٣) سورة فاطر: آية: ٢٨.

(٤) الكليني: الكافي، ج١، ص٣٦.

نسك لا ورع فيه[١].

وكان يعتبر (الغزالي) ان نفع العلم للفرد ونفعه للجماعة هو المعيار الذي يجب ان يوظّف للحكم على قيمته، لأنّ العلم لا يذم لذاته ولكن يذم إذا أدى إلى ضرر صاحبه أو ضرر جماعته. أما الطريق الموصل إلى تحصيل العلوم فهو على وجهين: التحصيل الخارجي بواسطة المعلم وهو التعليم الإنساني المكتسب إذ يقول: " لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، فإنّهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الهمجية إلى حد الإنسانية "[٢]، التحصيل الداخلي وهو ما يحصل بالتفكر والإلقاء في الروع وهو التعليم الرباني[٣].

٥- حرص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في التربية إيجاد التوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة استناداً إلى قوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ } [٤].

والمنهج التربوي الموجه للإنسان والمجتمع نحو الآخرة يوازن بين طلب الدنيا وطلب الآخرة، فلا يمنع من التمتع بالطيبات الدنيوية كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والاشباع العاطفي والجنسي، لأنّ الحرمان منها يولد القلق والاضطراب، وإنّما يضع القيود على تلك الطيبات، ويوجه الإنسان في نفس الوقت إلى الاعداد للدار الآخرة بالالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية، فلا يطغى طلب الدنيا على طلب

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٢) الغزالي: احياء علوم الدين، ج١، ص٩.

(٣) خضر: تطور الفكر التربوي، ص١٦٤

(٤) سورة القصص: آية: ٧٧.

الآخرة بالانغماس بالطيبات والملذات من دون قيود أو حدود، ولايطغى طلب الآخرة على طلب الدنيا بحرمان الإنسان من متعها المشروعة[١].

قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام): «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرّم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات»[٢].

عن الإمام أبي عبد الله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نعم العون على تقوى الله الغنى[٣].

وعن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: نعم العون الدنيا على طلب الاخرة[٤].

وعن الإمام الباقر: (عليه السلام) قال: ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه[٥].

وقال الإمام عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام): اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً[٦].

عن حفص بن غياث قال: قال أبو الحسن الأول الإمام موسى بن جعفر

---

(١) العذاري: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص١٠٧.

(٢) الحراني: تحف العقول، ص٣٠٧.

(٣) الكليني: الكافي، ج٥، ص٧١.

(٤) المصدر نفسه،ص٧٣.

(٥) العاملي، وسائل الشيعة، ج١٧، ص٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٦.

(عليهما السلام) اشتدت مؤونة الدنيا ومؤونة الاخرة، أما مؤونة الدنيا فإنّك لا تمد يدك إلى شيء منها إلاّ وجدت فاجراً قد سبقك إليه، وأما مؤونة الآخرة فانك لا تجد إخوانا يعينونك عليها[١].

٦- اهتم أهل البيت (عليهم السلام) بتنمية الفرد روحياً وانفعالياً وعقلياً وجسمياً. فمن الناحية الروحية قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى }[٢].

عن الإمام عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا أَلا وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَد سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ وَغَداً حِسَابٌ وَلا عَمَلَ»[٣].

وإنّ الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فإنّه ليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم». وأنّه قال: «لا تدع النفس وهواها فإنّ هواها في رداها وترك النفس وما تهوى أذاها وكف النفس عما تهواه دواها[٤].

إنّ الجانب الروحي في شخصية الإنسان المسلم يتمثل في مجموعة من

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٧.

(٢) سورة النازعات: آية: ٤٠-٤١.

(٣) الرضي: نهج البلاغة، ص٩٠.

(٤) الكليني: الكافي، ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦.

العناصر النفسية الداخلية المنشدة إلى الله تعالى.. والمرتبطة به، بصائر وعواطف، وإرادة. فايمانك بالله تعالى، واطمئنانك له، وخوفك، ورجاؤك منه، وحبه، وحب المؤمنين، والإخلاص والصبر، والزهد، وأمثال ذلك من المعاني التي يتشكل منها الجانب الروحي. وأما الصلاة وتلاوة القرآن الكريم، وذكر الله، وما شاكل ذلك فهي وسائل التربية الروحية والاعداد الروحي..وليست هي في ذاتها عناصر روحية..ومن روائع دين الله، أنّه لم يحث على ربط القلب والارادة بالله تعالى ولم يلزم به فقط وإنّما بين طريق ذلك وأُسلوبه الصحيح، وتسهيلاً للناس وتوضيحاً للسبيل المستقيم في مسألة قابلة الإنقسام في التربية الروحية تقوم على أساس من القوانين النفسية، ونظم الترابط بين الذهن، والقلب، والإرادة، والسلوك، وليس المقصود من أنّ الإسلام بيّن الطريق إلى التربية الروحية وتنمية الصلة النفسية بالله تعالى، أنّه قد تحمل مسؤولية للتربية، والبناء على الإنسان المسلم.. وإنّما كل ما فعله هو، أن وضح المعالم، ورسم الطريق، وعلى المسلم أن يبادر، ويعاني في سلوك هذا الطريق حتى ينتهي[(١)].

ومن الناحية الانفعالية، فإنّ الزكاة مثلاً تنمي حبّ عمل الخير وتحد من حب التملك، فالزكاة تتمثل بحل مشكلة الفقر وتوفير ما يضطر إليه الفقير من النفقة المطلوبة له ولمن يعيله فلا يعاني من مأساة الحرمان والضغط الاقتصادي الذي يؤدي إلى الكثير من المضاعفات السلبية. قال تعالى: { الم. ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }[(٢)].

---

(١) معن، حسين: نظرات حول الاعداد الروحي، ص٢٨٣.

(٢) سورة البقرة: آية: ١-٤.

إذ إنّ حق الزكاة مفروض لمستحقه بتشريع إلهي على حد تشريع وجوب الصلاة فلا يكون هناك أي أثر سلبي بخصوص آخذه لأنّه يكون بهذا الاعتبار بمنزلة الدين الذي يستحقه شخص على آخر. وبذلك يُعرف بأنّ الفائدة المترتبة على تأدية الزكاة لمستحقها هي مادية من جهة كما أنّها نفسية وروحية من جهة أُخرى نظراً إلى ما يترتب على دفعها له من الراحة النفسية والبهجة الروحية وحصول حال الاستقرار الفكري بتوفر الحاجات المادية فلا يعيش حال القلق والانفعال النفسي الذي يعاني منه الفقير عندما تضغط عليه الحاجة ولا يجد يداً بارة تمتد إليه بالبر والإحسان[١].

عن الإمام الصادق (عليه السلام) من قوله: إنّ لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الرزق الصدقة وإنّها بسببها تقضي الدين وتخلف بالبركة وإنّها دواء المريض بل هي أنفع من الأدوية كلها[٢]. ومن الناحية العقلية، قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الألبَابِ} [٣].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): قال كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: نبه بالتفكر قلبك ؛ وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك[٤].

عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول: ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكر في أمر الله عزّ وجلّ[٥].

---

(١) طراد، حسن: من وحي الإسلام، ج١، ص١٩٩٦، ص٧٠.

(٢) الكليني: الكافي، ج٤، ص١٠.

(٣) سورة ال عمران: آية: ١٩٠.

(٤) الكليني: الكافي، ج٢، ص٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٥

قال الغزالي: حقيقة التفكر طلب علم غير بديهي من مقدمات موصلة إليه وأمّا ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لاغير، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر، فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات[١].

ومن الناحية الجسمية: الإسلام يؤيد تربية الجسم مع أنّه مخالف للإسراف بمفهومه الأدبي والاصطلاحي. برأي الإسلام يجب أن يكون أسلوب الإنسان بنحو يجعل جسمه سليماً، يملك أعلى حد للنمو، ولا تصيبه الأمراض والآفات والأضرار. إن مثل الجسم كبناية، فتارة ترعونها وتحفظونها من الهواء والأمطار والثلوج وتبذلون أقصى جهودكم لحفظها، وأخرى تتركونها لحالها، يصيبها من الحوادث ما يؤدي إلى خرابها وانهدامها. فالتعاليم الإسلامية قائمة على أساس حفظ الجسم ونموه وسلامته. وإن إشباع الحاجات العضوية، كالحاجة إلى الطعام والشراب والراحة، وهو أمر ضرورة، لا يمكن الاستغناء عنه، لكن الإسلام لا يعتبر إشباع هذه الحاجات غاية في ذاته، بل إمداد الإنسان بالمتعة والقوة والطاقة التي تحقق له التوازن وتعينه على عبادة الله. والقيام بالدور الذي خلق من أجله في هذه الحياة[٢]. قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"[٣].

(١) الغزالي: أحياء علوم الدين، ج٤، ص٤١٣.

(٢) مطهري، مرتضى: التربية والتعليم في الإسلام، ترجمة – علي الهاشمي، دار الهادي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥، ص١٧١.

(٣) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ح٢٦٦٤، ص١٦٣.

والقوة هنا شاملة للجسم والعقيدة والتفكير والعمل. وهذه الطاقة التي ينتجها الجسم، بعد الاعتناء به وضبطه بما شرعه الله له، فإنّ الإسلام لم يترك هذه الطاقة هملاً، بل وجهها خير توجيه وأنار لها الطريق المستقيم الذي تصرف فيه وتستهلك فيه. عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) قال: «صِحَّةُ الأَجْسامِ مِنْ أهْنَا الأقسامِ»[١]. وعليه فإنّ الذات الإنسانية في الإسلام كل لا يتجزأ. ولا ريب أنّ كل جزء من هذه الأجزاء يؤثر في الآخر ويتأثر به..[٢]

٧- أكد القرآن الكريم وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) الوحدة الاجتماعية، وهي من أسس المجتمع المسلم وركائزة فلا غرو أن يحافظ عليها الأئمة (عليهم السلام) أيّما محافظة ويضحون من أجلها بالغالي والنفيس تمسكا بقوله تعالى: { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ }[٣]. وقد فسر النبي لهذه الأمة الحبل الذي تمسكوا به حفظوا وحدتهم من التفرق وهما كتاب الله وعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٤].

وفي وصيته (عليه السلام) لابنه الإمام الحسن (عليه السلام): فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله أَيُّ بُنَيَّ ولُزُومِ أَمْرِهِ وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ الله إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وقَوِّهِ بِالْيَقِينِ ونَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ واعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ

---

(١) الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٩١.

(٢) خضر: تطور الفكر التربوي، ص١٣٧.

(٣) سورة ال عمران: آية: ١٠٣.

(٤) اليعقوبي، محمد: دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ص٧٣

المَاضِينَ وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ وحَلُّوا دَارَ دِيَارَ الغُرْبَةِ وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ ودَعِ القَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ والخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ وأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ قوله (عليه السلام) أي سبب أوثق إشارة إلى القرآن لأنه هو المعبر عنه بقوله تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا }[1].

فكان أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) رجل الوحدة ورائدها، ففي الوقت الذي يرى نفسه صاحب الحق في الخلافة والإمامة فالامام علي (عليه السلام) تنازل عن حقه في سياسة أمور العباد من أجل حفظ هذه الوحدة وهو القائل لما عزموا على بيعة عثمان: " لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لاَسْلِمَنَّ مَاسَلِمَتْ أُمُورُ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً، التمَاساً لاِجْرِ ذلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيما تَنافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ"[2].

فكان هدف أهل البيت (عليهم السلام) هو تنمية العلاقات الاجتماعية للفرد، وبناء المجتمع الإسلامي. فالمجتمع القوي البنيان، تسود بين أفراده علاقات اجتماعية مترابطة خالية من الصراعات والتناقضات.

٨- حرص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على تربية "ضمير" الإنسان ليكون حيا يقظا في السر والعلن ومحاسبة الإسلام للمسلم على النية التي تعتبر من العوامل التي لها أهميتها في تربية الضمير. قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ابن حديد: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٦٢-٦٣.

(٢) الرضي: نهج البلاغة، ص١١٨.

وسلم: " انما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى"[(١)].

وقد أشار (أبن سينا) إلى هذا بقوله: "وخير العمل ما صدر عن خالص النية"[(٢)].

فالتربية الإسلامية تسعى بطاقاتها جميعها إلى تكوين الوازع الديني في أعماق النفس ودخائل الذات، بحيث يغالب الدوافع النفسية، ويتولى هو قيادة التسيير والتوجيه لهذا الإنسان، أنّ العاصم الوحيد الذي يمكنه ان يحجز الإنسان من الانحراف، ويصده عن الطغيان، إنّما هو الضمير الواعي المترع بروح العقيدة والإيمان، وهو أعظم وازع من الوقوع في حمأة الرذائل والحرام، ويجهد الإسلام على تموينه وتقويمه ليكبح جماح الشهوات، ويوجه الإنسان في ميدان مشرق يسوده رضاء الله، ورضاء الضمير، وهذا هو السر في أصالة التربية الإسلامية ونجاحها في معطياتها التربوية[(٣)]. قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): " ابن آدم إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة لها من همّك"[(٤)]وقال الإمام مُحَمَّد الجواد عليه السلام: " المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممّن ينصحه "[(٥)].

يقول الدكتور علي القائمي: يولد الإنسان وهو مزود بالغريزة والفطرة، وكل دوافع العمل والجهد والارتقاء والنضج والسعي لبلوغ الأهداف النبيلة. وبإمكان القوى الأدراكية المودعة فيه ادراك الواقع والحكم على الأمور. وله حياة

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الامارة، باب قول صلى الله عليه وآله وسلم إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال،ح،١٩٠٧ص٤٧.

(٢) أبن سينا: الاشارات والتنبيهات، تحقيق د. سليمان دنيا، القسم الاول،دار المعارف،ط٣، ص٩٩.

(٣) القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص٢٤٦.

(٤) المفيد: الامالي، تحقيق حسين ولي، علي اكب الغفاري، ط٢، ١٤١٤-١٩٩٣، ص١١٠

(٥) الحراني: تحف العقول، ص٣٤٠.

وجدانية، والمراد من ذلك أنّه قادر على النظر في ذاته في أي لحظة ليدرك أن له رؤية وبصيرة في ظل وجود عوامل الإستقرار والراحة. إنّ وجود مثل هذا الإدراك ومثل هذه الحياة التي تسمى بالضمير إنما هي مقدمة لتوجيه الإنسان نحو الغاية المنشودة. ثم أنّه يكتسب، في ما بعد، الأسس الأخلاقية وبعض المعتقدات الدينية والمدركات الموجودة في هذا العالم نتيجة للتربية والبيئة الاجتماعية. وأنّ وجود الضمير عند الإنسان مهم فهو قاض ومشرف، ودليل أمين. له رأيه في قبيح الأمور وجميلها. وهو من هذا المنظار قاعدة كبرى لتربية الإنسان وسعادته[(١)].

٩- وأهتم أهل البيت (عليهم السلام) بأن تتيح للمسلمين فرصاً متكافئة لاكتساب المعرفة. وهذه السمة بديهية بخصوص مبدأ المساواة الذي جاء به الإسلام. وقد اهتم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالعدل بالنسبة للتعليم لأن العدل يخدم العملية التربوية والتعليمية خدمة جليلة. قال (صلى الله عليه وآله): " أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائبين"[(٢)].

وكذلك اعتبر الإمام علي (عليه السلام) العلم هو أحد دعائم العدل إذ أجاب (عليه السلام) بعد أن سُئل عن دعائم العدل فقال: "والعدل منها على أربع شعب غائص الفهم، وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم"[(٣)].

الإسلام يقدم نظاماً عادلاً في توفير الفرص التعليمية لكل القادرين على التحصيل، إلاّ أنّه لا ينكر وجود التفاوت فى قابليات الفهم والادراك والابداع عند

(١) القائمي، علي: تربية الطفل دينيا وأخلاقيا، ص١٥٢.

(٢) خضر: تطور الفكر التربوي، ص١٣٦.

(٣) الرضي: نهج البلاغة، ص٧٧٥.

الافراد. فالأفراد عموماً متفاوتون في مستوى فهمهم العلمي وابداعهم ونتاجهم. ولما كانت هذه القابليات متفاوتة، فإنّ المكافآة على الجهد المبذول يجب ان تتفاوت من فرد إلى آخر. ولكن هذا التفاوت في الأجور ينبغي ان لا يخلق طبقات اجتماعية متفاوتة بل طبقة واحدة مختلفة الدرجات. وهذا النظام التعليمي الرائع يضمن قضيتين أساسين، الأولى: تنشيط فرص الإبداع لكل فرد، والثانية: العدالة الاجتماعية للأفراد كلهم. فلا يستطيع الذكي بكل ما أوتي من قوة عقلية ان ينشئ طبقة متميزة به عن الآخرين، تماماً كما لا يستطيع الثري مهما اُوتي من قوة مالية انشاء طبقة متميزة به وبأقرانه، لأن ذلك يدعو إلى الظلم الذي يرفضه الإسلام. واذا ثبتت أسس العدالة الاجتماعية بقوة، كما جاء بها الإسلام، اصبحت القاعدة التي يتعامل بها النظام التعليمي المرتبط بالنظام الاجتماعي الإسلامي، مع جميع الطلبة هي قاعدة العدالة والمساواة. ولايقر الإسلام نظام تكافؤ الفرص فحسب، بل يهيئ الأفراد تهيئة شاملة للمنافسة العلمية القائمة على أساس الجهد والذكاء. فيزيل أولاً أسباب التعويق الاجتماعي كلها لطلب العلم من فقر وعدم إشباع الحاجات الاساسية، فيأخذ حقوق الفقراء ويرجعها اليهم، ويلغي النظام الطبقي العائلي، ويشبع حاجات الأفراد جميعاً ويوفر لهم مستوىً واحداً من التعليم الابتدائي والثانوي لا يختلف فيه الفقير عن الغني. ثم يضع هؤلاء المتسابقين في ميدان العلم على خط البداية، ويهتف بهم تسابقوا على بذل الجهد فإن سبق أحدكم الآخر فانما يفوز بجهده وقابليته. والإسلام بهذا النظام الرائع لا يثبت عدالته بين الأفراد فحسب، بل يبرز نظامه المنسجم مع طبيعة الحياة الإنسانية التي خلقها البارئ عزّ وجلّ، ويربطها بالنظام الكوني المبني على أساس الدقة والتنظيم والعدل[١].

---

(١) الاعرجي، زهير: نظرية التعليم في الإسلام، مؤسسة محراب الفكر والثقافة، ص٧٤.



الفصل الثاني

السلوك الإنساني وأثر التربية فيه

المبحث الأول / أنواع السلوك

المبحث الثاني / مقومات السلوك وشروطه

المبحث الثالث/ العوامل المؤثرة على السلوك

تمهيد

السلوك هو السيرة، والمذهب، والاتجاه نقول: فلان حسن السلوك، أو سيء السلوك[1].

السلوك هو الاستجابة الكلية التي يبديها الكائن الحي إزاء أي موقف يواجهه[2].

فالسلوك هو الأنشطة جميعها لا الأقوال والأفعال التي يقوم بها الكائن الحي حيواناً كان أو إنساناً خلال تفاعله مع البيئة من أجل التكيف والتكييف يقصد به الملاءمة أو الموائمة بين الكائن الحي وبيئته من أجل إشباع دوافعه وغرائزه وحاجاته وبعبارة أخرى فالسلوك الإنساني هو كل ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه إزاء مشكلة يحلها خطر يشهده أو قرار أو مشروع يخطط له ويقصد بالاستجابة كل شيء أو نشاط يثيره منه أو مثير سواء كان خارجي أو داخلي وعلى ذلك يشمل السلوك.

---

(١) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، م١، ص٦٧١.

(٢) لجنة التأليف: معجم علم النفس والتربية، ١٩٨٤، ج١، ص١٩.

كل ما يفعله الإنسان ويقوله.

كل ما يصدر عنه من النشاط العقلي كالادراك والتفكير.

كل ما يشعر به من تاثيرات وجدانية وانفعالية كالاحساس باللذة والألم(١).

فالسلوك بوجه عام، هو تعبير عن الاستجابات الحركية والغددية أي الاستجابات الصادرة عن عضلات الكائن الحي أو عن الغدد الموجودة في جسمه. ولذلك فإنّ السلوك الإنساني يتكون من العديد من الأنشطة التي يؤديها الفرد في حياته اليومية حتى يمكن أن يتواءم ويتكيف مع مقتضيات المعيشة، فالسلوك يتمثل في الأنشطة الظاهرة الملموسة، كالاستيقاظ من النوم وتناول الافطار وقراءة الصحف والتوجه إلى العمل وإنجاز بعض الأعمال، كما أنّه يتمثل من الأنشطة غير الظاهرة أو غير الملموسة أيضاً، كالتفكير والتأمل والإدراك وبذلك يدخل تحت مفهوم السلوك الإنساني الأنشطة العقلية والفسيولوجية التي يدخل الكائن الحي ذاته، أي إنّ السلوك يشمل أنشطة الكائن الحي الداخلية والخارجية جميعها(٢).

وهناك محاولات مختلفة لوصف السلوك، فيقسم السلوك إلى سلوك فطري وسلوك مكتسب.

أ- السلوك الفطري الذي لا يحتاج إلى تعلم. مثال ذلك أنّ الطفل الصغير لم يتعلم من أحد الصراخ أو البكاء أو الرضاعة فالسلوك الفطري سلوك موروث.

ب - اما السلوك المكتسب فهو السلوك الذي يتعلمه الفرد نتيجة لمحاكاته بالبيئة المحيطة به. ويظهر السلوك المكتسب في صور متعددة. كتعلم القراءة

(١) العبيدي، محمد جاسم: علم النفس التربوي، عمان - الأردن،ط١، دار الثقافة، ٢٠٠٩ ص١٩.

(٢) العمري، إبراهيم: السلوك الإنساني، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٩،ص١٨.

والكتابة، وقيادة السيارات وركوب الدراجات، والسباحة، وغير ذلك من المهارات التي يتعلمها الفرد وتتأثر بالاتجاهات والميول والعقائد الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية وغيرها، التي يؤمن بها[١].

والتربية هي عملية اجتماعية لتكييف سلوك أفراد الجماعة ومواقفهم ليتمشوا ويسايروا القوالب والأنماط الثقافية والضوابط الاجتماعية التي ارتضتها الجماعة. والتربية مسؤولة إلى حد كبير عن تكوين السلوك ومايرتبط به من قيم خلقية واجتماعية، ذلك أنّ نوع السلوك وما يقوم عليه من إلتزام خلقي يمثل الدورة الدموية التي تغذي النظم جميعها، فالإنسان هو نتاج المجتمع الذي يعيش فيه، وشخصية اجتماعية أكثر منها بيولوجية فالتربية تعني بعملية التشكيل الإنساني للوليد البشري، ذلك لان السلوك الإنساني مكتسب، أي إنّ ألسلوك يتعلمه الفرد بتعامله مع أفراد المجتمع الآخرين، ففي كل مجتمع من المجتمعات نجد عمليات مختلفة للتدريب والتطبيع تكسب الأفراد الأفكار والقيم والمعايير؛ بل والانفعالات التي تناسب كل نوع من أنواع الادوار الاجتماعية في الأسرة والمهنة والدين والسياسة والتعليم والطبقة الاجتماعية، ومما يساعد التربية على قيامها بمهامها هذه ان المعايير الاجتماعية والافكار والانفعالات والسلوك الإنساني ليست فطرية أي انها تكتسب نتيجة الاشتراك في مناشطها الحياة المختلفة[٢].

فالتربية لها أثر على السلوك الإنساني، فالتربية هي عملية بناء الشخصية الإنسانية وتوجيهها وإعدادها على وفق منهج الإسلام وأهدافه في الحياة ومن المعروف أنّ الإنسان عندما يولد فإنّه يكون كالصفحة البيضاء وكالارض الخالية

(١) المصدر نفسه، ص١٨.

(٢) العمايره، محمد حسن: اصول التربية، دار المسرة، عمان- الأردن، ط٥، ٢٠٠٨، ص٢٢٠.

يولد وهو يملك الاستعداد لتلقي العلوم والمعارف التي تكوّن شخصيته وسلوكياته. لذلك اهتم الإسلام اهتماما شديدا في ذلك فقال: " اطلب العلم من المهد إلى اللحد ". لأنّه حتى الطفل يوم ميلاده يسمع ويفهم فترديد كلمات الأذان والاقامة في أُذُن الطفل لم تكن إلاّ لقدرة هذا الطفل على تسجيل هذه الكلمات النورانية في عقله ونصيحة الإسلام للوالدين بان ياخذوا أبناءهم معهم إلى مجالس الوعظ والارشاد، وجلسات القرآن الكريم لم تأتِ جزافاً إنّما لقدرة هذا الطفل الصغير على تخزين المعلومات التي يراها أو يستمع إليها لتظهر عليه حينما يكبر في سلوكه واقواله[1].

---

(١) الهاشمي: عبدالله: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص١٦.

المبحث الأول: أنواع السلوك

هناك أنواع متعددة للسلوك الإنساني منها الآتي:

أ- السلوك الفردي

هو عمل يقوم به الفرد تلبية لدافع شخصي غير متأثر بالعوامل الاجتماعية ويبدو أكثر وضوحا عند الحيوانات والأطفال في إشباع غرائزهم الفطرية.

ويرى عالم النفس الفردي " ادلر " أنّه لو كانت الغرائز والقوى الفطرية هي التي تحكم وحدها قيادة سلوك الفرد من كل ناحية، لما كان في قدرة المرء أن يعدل من شخصيته، ليستجيب لما تتطلبه منه البيئة التي يعيش فيها إلاّ إلى حد محدود[١].

ومن الأمور التي تصدى لها الإمام الجواد (عليه السلام) اهتمامه بتربية أتباعه وشيعته ومتابعته لتربيتهم، ومن الأمثلة على ذلك موقفه من الشاعر المعروف دعبل الخزاعي: فعن دعبل بن علي: " أنّه دخل على الرضا (عليه السلام) فأمر له بشيء فأخذه ولم يحمد الله، فقال له: لم لم تحمد الله؟ قال: ثم دخلت على أبي جعفر فأمر له بشيء فقلت: الحمد لله. فقال: تأدبت " إنّ هذا المثال يكشف عن تتبع الإمام (عليه السلام) لسلوك أتباعه واهتمامه بتكاملهم الثقافي والروحي[٢].

---

(١) رمزي، اسحق: علم النفس الفردي اصوله وتطبيقاته، دار المعارف، مصر ١٩٤٢، ص٧١.

(٢) لجنة التأليف: أعلام الهداية،"الامام محمد بن علي الجواد عليهما السلام "، ص١٩١.

ويعتبر السلوك الفردي أبسط أنواع السلوك إذ يتعلق بفرد معين، فكل واحد منا يتعرض لمواقف متعددة في حياته اليومية نطلق على كل موقف منها لفظ "مؤثر"، مثلاً: فإذا تصورنا شخصاً يسير في الطريق وسمع صوت سيارة "مؤثر" تاتي من خلفه فإنّه تلقائياً يأخذ جانب (استجابة) ليتجنب اصابة السيارة له. ولكن السؤال: هل يستجيب الأفراد جميعهم بصورة واحدة بخصوص مؤثر معين؟ لقد أثبتت الدراسات السلوكية أنّ المؤثر الواحد ينتج أنواعاً من السلوك المتنوعة عند الأفراد المختلفين وذلك باختلاف السن، والجنس، والخصائص الشخصية، والوسط، والعوامل البيئية، هذه العوامل كلها تؤدي إلى اختلاف "إدراك" الأفراد للمؤثرات وتصوراتهم عن أنواع السلوك المفضلة. مثلاً: إنّ قراءة خبر في الجريدة الصباحية عن سياسة القبول بالجامعات قد يحمل معاني مختلفة وتفسيرات متعددة للعديد من الأشخاص نتيجة لاختلاف إدراك كل منهم وتفسيره لمعنى الخبر، ومن ثم ينعكس اثره ذلك على سلوك كل منهم بين مؤيد، ومعارض، وغير مهم[١].

فالسلوك الفردي هو مجموعة من أساليب التفكير والتصرف واتخاذ القرارات والمشاعر المتاصلة والفريدة لشخص معين. بدات دراسة شخصية الإنسان وتحليلها من اليونانيين القدماء وخاصة من (أبو قراط) الذي اعتقد ان الاختلاف في الشخصيات بين بني البشر يرجع إلى اختلاف نسب ما وصفه بالسوائل الحيوية الأربع وهي بحسب (أبو قراط): الدم والمادة الصفراء من مرارة الإنسان، والمادة السوداء من مرارة الإنسان والبلغم. فعلى سبيل المثال اعتقد (أبو قراط) أنّ الشخصية الدموية تكون ذات صفات متفائلة ومحبة للمغامرة بعكس الشخصية البلغمية التي تكون غير مبالية. ثم حاول (أرسطو) تحليل الاختلاف في الشخصيات

(١) العمري، إبراهيم: السلوك الإنساني، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٩، ص٢٤.

فقام بتفسيرها بحسب قسمات الوجه والبناء الجسمي للشخص فعلى سبيل المثال اعتقد (أرسطو) أنّ الأشخاص ذوي البنية النحيفة يكونون عادة خجولين. وقام (دارون) بتحليل الشخصية كعوامل غريزية اكتسبها المرء من غرائز البقاء الحيوانية. أما (سيجموند فرويد) فقد حلل شخصية الإنسان بصراع بين الأنا السفلي والأنا العليا. في الوقت الحالي يعدّ عامل الوراثة والمجتمع المحيط بالفرد من أهم العوامل التي تبني شخصية الإنسان. وعرف عالم النفس الشخصية (مورتون): (الشخصية) بأنّها حاصل جمع الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الموروثة وكتلك الصفات والميول المكتسبة كلها. ويقول عالم النفس الشخصية (شن): إنّ الشخصية هي التنظيم الديناميكي في نقص الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة التي تعتبر مميزاً خاصاً للفرد وبمقتضاها يتحدد أسلوبه في التكييف من البيئة[١].

نجد ذلك عند أمير المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب عليهما السلام، الذي قام بتحليل أربع صور من أصناف الناس، إذ يقول (عليه السلام):

" فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَاف: مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ الفَسَادَ في الأَرْضِ إلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلاَلَةُ حَدِّه، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ. وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أو مِقْنَبٍ يَقُودُهُ، أو مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ. وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلاَ يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ

(١) بطرس، بطرس حافظ: تعديل وبناء سلوك الاطفال، دار المسيرة، عمان – الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص٨٠-٨١.

لِلْأَمَانَة، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إلى المَعْصِيَة. وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ المُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الحَالُ عَلَى حَالِه، فَتَحَلَّى بِاسْمِ القَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أهل الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلاَ مَغْدىً"[١].

وإنّ سلوك الفرد ليس ضرورة للنجاح في حياته الخاصة فحسب بل انه ضرورة لبناء المجتمع أيضاً، ذلك أنّ الأفراد بمثابة لبنات والبناء الاجتماعي مكون من هذه اللبنات فإذا أردنا أن نكون مجتمعاً خيراً فلابد من تكوين أفراد اخيار قبل ذلك. ثم أنّه لا يمكن أن يسعد فرد في مجتمع مهما كان خيراً في نفسه إذا كان المجتمع فاسداً شقياً ولا يمكن تكوين مجتمع سعيد أيضاً إذا كان مكوناً من الأشرار أو من الاخيار والأشرار معا. إذ الأمر يتحول عندئذ إلى صراعات مستمرة بين الأخيار والأشرار أو بين الخير والشر فبقدر ما يزداد عدد الاخيار عن عدد الاشرار يزداد الخير ويقل الشر ومن ثم تزداد رقعة السعادة وتقل رقعة الشقاوة في المجتمع.

أما إذا كان الأفراد فاسدين فسيكون البناء الاجتماعي فاسداً من أساسه ولا يمكن اصلاحه بما هو عليه ومن ثم لا يمكن اقامة مدنية إنسانية خيرة بأي حال من الأحوال. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من البدء بالفرد وذلك بتكوينه إنساناً صالحاً خيراً لنفسه ولغيره معاً، وهذا يكون بالتعليم والتربية الخيرة. بتعليمه ما هو خير وما هو شر وأين تقع حدودهما في ميدان السلوك الإنساني. ثم بتكوين روح الخير في نفسه ونزع روح الشر منها وذلك بتنشئته وتربيته من الصغر حتى يتأصل الخير في نفسه ويتأصل الكره للرذائل والشرور في قرارة نفسه عن علم وبينة ولا

---

(١) الرضي، الشريف: نهج البلاغة، تحقيق – فارس الحسون، ايران – قم المقدسة، ط١، ١٤١٩هـ، ص٧٧.

يمكن تحقيق ذلك إلاّ بالتربية السليمة[١].

وهذا ما قام به افلاطون في بناء مدينته الفاضلة إذ قام بتربية الأطفال منذ نعومة أظفارهم[٢].

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وهو الكتاب الذي مثّله أهل البيت (عليهم السلام): هذا الكتاب المبين الذي لم يترك كبيرة ولاصغيرة، من شئوون البشر وأحوالهم إلاّ أحصاها الحق، هذا الكتاب القيم في إعجازه مع وضوحه، الذي أوحى به من لدن العزيز الحكيم إلى نبيه الصادق الأمين، لهو آية ومعجزة ربانية لرسول من البشر ليهديهم به إلى صراط مستقيم أفغير هذا الكتاب المبين يتخذ أي مؤمن هادياً ونبراساً في حياته الدنيا ولآخرته؟

قال تعالى: { إِنَّ هَذَا القرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [٣].

وقال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [٤].

قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): " ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه وسراجاً لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه"[٥].

---

(١) ياجن، مقداد: دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، مصر،ط١، ١٩٨٣، ص٣٢.

(٢) حماده، حسين صالح: دراسات في الفلسفة اليونانية، ج١، دار الهادي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٨٤.

(٣) سورة الاسراء: آية: ٩.

(٤) سورة الانعام: آية: ١٥٣.

(٥) الرضي، الشريف: نهج البلاغة، ص٤١٧.

وعليه فلابدّ أن نتخذ من هذا الكتاب مرشداً لنا في التعامل مع الناس بالمعروف وسبيلاً للفوز برحمة العزيز المقتدر ورضاه سبحانه وتعالى. هذا هو الفرقان، دستور الإنسان الأزلي، يفرق به المؤمن بين الحق والباطل، وفي ضوء آياته البينات يميز الصواب والخطأ، ويختار الطيب وينبذ الخبيث، به يهتدى إلى الحق ويتحرى الصواب ويتخير الطيب في فكره وضميره وفي قوله وعمله فيفوز فوزاً مبيناً في حياته الدنيا وفي دار البقاء والخلود. فإلى قران الله الحكيم خاتم كتب الله، علينا أن نهتدي به إلى الطريق القويم في أسلوب عملنا في هذه الحياة الدنيا وسلوكنا فيها، وبه نسترشد دوافع العمل وأهدافه وطريقته بعد أن تتدبر الأسباب الطيبة لنحصل على مسببات طيّبات نربط بينها لسلوك الطيب. وما أبلغ هذا القرآن وما أعظم بيانه لمعنى السلوك الذي يجب على كل مؤمن الأخذ به ليسعد به وليشمله الله برعايته ونظرة رحمته.

والمؤمن الصادق في إيمانه، أن يسير على صراط ربه المستقيم بلا انحراف ولاعوج، إنّما يجعل من نفسه ومن سلوكه قدوة حسنة لغيره، وعاملاً فاعلاً في بث الخير واعلاء كلمة الحق فعلى المؤمن إذاً، ان يبدا بنفسه فيأخذ بمبادئ هذا الدين القيم، المبينة بأوضح بيان القرآن الكريم، فنسير على هدى آياته نصاً وروحاً في سلوكه العام والخاص، فكراً وقولاً وعملاً، في صدق وتقوى، فيكون له بذلك قوة الإيحاء والتأثير فيمن حوله ومن يتعامل معهم. يتقبلون منه النصح فيردهم عن الضلالة إلى الهدى وعن الإنحراف إلى الاستقامة. هذا ما يجب أن يكون عليه سلوك الفردي للمؤمن(١).

---

(١) سليم، محمد بهائي: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص١٤١- ١٤٣.

العبادة وأثرها على السلوك الفردي

إنّ العبادة..لها أثر كبير في تربية الفرد وتنميتها وتهذيبها عند الإنسان..لأنّ حقيقة الإنسان ليس بهذا الغلاف الظاهر المادي الذي نراه ونحسه، والذي يسعى في طلب حظه من طعام الأرض وشرابها ذلك كلّه ليس من حقيقة الإنسان في شيء.. وإنّما حقيقة الإنسان في جوهره النفيس، وما فيه من الطاقات الخلاقة التي أكملت إنسانيته. فالعبادة، هي الغذاء والنماء لهذه الروح والتي تمدها بمدد يوحي لا ينفذ ولا يفيض.

نجد أنّ القرآن الكريم يرسم لنا الصورة التفصيلية للشخصية المؤمنة المستقيمة..ونجد العبادة أول معلم واضح فيها وأول شرط من شرائطها(١). ففي سورة المؤمنون قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } (٢).

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا، على عسر أم على يسر".

قال عيسى بن عبد الله للإمام أبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك ما العبادة؟ قال: " حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها، أما إنّك يا

(١) السيد الصدر، حسين: الدين وتهذيب السلوك، ص٢٥.

(٢) سورة المؤمنون: آية: ١- ٩.

عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ، قال: قلت جعلت فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ قال: فقال: أليس تكون مع الإمام موطناً نفسك على حسن النية في طاعته، فيمضي ذلك الإمام ويأتي إمام آخر فتوطّن نفسك على حسن النية في طاعته؟ قال: قلت: نعم، قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ".

وقال (عليه السلام): " إنّ العباد ثلاثة: قوم عبدواالله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حباً له، فتلك عبادة الاحرار وهي أفضل العبادة ". وعن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: "من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد الناس"[١].

ويشير ابن مسكويه إلى أنّ العبادة هي تعظيم الله تعالى، وتمجيده وطاعته، وإكرام أوليائه: من الملائكة والأنبياء، والأئمة، والعمل بما توجبه الشريعة[٢].

فالعبادة رابطة روحية تربط الإنسان بالمطلق وعالم الغيب والمعنويات، وبها يتصل القلب بمنعم الوجود اتصالات متنوعة، وهذه الاتصالات تجعله يستشعر الرقابة الإلهية فلا يجرأ على الانحراف، ويتوجه نحوالاستقامة[٣].

والعبادة هي تشمل السلوك الفردي والاجتماعي. وأبرز مصاديق العبادة هي:

١- الصلاة

فالصلاة في الحقيقة - لها دور في تربية الإنسان وتهذيبه، فهي تمد الإنسان بقوة خلقية وروحية ونفسية، وتحثه وتقويه على فعل الخير، وتحذره وتمنعه من الشر

---

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص٨٣-٨٤.

(٢) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، ص٣٣.

(٣) العذاري: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص٤٢.

بأنواعه كلّها. وفي الصلاة يشعر المؤمن بالسكينة والرضا والطمانينة[١].

قوله تعالى: { إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلاَّ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ }[٢].

وقال تعالى: { وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }[٣].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء"[٤]. وعن الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: " الصلاة قربان كل تقي"[٥].

وقد أشار (ابن سينا) بقوله إلى أنّه: "... وأشرف العبادات هو ما كان خالصا لله كالصلاة، فيجب أن يسن المصلي من الطهارة والتنظيف سنناً بالغة فضلاً على الخشوع والخضوع وغض النظر، وقبض الأطراف وترك الالتفاف ولا ضطراب، وذلك حتى ينتفع العامة من هذه العبادات برسوخ ذكر الله في أنفسهم فيدوم تشبثهم بالسنن والشرائع التي هي مصدر السعادة وأصلها لعامة الناس، فعامة الناس لا يبلغون إلى السعادة في هذه الدنيا إلاّ إذا تمسكوا بالسنة والشريعة"[٦].

---

(١) الصدر: الدين وتهذيب السلوك، ص٦٣.

(٢) سورة المعارج: آية: ١٩- ٢٣.

(٣) سورة العنكبوت: آية: ٤٥.

(٤) الكليني: الكافي، ج٣، ص٢٦٥.

(٥) المصدر نفسه: ص٢٦٧.

(٦) عرقسوسي، محمد خير حسن: ابن سينا والنفس الإنسانية، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٩٨٢، بيروت، ص١٧٢.

٢- الزكاة

إنّ الزكاة علاج ناجح لفساد المجتمع من الوجهة الاقتصادية فالناس مختلفون في قدراهم ومواهبهم، وإنّ الزكاة فرضت على القادرين لتطهرهم من طمع النفس، ومرض الانانية، ليكونوا مصدر رحمة نحو اخوانهم الذين تقهرهم الحاجة، ويستبد بهم البؤس، وأنّ الهدف من الزكاة هو أن يغتني الفقراء بها، فإذا كان الفرد الغني يشعر من قرارة نفسه أنّه كان ضالاً فهداه الله، وكان عائلاً فأغناه الله، وكان فقيراً فأعطاه الله، وكان محروماً فأفاض الله عليه من نعمة المال ما جعله موسراً وغنياً. وإنّ هذا المال الذي في يديه هو مال الله، ومال الله أمانة في يده حدد له حدوداً في الانتفاع به ورسم له طريقاً لاستهلاكه[١].

عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قالا: فرض الله الزكاة مع الصلاة في الأموال وسنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تسعة أشياء - وعفا رسول الله عما سواهن - في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والتمر والزبيب وعفا عما سوى ذلك.

وعن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الزكاة على تسعة أشياء، الحنطة والشعير والتمر والزبيب والذهب والفضة والإبل والبقر والغنم، وعفا عما سوى ذلك، قال يونس: معنى قوله: إن الزكاة في تسعة أشياء وعفا عما سوى ذلك: إنّما كان ذلك في أول النبوة كما كانت الصلاة ركعتين ثم زاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها سبع ركعات وكذلك الزكاة وضعها وسنها في أول نبوته على تسعة أشياء ثم وضعها على جميع الحبوب[٢].

---

(١) مكرم، عبد العال سالم: اثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع،ص ٨٢

(٢) الكليني: الكافي، ج٣، ص٥٠٩.

٣- الصوم

إنّ للصوم موقعاً كبيراً وأثراً بالغاً.. في تربية الروح، وتنقية النفس، وتطهير الداخل، وتنمية الأخلاق والفضيلة، وتأكيد الصلاح والاستقامة..ففي الصوم، الانفتاح الكامل على حاجات الروح وتطلعات النفس، وفيه التفرغ لمطاليبها وحاجاتها الروحية والمعنوية..فنرى الإنسان الصائم منفتحاً انفتاحاً كبيراً، للتوجه إلى الله وأوامره ونواهيه وسلوكه وأخلاقه، والرغبة إليه في العبادة، والاستعداد للاستقامة والصلاح... [١] والصوم يعوّد الإنسان على الصبر والإرادة والقوة والعزيمة، ويعلم ضبط النفس، ويربي في الإنسان ملكة التقوى والإيمان، والصوم يكون في المؤمن عاطفة الرحمة، فاحساسه بالجوع يجعله يمد يده إلى الفقراء بما يمنع عنهم غائلة الجوع[٢].

فالصوم دورة تعليمية لنمو المثل والسلوك عند الإنسان، وهو من أهم العوامل التي تربط الإنسان بخالقه، وتوقظه من غفلته وغفوته، فيندم على ما ارتكبه من المخالفات والآثام وتصحو نفسه عن المعاصي والآثام وينقطع إلى الله سبحانه وتعالى متخذا من جوعه وعطشه وسيلة للتقرب منه تعالى[٣].

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): الصوم جنة من النار.

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام"[٤].

---

(١) الصدر: الدين وتهذيب السلوك، ص٦٨.

(٢) مكرم، عبد العال سالم: اثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، ط١، ١٩٨٨، ص٧٩.

(٣) الصدر: الدين وتهذيب السلوك، ص٧٢

(٤) الكليني: الكافي، ج٤، ص٦٢.

عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج، والصوم والولاية... وقال (عليه السلام): إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثم قال: قالت مريم: " إنّي نذرت للرحمن صوما " أي صوماً صمتاً وفي نسخة أُخرى أي صمتاً فإذا صمتم فحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا، قال: وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله إمرأة تسب جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام، فقال لها: كلي فقالت: إني صائمة، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سبيت جاريتك، إن الصوم ليس من الطعام والشراب، قال: قال الإمام أبوعبد الله (عليه السلام): إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ودع المراء وأذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك[١].

٤- الحج

في الحج يجتمع المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في مكان واحد يذكرون الله، ويؤدون مناسكه، متجردين من كل مايشغلهم في الحياة، وفي الحج فيه تربية للفرد ليتم صلاحه، ويستقيم أمره. إنّ فريضة الحجّ معينٌ غنيٌّ بالأبعاد والآداب المعنويّة والروحيّة، وللإطلالة على هذه الأبعاد المفضية إلى أسرارها، نورد برواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام المعروفة برواية الشبليّ، وهي الآتية:

أنّه لّما رجع مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام من الحجّ استقبله الشبليّ، فقال عليه السلام له: حججت يا شبليّ؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام: أنزلت الميقات، وتجرّدت عن مخيط الثياب، واغتسلت؟ قال:

---

(١) المصدر نفسه: ج٤، ص٨٧.

نعم، قال عليه السلام: فحين نزلت الميقات، نويت أنّك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا، قال: فحين تجرّدت عن مخيط ثيابك، نويت أنّك تجرّدت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا، قال: فحين اغتسلت، نويت أنّك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا، قال: فما نزلت الميقات، ولا تجرّدت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت! ثمّ قال عليه السلام: "تنظّفت، وأحرمت، وعقدت بالحجّ؟ قال: نعم، قال: فحين تنظّفت، وأحرمت، وعقدت الحج نويت أنّك تنظّفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا، قال: فحين أحرمت، نويت أنّك حرّمت على نفسك كلّ محرّم حرّمه الله - عزّ وجلّ -؟ قال: لا، قال: فحين عقدت الحجّ، نويت أنّك قد حللت كلّ عقد لغير الله؟ قال: لا، قال له عليه السلام: ما تنظّفت، ولا أحرمت، ولا عقدت الحجّ! قال له عليه السلام: أَدَخَلْتَ الميقات، وصلّيت ركعتي الإحرام، ولبّيت؟ قال: نعم، قال: فحين دخلت الميقات، نويت أنّك بنيّة الزيارة؟ قال: لا، قال: فحين صلّيت الركعتين، نويت أنّك تقرّبت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟ قال: لا، قال: فحين لبّيت نويت أنّك نطقت لله سبحانه بكلّ طاعة وصمت عن كلّ معصية؟ قال: لا، قال له عليه السلام: ما دخلت الميقات، ولا صلّيت، ولا لبّيت! ثمّ قال له عليه السلام: أدخلت الحرم، ورأيت الكعبة، وصلّيت؟ قال: نعم، قال عليه السلام: فحين دخلت الحرم نويت أنّك حرّمت على نفسك كلّ غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملّة الإسلام؟ قال: لا، قال: فحين وصلت مكّة، نويت بقلبك أنّك قصدت الله؟ قال: لا، قال عليه السلام: فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صلّيت! ثمّ قال عليه السلام: طِفْتَ بالبيت، ومسَسْتَ الأركان، وسَعَيْتَ؟ قال: نعم،

قـال: فحـين سـعيت، نويـت أنّـك هربـت إلى الله، وعـرف منـك ذلـك عـلاّم الغيوب؟ قال: لا، قال عليه السلام: فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركـان، ولا سعيت! ثمّ قـال لـه عليـه الـسلام: صـافحت الحجـر، ووقفـت بمقـام إبـراهيم عليه السلام، وصلّيت به ركعتين؟ قال: نعـم، فـصاح عليـه الـسلام صـيحة كـاد يفارق الدنيا، ثمّ قـال: آهٍ آهٍ، مـن صـافح الحجـر الأسـود فقـد صـافح الله تعـالى، فانظر يا مـسكين لا تـضيِّع أجـر مـا عَظَـمَ حرّمتـه، وتـنقض المـصافحة بالمخالفـة، وقَبْضُ الحرام نظيرُ أهل الآثام. ثمّ قال عليه السلام: نويت حين وقفت عنـد مقـام إبراهيم عليه السلام، أنّك وقفت علـى كـلّ طاعـة، وتخلّفـت عـن كـلّ معـصية؟ قال: لا، قال: فحين صلّيت فيه ركعتين نويت أنّك صلّيت بصلاة إبـراهيم عليـه الـسلام وأرغمـت بـصلاتك أنـف الـشيطان؟ قـال: لا، قـال لـه: فمـا صـافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صلّيت فيه ركعتين!

ثمّ قال عليه السلام له: أَشْرَفْتَ على بئرِ زمزم، وشرِبتَ مـن مائهـا؟ قـال: نعم، قال: نويت أنّك أشـرفت علـى الطاعـة، وغضـضت طرفـك عـن المعـصية؟ قال: لا، قال عليه السلام: فما أشـرفت عليهـا، ولا شـربت مـن مائهـا! ثمّ قـال عليه السلام له: أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وتردّدت بينهما؟ قال: نعم، قال له: نويت أنّك بين الرجاء والخوف؟ قال: لا، قال: فما سعيت، ولا مشيت، ولا تردّدت بين الصفا والمروة! ثمّ قال: أَخَرَجْتَ إلى مِنى؟ قال: نعم، قال: نويت أنّك آمنت النّاس من لسانك، وقلبك، ويدك؟ قـال: لا، قـال: فمـا خرجـت إلى مِنى! (ثمّ) قال له: أوقفـت الوقفـة بِعَرَفـة، وَطَلَعـت جبـل الرّحمـة، وعرفـت وادي نَمِرَة، ودعوت الله سبحانه عند المَيْلِ والجَمَرَات؟ قـال: نعـم. قـال: هـل عرفـت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه أمر المعـارف والعلـوم، وعرفـت قـبض الله علـى

صحيفتك واطّلاعه على سريرتك وقلبك؟ قال: لا، قال عليه السلام: نويت بطلوعك جبل الرحمة أنّ الله يرحم كلّ مؤمن ومؤمنة، ويتولّى كلّ مسلم ومسلمة؟ قال: لا، قال: فنويت عند نَمِرَة أنّك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجِر؟ قال: لا، قال: عندما وقفت عند العلم والنمرات، نويت أنّها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة، بأمر ربّ السماوات؟ قال: لا، قال: فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة، ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات! ثمّ قال عليه السلام: مررت بين العلمين، وصلّيت قبل مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلِفة، ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمَشْعَرِ الحرام؟ قال: نعم، قال: فحين صلّيت ركعتين، نويت أنّها صلاة شكر في ليلة عشر، تنفي كلّ عسر وتيسِّر كلّ يسر؟ قال: لا، قال: فعندما مشيت بين العلَمين ولم تعدل عنهما يميناً وشمالاً، نويت أن لا تعدل عن دين الحقّ يميناً وشمالاً، لا بقلبك، ولا بلسانك، ولا بِجَوارِحِك؟ قال: لا، قال: فعندما مشيت بمزدلِفة، ولقطت منها الحصى، نويت أنّك رفعت عنك كلّ معصية وجهل، وثَبَتَّ كَلّ علم وعمل؟ قال: لا، قال: فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنّك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى، والخوف لله - عزّ وجلّ -؟ قال: لا، قال: فما مررت بالعلمين، ولا صلّيت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام! ثمَّ قال عليه السلام له: وصلت منى، ورميت الجمرة، وحلقت رأسك، وذبحت هديك، وصلّيت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكّة، وطفت طواف الإفاضَة؟ قال: نعم، قال: فنويت عندما وصلت مِنى، ورميت الجمار، أنّك بلغت إلى مطلبك، وقد قضى ربّك لك كلّ حاجتك؟ قال: لا، قال: فعندما رميت الجمار، نويت أنّك رميت عدوّك إبليس، وغضبته بتمام حجّك النفيس؟ قال: لا، قال:

فعندما حلقت رأسك، نويت أنّك تطهّرت من الأدناس ومن تبعة بني آدم وخرجت من الذنوب، كما ولدتك أمّك؟ قال: لا، قال: فعندما صلّيت في مسجد الخيف، نويت أنّك لا تخاف إلّا الله - عزّ وجلّ - وذنبك ولا ترجو إلّا رحمة الله تعالى؟ قال: لا، قال: فعندما ذبحت هديك نويت أنّك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسّكت به من حقيقة الورع، وأنّك اتبعت سنّة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، وثمرة فؤاده، وريحان قلبه، وأحييت سنّته، لمن بعده وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه؟ قال: لا، قال: فعندما رجعت إلى مكّة، وطفت طواف الإفاضة، نويت أنّك أفضت من رحمة الله تعالى، ورجعت إلى طاعته وتمسّكت بودِّه، وأدَّيت فرائِضه، وتقرَّبت إلى الله تعالى؟ قال: لا، قال له الإمام زين العابدين عليه السلام: فّما وصلت مِنى، ولا رميت الجِمار، ولا حَلَقْتَ رأسك، ولا أدَّيت نُسكَكَ، ولا صلَّيت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ولا تقرّبت، ارجع فإنّك لم تحجّ! فَطَفِقَ الشّبليّ يبكي على ما فرّطه في حجّه، وما زال يتعلّم حتّى حجّ من قابل بمعرفة ويقين[١].

وهذه هي مظاهر العبادة بخصوص الفرد المسلم فإذا تشابكت فروعها وتلاحمت اغصانها استطاعت ان تنقل الفرد المسلم إلى مكانه أرفع في بناء المجتمع، ليكون لبنة صالحة وقوة دافعة، يخطو بها المجتمع إلى الإمام خطوات تعود على الأفراد بالسعادة والخير، والنمو، والرقي والتقدم[٢].

عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال "حق (الصلاة) أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عز وجل وأنك فيها قائم بين يدي الله عز وجل فإذا علمت ذلك

---

(١) النوري، الميرزا: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج١٠،،ص١٦٨- ١٧٣.

(٢) مكرم، عبد العال سالم: اثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، ص٨٥.

قمت مقام الذليل الحقير، الراغب الراهب، والراجي الخائف المستكين المتضرع، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقا، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها... وحق (الحج) أن تعلم أنّه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك... وحق (الصوم) أن تعلم أنّ حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك، ليسترك به من النار، فإنّ تركت الصوم خرقت ستر الله عليك... وحق (الصدقة) أن تعلم أنّها ذخرك عند ربك عز وجل ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، وكنت بما تستودعه سرا أوثق منك بما تستودعه علانية وتعلم أنها تدفع البلايا والإسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة. وحق الهدي أن تريد به الله عز وجل ولا تريد به خلقه ولا تريد به إلاّ التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه[١].

٥- الدعاء

وهو الطلب الموجه من العبد المؤمن لله سبحانه مقترنا بالتضرع والخضوع لجلب محبوب أو دفع مكروه وحيث إنّ الدعاء بهذا المعنى في طيه. روح العبادة وجوهرها. قال تعالى: { قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ } [٢].

وبالدعاء هو رجوع العبد المؤمن الفقير إلى مولاه الغني بالغنى المطلق الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء - وذلك بالتوسل الخاشع والتوكل الواعي من اجل ان يعينه على تحصيل مطلب يعجز بذاته عن الوصول إليه والحصول عليه - كالجاهل الذي يرجع إلى الله العالم بكل شيء ليفيض عليه نوراً من علمه الواسع والفقير الراجع إلى الغني المطلق ليمن عليه بنفحة من عطائه وقبسة من

(١) ابن الحسين، الإمام علي: رسالة الحقوق، ص١٤

(٢) سورة الفرقان: آية: ٧٧.

ضيائه والمريض الراجع إلى الطبيب الحقيقي ليحقق له الشفاء ويخلصه من الداء والمجاهد المناضل في سبيل نصرة الحق الذي يرجع إلى القادر الناصر لاوليائه على اعدائه في معركة التضحية والفداء(١).

وتعتبر أدعية الإمام علي بن الحسين " السجاد " عليهما السلام مرحلة جديدة من مراحل التربية السلوكية والأخلاقية وقد تضمنت أرقى المبادى الأخلاقية وفي وقت عصفت بالمجتمع الإسلامي رياح الإنحراف آستطاع الإمام السجاد (عليه السلام) أن ينشر من خلال الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلامي يشترك في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات وشده إلى ربه، وقد وضع الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه برامج أخلاقية يسمو بها الإنسان من خلوص النية والعمل للأخرة كما رسم أداب السلوك وأصول الفضائل النفسية مثل ترك دم النظر في أيدي الناس والابتعاد عن الكبر والعجب ومد يد العون للناس دون المن عليهم فهو يقول في دعائه:

"اللهم حلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة ألمتقين في بسط العدل، وكظم الغيظ وإطفاء النائرة، وأصلاح ذات البين وستر العائبة، وخفض الجناح وحسن السيرة وطيب المخالقة وألسبق إلى الفضيلة وأيثار التفضل، والقول بالحق، وأستقلال الخير وأن كثر من قولي وفعلي واستكثار الشر وأن قل من قولي وفعلي"(٢).

نخلص من هذا أنّ الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والدعاء. هي بداية الطريق المستقيم وصلاحه واستقامة الإنسان وهدايته، وبها يتعلم الصح من الخطأ، وذلك لينال الإنسان المؤمن السعادة في الدنيا وبالآخرة.

(١) طراد، حسن: من وحي الإسلام، ج٢، دار الزهراء، ص١٤.

(٢) الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين، قم، ١٤١٨هـ، ص٧٣.

ب - السلوك الاجتماعي

وهو السلوك الذي يتمثل في علاقة الفرد بغيره من أفراد الجماعة، إذ يميل الإنسان بطبيعته إلى الانتماء وتكوين العلاقات الاجتماعية مع غيره من الأفراد. ويكتسب الإنسان هذا السلوك منذ مولده نتيجة علاقاته باسرته التي ينشأ فيها أولاً، ثم البيئة الاجتماعية خارج الأسرة ثانياً[١].

فلا يوجد شخص يعيش بمفرده في عزلة عن الآخرين على نحو ككل، فالواقع أنّ كل شخص في هذا العالم يعيش في وسط اجتماعي يؤثر في كل سلوك يصدر عنه مهما كان هذا السلوك يبدو خصوصياً في الظاهر، وبعيد عن ذلك الوسط كالأحلام، والخيال، والدوافع، وعادات النوم والطعام، فكلها سلوكيات تنبع من الواقع الاجتماعي وتهدف إلى التأثير فيه.

ويبيّن عالم الوراثة الأمريكي (هوللندر): ان السلوك الاجتماعي للفرد يقوم على ذخيرة من التوقعات التابعة من خبرته في سلوكه وفي سلوك الآخرين، ويتوقف بنيان العلاقات الاجتماعية اليومية على اشتراك الناس في هذه التوقعات التي تدخل في الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يقوم بها على وفق المعايير الاجتماعية والقيم السائدة في المجتمع، وتقوم توقعاته لسلوك الآخرين على مايترقبه من هؤلاء الآخرين وعلى ما يتطلبونه منه. ويذهب الاديب الكاتب الأمريكي (بو) في وصفه للسلوك الاجتماعي إلى أنّ الفرد يسلك إجتماعياً على أحسن ما يكون عندما يجيد توقعات الآخرين، فهو يعبر لهم عن وده ويشبع رغباتهم ولاسيما عندما يشعر بالحاجة اليهم، إلاّ أنّ هذا قد يكون بهدف خداع الآخرين لأغراض معينة، وأفضل ما يكون عليه السلوك الاجتماعي هو عندما

(١) العمري، إبراهيم: السلوك الإنساني، ص٢٦

يقترن بالصلاح فإنّه يكون على أرفع مستوى في تعاونه ونكران ذاته، هدفه الأسمى صداقة الناس ومحبتهم من دون منفعة شخصية.

ويساعد السلوك الاجتماعي على تنظيم العلاقات بين الناس، فهو سلوك التالف والتوادد والتعاون، له معان وأهداف أخلاقية، يسعى من خلال الشخص إلى تحقيق التوافق مع الجماعة والحصول على تقديرها، وهو سلوك مكتسب يتعلمه الفرد من تجربته السابقة، ويتنوع هذا السلوك بحسب تنوع حاجات الفرد والمواقف التي تواجهه، والناس الذين يتفاعلون معهم وكذلك سلوك الآخرين تجاهه، وهو السلوك الذي يوجه الشخص نحو الآخرين لاجل الاتصال بهم والتاثير عليهم بحسب تجاربه وخبراته وعلى وفق حاجاته(١).

كما نجد أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) أكد محور مهم يمد الجماعة الصالحة بالقدرة والانتشار هو محور الانفتاح على الأمة وترك الانغلاق على أنفسهم وقد حث الإمام شيعته على توسيع علاقاتهم مع الناس وشجعهم على الإكثار من الأصحاب والأصدقاء فقد جاء عنه (عليه السلام) "أكثروا من الأصدقاء في الدنيا فانهم ينفعون في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فحوائج يقومون بها واما في الآخرة فإنّ أهل جهنم قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم"(٢).

ويرى (أرسطو) أنّ الإنسان حيوان مدني بالطبع، "والذي لا يستطيع ان يعيش في جماعة، أو الذي ليست له حاجات اجتماعية لأنّه يكفي نفسه بنفسه، فهو أما بهيمة وأما اله "(٣).

---

(١) الموسوي، عباس نوح سليمان محمد: السلوك الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالذات والامن النفسي لدى طلبة الموصل، رسالة ماجستير، ص١٧.

(٢) لجنة التأليف: أعلام الهداية " الإمام الصادق عليه السلام"، ص١٥٣.

(٣) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٧، ص٢٠٢.

أما (الفارابي) فقد قسم الاجتماعات إلى نوعين: اجتماعات ناقصة، واجتماعات كاملة. والاجتماعات الناقصة هي التي لا تكفي لتوفير الكمال والسعادة، كالقرية، والمحلة، والسكة والمنزل. أما الاجتماعات الكاملة فهي التي تضمن للمرء الخير الأفضل، والكمال الأقصى. وهذه الاجتماعات تقسم الى: إجتماعات كبرى وهي اجتماع البشر في المعمورة. واجتماعات وسطى وهي إجتماع أمة جزء من المعمورة. واجتماعات صغرى وهي اجتماع جزء من مسكن امة (المدينة). واعتمد الفارابي أنّ الخير الأعلى والغبطة المثلى لا تتحقق في اجتماع المنزل السكة والقرية. بل تتحقق بشكل ناجز في اجتماع المدينة والأمة المعمورة[١].

ويرى (الغزالي) أنّ أساس الحكم على الأفراد في علاقتهم بالمجتمع تتم من خلال معاملتهم في الأسواق، أو من خلال الصحبة في السفر أو الجيرة في الحضر، ولا يكون الحكم عليهم فقط من خلال رؤيتهم في المسجد يؤدون الصلاة ويقرؤون القرآن، أما من ناحية الظلم فيتضح لنا أنّ الغزالي يدعو إلى نبذ الظلم في مجالات الحياة الاجتماعية جميعها ورفعه عن المظلوم والأخذ على يد الظالم بأن يمنعه عن ظلمه، وأن يتم العفو عن الظالم حتى يمنع الظلم، فكانت نظرته إلى الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع العيش منعزلاً، مستمدة من الأصول التربوية الإسلامية السليمة[٢].

وكذلك اهتم ابن سينا كثيراً بالإنسان وتربيته وبناء أفراد المجتمع بناءً قوياً

---

(١) الفارابي: اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، ص١٠٥.

(٢) بني عواد، عبد المنعم حسن محسن: اصول الفكر التربوي عند ابي حامد الغزالي وابن رشد وابن خلدون دراسة تحليلية مقارنة مع الفكر التربوي الحديث، اطروحة دكتوراه في فلسفة التربيه، عمان، ٢٠٠٧، ص١٩٨.

متماسكاً متوازناً متعاضداً ذلك لأنّ "قوة المجتمعات البشرية لا تتعين بعدد الأفراد الذين يؤلفونها، بل تتناسب مع شدة الروابط التي تربط بعضها ببعضها الآخر كما أنّ صلابة الاحجار والصخور لا تتبع حجمها، بل تتناسب مع تماسك اجزائها، فنرى بعض الأمم تشبه الأحجار الهشة، حتى أنّها لتشبه أحياناً أكوام التراب والرمال لان أجزاءها قليلة التماسك والالتصاق، ولو كانت كثيرة العدد في حين أنّ بعض الأمم تشبه الأحجار الصلبة والصخور الصلدة، فإنّ أجزاءها شديدة التماسك والالتصاق وإن كانت قليلة العدد. وإنّ الإنسان لايستطيع أن يعيش منفرداً، فهو بحاجة المجتمع في نموه وفي ثقافته وفي طلب أسباب الحياة. الإنسان بحاجة إلى المجتمع ولابد أن يحيا في المجتمع، وبذا يقول ابن سينا: " الإنسان يفارق سائر الحيوانات بأنّه لايحسن معيشته لو انفرد وحده شخصاً واحداً يتولى تدبير أمره من غير شريك يعاونه على ضرورات حاجاته. ولابدّ أن يكون الإنسان مكفياً بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر مكفيا به أيضاً وبنظيره فيكون مثلاً هذا ينقل إلى ذاك وذاك يخبز لهذا وهذا يخيط للاخر، والاخر يتخذ الابرة لهذا واذا اجتمعوا كان أمرهم مكفياً ولهذا اضطروا إلى عقد المدن والاجتماعات". وهذا مما تقع على التربية مسئوولية التوجيه والضبط لسلوك الأفراد والجماعات لحاجة الإنسان إلى تحقيق العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع حتى يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه عن طريق التعاون[١].

كذلك نرى (أبن خلدون) يؤيد ذلك بقوله: "إنّ الاجتماع الإنساني ضرورة ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم إنّ الإنسان مدني بالطبع أي لابد من الإجتماع الذي هو المدينة في أصطلاحهم، إذ إنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل

---

(١) عبد اللطيف، محمود: الفكر التربوي عند ابن سينا، ص١٢٥- ١٢٦.

حاجته من الغذاء فلا بد من أجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم كذلك يحتاج كل واحد منهم في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه أيضاً"[١].

والهدف من السلوك الاجتماعي هو إقامة مجتمع قوي البنيان مترابط الأطراف مستقر هادئ تسود بين افراده المودة والرحمة والعدالة. ثم لا يكون بينهم صراعات وتناقضات ويمكن أن نعبر عن هذا المجتمع الذي يبنيه السلوك الأخلاقي بأنّه مجتمع خير، وذلك عن طريق تكوين أفراد أخيار، لأنّه عندما يسعى كل فرد إلى تحقيق الخير لغيره كما يسعى لنفسه ويحب غيره كما يحب نفسه ويكف شره عن غيره كما يكف شره عن نفسه فإنّ المجتمع عندئذ يتحول لا محالة إلى مجتمع خير ولكن لا يمكن تحقيق ذلك إلاّ بالتربية الأخلاقية السليمة. أما إذا اهملت التربية الأخلاقية فيتحول المجتمع عندئذ إلى مجتمع فاسد. مجتمع الأشرار الذي لا امان فيه ولا اطمئنان على النفس والمال والعرض وكل يسعى إلى مصلحته الخاصة ولو كان على مصلحة الآخرين أو مصلحة الأمة برمتها ومن ثم يزول التعاطف الإنساني كله من التعاون والمحبة والمودة والرحمة. ثم تكون عاقبته الخراب والخسران والهلاك[٢]. وهذا أشبه بالمدن الضالة عند الفارابي كلاً يريد تحقيق مصلحته ومنفعته، وهي المدينة التي تظن بعد حياتها هذه السعادة، ولكن غيرت هذه، وتعتقد في الله عزّ وجلّ وفي الثواني وفي العقل الفاعل آراء فاسدة لا يصلح عليها "حتى" ولا أن أخذت على أنّها تمثيلات وتخيلات لها، ويكون رئيسها الأول ممن أوهم أنّه يوحى إليه من غير أن يكون كذلك، ويكون قد وظّف في ذلك

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، دار العودة، بيروت، ١٩٨١، ص٣٣.

(٢) يالجن، مقداد: دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص٦٨.

التمويهات والمخادعات والغرور، وملوك هذه المدينة مضادة لملوك المدن الفاضلة، ورياستهم مضادة للرياسات الفاضلة، وكذلك سائر من فيها[١].

ومن كلام أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في إحدى خطبه في نهج البلاغة إذ يقول: " أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَة شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضِى وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بالرِّضَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: { فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ }[٢]، فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الأرض الخَوَّارَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِيهِ![٣].

معنى الحديث أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) يعظ المجتمع على سلوك الطريق الصحيح، وأنّ هذا المجتمع يجمعهم الرضى والسخط في آن واحد، وعليهم أن يجتمعوا على الرضا، وإذا اجتمعوا على السخط، قال (عليه السلام): وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله تعالى بالعذاب لما عموه بالرضى....

فليس هناك ما يؤكد أنّ مجتمعاً من المجتمعات - على نحو واسع أو ضيق - قد نعم بمبادئ الأخلاق، وفضائل وقيم إنسانية - على نحو دائم - كان لها دور في توجيه أفراد المجتمع، باستثناء اقوام الأنبياء الذين صدقوا دعواهم واتبعوا احكامهم، وهم قلة قليلة قياساً مع سائر الأمم. وهناك القليل من الناس عاشوا نظاما أخلاقيا عادلا يحفظ حقوقهم دون استثناء. كمجتمع المدينة في أول الدعوة.

(١) الفارابي: اراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداها، ص١١١.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٥٧.

(٣) الرضي، الشريف: نهج البلاغة، ص٤٢٢.

فنجد ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد طبق نظاما أخلاقيا اجتماعيا لا مثيل له، من جهة مساواة الناس جميعهم، والتآخي، والتصاهر، وحفظ الحقوق، والمعاقبة على تجاوزها، وترك المنكرات وغير ذلك، فقد كان مجتمعا حاول النبي (صلى الله عليه وآله) جعله خلوقاً ملتزماً بنظام إلهي عادل لامثيل له. وهذا يعني أنّ البشر قادرون على أن يتنعموا بالأخلاق الفاضلة عند وجود القائد القدوة القادر على إدارة المجتمع باختلاف ماربه ومشاربه(١).

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله﴾(٢).

فقد أنشأ الإسلام منذ فجر تأريخه مجتمعاً سليماً تتوافر فيه عناصر التقدم والازدهار فقد أقامه على أساس وثيق من المودة والمحبة والألفة وجعله مجتمعاً متراصاً يشد بعضه بعضاً لا مكان فيه للكراهية والبغضاء. ويتكون مما يلي:

أ - الاسرة

رابطة اجتماعية تتكون من زوجين وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا في معيشة واحدة(٣). والأُسرة هي اللبنة الأُولى لتكوين المجتمع، وهي الخلية التي تقوم بتنشئة العنصر الإنساني وتشكيل دعائم البناء الاجتماعي، وهي نقطة البدء المؤثرة في مرافق المجتمع جميعها، وفي مراحل حياته جميعها إيجاباً وسلباً، والأسرة بأوضاعها ومراسيمها تعبير عن نظام اجتماعي / تربوي ينبعث عن ظروف الحياة والطبيعة التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية.

(١) حجازي، محمد احمد: علم الأخلاق والتربية، دار الجوادين، ط١، ٢٠١١، ص٥٨.
(٢) سورة ال عمران: آية ١١٠.
(٣) وافي، علي عبد الواحد: الاسرة والمجتمع، دار أجياء، ١٩٤٥، ص١٥.

وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود (الاجتماعي). وقد اودع الله سبحانه وتعالى في الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية، ويتحقق ذلك باجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمراة[١].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢].

وقد وضع الإمام الباقر (عليه السلام) برنامجاً للحقوق والواجبات على كل من الزوجين، ومراعاتهما من قبلهما كفيل بإشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيتها بشيء إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعا إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب[٣]، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها، فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على الرجل؟ قال: والده، قالت: فمن أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، وقالت: فما لي عليه من الحق مثل ما له علي؟ قال: لا، ولا من كل مئة واحدة، فقالت: والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتي رجل أبداً[٤]. ودعا الإمام الباقر (عليه السلام) إلى تحمل أذى الزوج من أجل إدامة العلاقة الزوجية،

---

(١) علي، سعيد إسماعيل: اصول التربية العامة، دار المسيرة،ط١، ٢٠٠٧، ص١٣٣.

(٢) سورة الروم: آية: ٢١.

(٣) القتب، بالتحريك: الرحل.

(٤) الطبرسي: مكارم الأخلاق، ص٢٧٧. ينظر أعلام الهداية، الإمام الباقر عليه السلام، ص١٩١.

والابتعاد عن تفكك الأسرة من خلال ترك مقابلة الأذى بالأذى، بقوله (عليه السلام): " وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته ". كما أنّه وضع (عليه السلام) واجبات على الزوج اتجاه زوجته، وهو مسؤول عن تنفيذها لكي يتعمق الود بينهما، ويكون الاستقرار والهدوء هو السائد في اجواء الاسرة، ومن هذه الحقوق، الاطعام وما تحتاج إليه من ثياب، قال (عليه السلام): " من كانت عنده إمرأة فلم يكسها ما يواري عورهما ويطعمها ما يقيم صلبها كان حقاً على الإمام أن يفرق بينهما"[١].

ويرى أرسطو أنّ الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع ومن الأسرة تتكون القرية ومن مجموع القرى تتكون الدولة، أما المدينة فهي المجتمع الطبيعي في رأي أرسطو[٢].

وواجبات الأسرة هي:

١- يجب أن يتحلى أفراد الأسرة بالقدوة الصالحة، إذ يجب أن تكون أقوالهم وأفعالهم مثالاً طيباً للأبناء قائمة.

٢- خلق جو إيماني داخل الأسرة من خلال توجيههم جميعاً إلى حبّ الله عزّ وجلّ واليقين بالله وحسن الظن به والتوكل عليه، العبادة، الدعاء، الاستقامة، الصدق، الأمانة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحب آل البيت (عليهم السلام) وأخذهم إلى المساجد والتمسك بالشعائروالمجالس الحسينية.

٣- احترام حقوق كل واحد من أفراد الأسرة لحقوق الآخر ومحاولة العيش في جو خالٍ من الأنانية والاتهام وسوء الظن وأن يسود بينهم الحب والمودة،

---

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية " الباقر عليه السلام "، ص١٩١

(٢) حماده، حسن صالح: دراسات في الفلسفة اليونانية، ج٢، دار الهادي، بيروت، ٢٠٥.

التعاون. الاحترام المتبادل[١].

وأفضل سيرة تربوية للأُسرة هي سيرة أمير المؤمنين مع فاطمة الزهراء (عليهما السلام)، فإنّها سيرة زوجين معصومين، فأقوالهما وأفعالهما كلّها من القرآن والسنّة الشريفة، ولا توجد اُسرة تحمل العصمة الذاتية الكلّية الواجبة بأبعادها وجوانبها كلها إلاّ الأسرة العلوية الفاطمية، أي الأسرة المتكوّنة من زوجين معصومين (عليّ وفاطمة عليهما السلام)، فحياتهما الزوجية والاُسروية خير مثال وخير قدوة واُسوة يهتدى به. إذ بلغ من اهتمام سيدة النساء الزهراء (عليها السلام) بتربية أبنائها بمعونة زوجها الإمام علي (عليه السلام) – إذ إنّهم بذلوا وسعهم كلّه لترسيخ الأُسس الوراثية التي اكتسبوها من الأصلاب الشامخة التي انحدروا عنها، ودعمها بما يضمن نبوغهم وعبقريتهم فنجحوا في ذلك نجاحاً تاماً. فكانت الزهراء (عليها السلام) تعني كثيراً باحترام شخصية أطفالها، وتعاملهم معاملة الرجال في التخاطب معهم. وان هذه المعاملة تقوي معنوية الطفل، وتفهمه أنّه يتمتع بمكانة ممتازة في الأسرة والمجتمع أيضاً، ولذلك فإنّه ينشأ على الطموح والاستقلال والثبات بعكس الامهات اللاتي يحتقرن اطفالهن. وكان لهذا الاحترام أثره الفاعل في أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله)، مما جعلهم يشعرون بمنزلتهم ويطلعون على أبعاد شخصيتهم[٢].

قال أبورافع: كنت ألاعب الإمام الحسن (عليه السلام) وهو صبي بالمداحي فإذا أصابت مدحاتي مدحاته قلت: احملني فيقول: أتركب ظهرا حمله رسول الله؟

---

(١) الهاشمي، عبد الله: الأخلاق والاداب الاجتماعية، ص٧٧-٧٨.

(٢) الميلاني: فاضل الحسيني: فاطمة الزهراء (أم ابيها)، مؤسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط٦، ١٩٩٢، ص٨٩.

فأتركه فإذا أصابت مدحاته مدحاتي قلت: لا أحملك كما لم تحملني فيقول: أما ترضى أن تحمل بدناً حمله رسول الله صلى الله عليه وآله فأحمله[١].

هذه التربية القيمة التي جعلت الإمام الحسين (عليه السلام) يأبى الخضوع لمعسكر الفسق والفجور والظلم المتمثل في يزيد بن معاوية وأتباعه وينهض مع النفر القليل لمحاربة الكفر والإلحاد. وقامت الزهراء (عليها السلام) بتربيتهم على أساس الإيمان – إذ إنّ التربية التي لا تستند إلى أساس الإيمان بالله فاقدة للجدوى، لأنّها تقود الطفل إلى الإنكار والجحود، فكان بيت سيدة النساء الزهراء (عليها السلام) البسيط كان مناراً للإيمان ومشكاة الهداية..

رضعت أولادها من لبن ذلك الإيمان الخالص، وغذتهم بتلك القيم الروحية العالية، فاصبحوا - والحق - جديرين بان يكونوا الامتداد الخلاق لرسالة جدهم العظيم. وشتان بين تربية أساسها الإيمان، درج عليها الإمام الحسن (عليه السلام) وتربية أساسها النفاق والجشع نشأ عليها معاوية! وفرق شاسع بين تربية أساسها الطهارة تلقها الحسين عليه السلام وتربية أساسها الدنس والرجس تطبع على يزيد[٢].

وكما نشأت سيدة النساء الزهراء (عليها السلام) على الاستقامة في السلوك، فإنّها حرصت على تنشئة أولادها على الاستقامة أيضاً. لقد عودتهم على الصراحة والصدق والوفاء بالوعد، وانعكس ذلك على سلوكهم في المجتمع عندما شبوا وأصبحوا أعضاء بارزين يشار اليهم بالبنان..خصوصاً أنّ الإمامين الحسنين (عليهما السلام) ولدا في حلب الامامة والقيادة. وعلى الرغم من أنّ الفضل في شطره من ذلك يرجع إلى دقة الأسلوب الذي تبناه الإمام عليّ (عليه السلام)، فإنّ الزهراء

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٤٣، ص٢٩٧.

(٢) الميلاني: فاطمة الزهراء (أم ابيها)، ص٩٠.

(عليها السلام) كانت تشارك عملياً في تطبيق ذلك الأسلوب، كما أنّها كانت تمثل بحد نفسها الأم الحريصة على سلامة أبنائها وتربيتهم[١].

ب - صلة الرحم

دعا الإسلام إلى الألفة والمحبة بين جميع الناس وأوصاهم بأن يتعارفوا ويتالفوا، وأكد ذلك وشدد عليه في حق القرابة المعبر عنها بالرحم..هذا الرحم أوصى الله بصلتها ونهى عن قطيعتها وحذر الأرحام من التدابر والتقاطع، وليس معنى ذلك أن تصبح القرابة صنماً يتحكم بعواطف الناس وعقائدها وتتحول الأرحام إلى آلهة تجرف في طريقها كل عدل وحق ويتحول على أساسها الباطل إلى حق والحق إلى باطل.. بل معناها أن يكون بين الأرحام تواصل وتعاطف وتواد في الله ومن اجل الله..فتتحول هذه الصلة إلى طهر ونزاهة يجتمع فيها الأرحام على طاعة الله وتقواه ولا يفصمها ولا يزلزلها حادث عابر أو قضية تافهة ومن هنا كان للأرحام حقوق أشد واقوى من حقوق سائر المسلمين يحسن بنا ان نمر عليها ونتدبرها..وصلة الأرحام مفهوم يعينه العرف والقدر المتيقن منه الآباء والأبناء والإخوة والأعمام والأخوال وأولادهم المباشرون، وهؤلاء أمرنا الله بصلتهم وفرض علينا التعاون معهم وكانت الوصية بالأرحام من الله لكي نحفظهم ونرعاهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾[٣].

ويرى ابن مسكويه في صلة الرحم: هي مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات: التي تكون في الدنيا[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص٩١.

(٢) الهاشمي، عبدالله: الأخلاق الاداب الاجتماعية، ص١٠٨.

(٣) سورة النساء: آية: ١.

(٤) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص٣٣.

عن جميل بن دراج قال: سألت الإمام أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله جلّ ذكره: " واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً" قال: فقال: هي أرحام الناس، إنّ الله عزّ وجلّ أمر بصلتها وعظمها، ألاترى أنه جعلها منه.

عن إسحاق بن عمار قال: قال: بلغني عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) أنّ رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أهل بيتي أبوا إلاّ توثبا علي وقطيعة لي وشتيمة، فأرفضهم؟ قال: إذا يرفضكم الله جميعاً قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، فإنّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير.

و عن أبي حمزة قال: قال الإمام أبوجعفر (عليه السلام): صلة الأرحام تزكي الأعمال[1].

ح - الجيران

الاهتمام بالجيران وحسن الجوار يمثل عملاً له أهمية خاصة في احكام البنية الاجتماعية، إذ يمثل الجيران العلاقة الطبيعية الأخرى المهمة، إلى جانب العلاقة النسبية الأهم. وكلما كان التعاون بين الجماعة الساكنين في منطقة واحدة حسناً وجيداً أمكن تحقيق المزيد من الرفاه والاستقرار والأمن للمجتمع بشكل عام[2].

اهتم الإمام السجاد (عليه السلام) بالجيران اهتماماً كبيراً، ورسم آليات التعامل معهم، من أجل التأسيس لمجتمع متماسك، فكان من دعائه لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم "اللهم صلِّ على محمدٍ وآله، وتولني في جيراني، وموالِيّ والعارفين بحقنا،

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٥١.

(٢) الحكيم: دور اهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، ج٢، ص٢٤.

والمنابذين لأعدائنا بأفضل ولايتك، ووفقهم لإقامة سنتك، والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم، وسد خلتهم، وعيادة مريضهم، وهداية مسترشدهم، ومناصحة مستشيرهم، وتعهد قادمهم، وكتمان أسرارهم، وستر عوراتهم، ونصرة مظلومهم، وحسن مواساتهم بالماعون، والعود عليهم بالجدة والأفضال، وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال واجعلني اللهم أجزي بالإحسان مُسيئهم، وأعرض بالتجاوز عن ظالمهم، وأستعمل حسن الظن في كافّتهم، وأتولى بالبرّ عامتهم، وأغضّ بصري عنهم عفة، وألين جانبي لهم تواضعاً، وأرِقّ على أهل البلاء منهم رحمة، وأسر لهم بالغيب مودةً، وأُحِبُّ بقاء النعمة عندهم نُصحاً، وأوجب لهم ما أوجب لحامتي (أي: لخاصتي وقرابتي)، وأرعى لهم ما أرعَ لخاصتي، اللهم صلّ على مُحَمَّد وآله، وارزقني مثل ذلك منهم، واجعل لي أوفى الحظوظ فيما عندهم، وزدهم بصيرة في حقي، ومعرفة بفضلي حتى يسعدوا بي وأسعد بهم، آمين رب العالمين. "[١].

عن أبي مسعود قال: قال لي الإمام أبو عبد الله (عليه السلام): حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة الديار[٢].

د - حسن الخلق

من المألوف اجتماعياً ان يتلاقى الناس بأجمل ما عندهم وأهم ما يكون الفرد وعلاقته بالمجتمع هو حسن الخلق في تعاملهم ولقائهم، ونشير إلى ان ابن سينا قد حدد الخلق بأنّه " ملكة يصدر بها عن النفس أفعالها ما بسهولة من غير تقدم وروية"[٣]. وهو يكون من خلال:

---

(١) الإمام زين العابدين: الصحيفة السجادية، ص٩٣.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٢٩.

(٣) فرحان، محمد جلوب: دراسات في فلسفة التربية، ص١٩٤.

١- الكلمة الطيبة

التي تخرج من قلب الإنسان قبل أن يتلفظها بفمه، حتى ورد أنّ أفضل الصدقة هي صدقة الللسان[١].

قال تعالى: { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا }[٢].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: " الكلمة الطيبة صدقة[٣].

٢- إلقاء التحية والتسليم

وقد منح الإسلام السلام شأناً خاصاً، وجعله شعاراً للمسلمين، ووضع له آداباً وقواعد كثيرة مفصلة لياخذ موقعه من تعامل المسلمين بعضهم مع بعض[٤].

قال تعالى: { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }[٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام.

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا سلم أحدكم فليجهر بسلامه لا يقول: سلمت فلم يردوا علي ولعله يكون قد سلم ولم يسمعهم فإذا رد أحدكم فليجهر برده ولا يقول المسلم: سلمت فلم يردوا علي، ثم قال: كان الإمام علي عليه السلام يقول: لا تغضوا ولا تغضبوا أفشوا السلام وأطيبوا

---

(١) حجازي، محمد احمد: علم الأخلاق والتربية، ص١٩٨.

(٢) سورة البقره: آية: ٨٣.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٤، ص٨٥.

(٤) الحكيم، محمد باقر: دور اهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، ج٢، ص٩٥.

(٥) سورة الانعام: آية: ٥٤.

الكلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، ثم تلا عليه السلام عليهم قول الله عزّ وجلّ: " السلام المؤمن المهيمن[١].

٣- لقاء المسلمين بالبشر

الملاقاة بوجه بشوش، غير مكفهر وعبوس، لأنّ البسمة الجميلة والنظرة الرحيمة هما كالدواء الذي يشفي من كل داء، فهذه السمات تلقي الرحمة في قلب الملاقي، وتعطيه حالاً من الراحة النفسية العجيبة. قال تعالى: { ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ }[٢].

عن الحسن بن الحسين عليهما السلام قال: سمعت الإمام أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر.

عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: ما حد حسن الخلق؟ قال: تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن[٣].

إذا المبدأ في معاملة الناس هو بذل الخير لهم بالوسائل الممكنة والمتاحة كافة، حتى البسمة فإنّها فخ المودة، ومصيدة من مصائد اصطياد القلوب، وما أروع أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) حينما ترغب الإنسان في الدين بالطرائق مختلف التي لا تنفصل عن حساب الثواب والاجر[٤].

---

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٥٤.

(٢) سورة عبس: آية ٣٩.

(٣) الكليني،الكافي، ج٢، ص١٠٣.

(٤) حجازي، محمد احمد: علم الأخلاق والتربية، ص١٩٩-٢٠٠

٤- الصدقة واعانة الناس وقضاء حوائجهم

وهو أن تساعد الفقير بالمال، الأكل، الشرب، الملبس، المسكن..وأي شيء قد يحتاج إليه إنسان آخر لا يستطيع أن يحصل عليه بنفسه، لقلة المورد الذي يملكه وهذا الشيء يعينه في حياته. وتعتبر الصدقة والحاجة والإعانة رحمة من رب العالمين[١]. قال أبو جعفر الباقر (عليه السّلام): لأنّ أحجّ حجة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة حتى انتهى إلى عشرة، ومثلها ومثلها حتى انتهى إلى سبعين، ولأن أعول أهل بيت من المسلمين أشبع جوعتهم، وأكسو عورتهم، واكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة وحجّة حتى أنتهى إلى عشر وعشر وعشر ومثلها حتى انتهى إلى السبعين[٢]. وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً من خلقة انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن، ثم قال: لنا والله ربّ نعبده لا نشرك به شيئاً..[٣]

٥- الاحسان

الاحسان إلى الفرد والناس بالقول والفعل، والفكر والعمل[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥].

كان الإمام علي الرضا (عليه السلام) كثير البر والاحسان إلى العبيد روى عبد

---

(١) الهاشمي: عبد الله: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص٣١٣.

(٢) المجلسي: عين الحياة، ج١، ص٤٠٢.

(٣) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٩٣.

(٤) الهاشمي: الأخلاق والاداب الإسلامية: ص١٨١.

(٥) سورة البقرة: آية ١٩٥.

الله بن الصلت عن رجل من أهل (بلخ) قال: كنت مع الإمام الرضا عليه السلام في سفرة إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة فجمع عليها مواليه، من السودان وغيرهم، فقلت جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة، فأنكر عليه ذلك وقال له: "مه ان الرب تبارك وتعالى واحد، والأُم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال" فكانت سيرة أهل البيت عليهم السلام تهدف إلى إلغاء التمايز العرقي بين الناس، وأنّهم جميعاً في معبد واحد لا يفضل بعضهم على بعض إلاّ بالتقوى والعمل الصالح[١].

٦- التراحم والتعاطف والتزاور

الأمر بالتراحم والتعاطف والتزاور والألفة، فإنّ المضمون العاطفي والروحي للعلاقة من أهم عناصر تقويتها وارسائها على أساس محكم، وتجسيد هذه العواطف والمشاعر عملياً إنما يكون من خلال هذا اللون من السلوك[٢].

وقد وصف القرآن الكريم أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) بأنّهم: { رُحَمَاء بَيْنَهُمْ }[٣] { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }[٤] { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ }[٥].

عن شعيب العقرقوفي قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لاصحابه: اتقواالله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه.

وعن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: يحق على المسلمين الاجتهاد

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية الإمام علي بن موسى الرضا، ص٣١.

(٢) الحكيم: دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ص٢١.

(٣) سورة الفتح: آية: ٢٩.

(٤) سورة المائدة: آية: ٥٤.

(٥) سورة التوبة: آية: ٧١.

في التواصل والتعاون على التعاطف والمؤاساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ: " رحماء بينهم " متراحمين، مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله).

٧- ادخال السرور على المؤمنين

وهو من أحب العبادات إلى الله تعالى ويعتبر مصدر للألفة والتراحم والتعاون والاجتماع بين أفراد المجتمع[١].

عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت الإمام أبا جعفر (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله.

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): قال: قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام أنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فابيحه جنتي، فقال داود: يارب وما تلك الحسنة؟ قال: يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة، قال داود: يا رب حق لمن عرفك أن لايقطع رجاءه منك[٢].

٨- اصلاح ذات البين

الحث على اصلاح ذات البين، بحيث يكون ذلك آفضل من عامة الصلاة والصيام، إذ وردت النصوص العديدة التي تؤكد فضل هذا العمل وآهميته، بما له من أثار في توطيد العلاقة الاجتماعية العامة بين الناس وتقويتها، وازالة العوائق والمشكلات[٣].

---

(١) الهاشمي: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص٥٢٥.

(٢) الكليني: الكافي،ج٢، ص١٨٨-١٨٩.

(٣) الحكيم: دور اهل البيت، ج٢، ص٢٢.

قال تعالى: ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [(١)].

عن حبيب الأحول قال: سمعت الإمام أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: صدقة يحبها الله اصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا[(٢)].

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: ثابِرُوا عَلى صَلاحِ الْمُؤمِنينَ والْمُتَّقينَ[(٣)].

فكان للأئمة الاطهار (عليهم السلام) نشاط مستمر في مجال تربية المجتمع عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً وذلك من خلال تربية الاصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات الأُنموذجية التي تقوم بمهام كبير مثل نشر الوعي والفكر الإسلامي وتصحيح الأخطاء المستجدة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية السياسية المنحرفة أو الشخصيات العلمية المنحرفة التي كان يوظف الحاكم المنحرف لدعم زعامته. وإذ كان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يشكلون الأُنموذج الحي للزعامة الصالحة؛ وعملوا على تثقيف الأمة ورفع درجة وعيها بخصوص إمامتهم وزعامتهم ومرجعيتهم العامة. وهكذا تفاعل الأئمة (عليهم السلام) مع الأمة ودخلوا إلى اعماق ضمير الأمة وارتبطوا بها وبقطاعاتها كلها بشكل مباشر وتعاطفوا مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإنّ الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت مصادفة أو لمجرد الانتماء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لوجود كثير مما كان ينتسب إلى رسول الله صلى

(١) سورة النساء: آية: ١١٤.

(٢) الكليني: الكافي: ج٢، ص٢٠٩.

(٣) الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٣٣٣.

الله عليه وآله وسلم ولم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لان الأمة لا تمنح على الاغلب الزعامة مجاناً ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبهم من دون عطاء سخي منه في مجالات اهتمام الأمة المختلفة ومشاكلها وهمومها(١).

كما أنّ إصلاح الأوضاع الاجتماعية يتوقف على وجود جماعة صالحة تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الإسلام وإلى المنهج السليم الذي تبناه أهل البيت (عليهم السلام) استنادا إلى الأوامر الإلهية في تشكيل الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر. ولهذا سعى الأئمة المعصومون (عليهم السلام) إلى بناء الجماعة الصالحة ورسم المعالم والملامح اللازمة لها لتكون الطليعة الواعية المخلصة لتبني مسؤولية الاصلاح والتغيير على طبق منهج أهل البيت (عليهم السلام). وقد شرع أهل البيت (عليهم السلام) في تكوين الجماعة الصالحة منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنّه إلى جانب تبليغه العام قام بإعداد مجموعة صالحة تهتم بالدعوة إلى الله على بصيرة ووعي وأبدى لهم عناية فائقة إذ خصص لهم أوقاتاً خاصة، وكلف الإمام علياً (عليه السلام) باعداد آخرين. واستمر الإمام علي (عليه السلام) بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإنجاز هذه المهمة وكرس جهوده لتهيئة الطليعة والكوادر الرسالية. وقد أثمرت نشاطاته حينما عادت إلى السلطة. وكان لتلك الكتلة الصالحة أثر كبير في اخماد الفتن الداخلية وتقرير منهج أهل البيت (عليهم السلام) في الواقع العملي. وواصل الإمام الحسن (عليه السلام) مسيرة جده وأبيه، إذ كان أحد بنود الهدنة مع معاوية هو إيقاف الملاحقة لأنصاره وأنصار أبيه، وتفرغ الإمام (عليه السلام) بعد الهدنة لتوسيع قاعدة الجماعة الصالحة لتقوم بأداء دورها في الوقت والظرف

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية " الإمام الهادي "، ص٧٤.

المناسبين. وبالفعل قامت بالتصدي للانحراف الاموي في عهد يزيد، وشاركت مع الإمام الحسين (عليه السلام) في حركته المسلحة للاطاحة بالحكم الجائر. وكان للجماعة الصالحة دور فاعل في قيادة الثورات المسلحة ضد الحكم الاموي على طول الخط، كثورة المختار وثورة التوابين..التي اعقبت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) الاصلاحية وكان لمجموعها دور كبير في إرساء دعائم منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتعميقه وتجذيره في العقول والقلوب والممارسات السلوكية والتعجيل في زوال الحكومات الجائرة. واستمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) في استثمار الفرص المتاحة لتكملة البناء الذي شيده من سبقه من الأئمة الأطهار، فقد تمتع بحرية نسبية في إعداد الطليعة الرسالية في عهد عبد الملك بن مروان، لتكون ذراعا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) في عهده. واستمر الإمام الباقر (عليه السلام) في تشييد هذا الصرح ورفده بعناصر جديدة لتستمر الحركة الاصلاحية على منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتقريره واقع الحياة، فقد ربى (عليه السلام) مجموعة من الفقهاء المصلحين، إذ تنوعت مهمة الجماعة الصالحة، فمنهم الفقهاء، ومنهم قادة الثورات، ومنهم المصلحون الذين كانوا يجوبون الأمصار لتعميق منهج أهل البيت (عليهم السلام) في القلوب والنفوس[١].

وكان الإمام الرضا (عليه السلام) يقوم باداء دور التربوي على مستويين:

المستوى الاول: كان الإمام الرضا (عليه السلام) يوجه الأمة للالتزام بالأخلاق الفاضلة والخصائص الحميدة، ويبعدها عن مزالق الإنحراف والرذيلة، تنفيذا لمسؤوليته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجموع الأمة يشمل الحكام والمحكومين وهم جميع المسلمين بما فيها أتباع أهل البيت (عليهم السلام). وعلى

---

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية " الإمام الباقر عليه السلام "، ص١٣٨-١٣٩.

المستوى الثاني فإنّ الإمام (عليه السلام) مسؤول عن بناء الجماعة الصالحة التي تتبنى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) منهاجاً في الحياة، لكي يربي كوادر ونماذج رسالية تقوم بدورها في اصلاح الأخلاق وتغيير الإنحراف السائد في المجتمع، وهو في هذا المستوى يقوم باداء دور بصورة اكثف، ويبدي عناية اضافية ووقتاً إضافياً ليربي عدداً أكثر من المصلحين القادرين على انجاح مهمات الاصلاح والتغيير، لذا نجده (عليه السلام) يعمل ليل نهار، ويلتقي بالأفراد فرداً فرداً أو جماعة جماعة من أنصاره، ويراسل وكلاءه وأتباعه في الامصار ليقوم سلوكهم ويهذب أخلاقهم. وكان يرسم لأتباعه المنهج السلوكي القويم، وكان (عليه السلام) يشتري العبيد ثم يعتقهم بعد أن يعدهم إعداداً تربوياً في داره فقد اعتق ألف مملوك طول سني حياته، وهذا العدد الكبير له تأثير في سير الأخلاق، إذ يصبح هؤلاء بعد التربية والإعداد الخلقي تياراً من المخلصين الواعين يعمل في وسط الأمة، ويقوم بأداء دور الاصلاح مبتدءاً بنفسه وأسرته ثم المجتمع الكبير[١].

إذ قاموا أهل البيت (عليهم السلام) بدور اصلاحي عظيم. وأهم ما في ذلك، انهم لم يقوموا بنشاطاتهم الدينية والدنيوية إلاّ لأجل دعوة الناس إلى الحق والتوحيد ونفي الشرك عن ذات المولى " سبحانه وتعالى ". وبما أنّهم هم تجليات الحق في الأرض، فقد هوت القلوب إليهم، وانقادت وراءهم، لأنّهم جسدوا أقوالهم في أفعال، وقلما نجد في تأريخ البشرية، وبخاصة في رجالها الخالدين، هذا الخلق الرفيع وترك التجافي عن الناس، ومداراتهم وقضاء حوائجهم و.... إلخ. وكل ما يكون عدا هذا فهو من عادات الرؤساء والأمراء والملوك الذين يحصلون كمالاتهم ويكملون نقصهم بالطرق الظالمة[٢].

---

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية " الإمام الرضا عليه السلام "، ص١٠٤.

(٢) حجازي: علم الأخلاق والتربية، ص١٣٠- ١٣١.

المبحث الثاني: مقومات السلوك وشروطه

هناك مقومات لابد أن يتحلى بها الإنسان وهذه المقومات تعبر عن السلوك المتميز، مما لها أهمية على الإنسان وسلوكه وهذه المقومات هي:

١- التوبة

التوبة وهي تبرأة القلب عن الذنب والرجوع من البعد إلى القرب وبعبارة أخرى ترك المعاصي في الحال والعزم والإرادة على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير ويشير (أبن سينا): (إنّ أول خطوة فى سير العارفين هى الإرادة، وتلك الحال هى الرغبة فى التعلق بالحبل الإلهي المتين، لأنّها تمخضت عن اليقين الحاصل من البرهان، أو من خلال تهدئة وتسكين الذات بالإيمان)[1]. وهي فرض على كل حال وعلى الفور ومن شرطها أن تكون لله لا لمال أو جاه أو خوف من سلطان أو انتفاء أسباب، وأن يندم، أما الندم فأعني تألم القلب وحزنه على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة، إنما المقدور تحصيل أسبابه من العلم والإيمان وتحقيقها في قلب[2].

---

(١) ابن سينا: الاشارات والتنبيهات، ج٤، ص٧٦.

(٢) الكاشاني، الفيض: الحقايق في محاسن الأخلاق، ص٢٨٩.

إذن الخطوة الأولى من مقومات السلوك والسّير إلى الله، هي «التّوبة»، التّوبة التي تمحو الذّنوب من القلب وتبيّض صفحته وتجعله يتحرك في دائرة النور، وتنقله من دائرة الظّلمة، وتخفف ثقل الذّنوب من خزينه النّفساني، ورصيده الباطني، وتمهّد الطّريق للسّير والسّلوك إلى الله تعالى، في خط الإيمان وتهذيب النّفس[١].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[٤]. قال (صلى الله عليه وآله): "الندم توبة"[٥].

عن معاوية بن وهب قال: سمعت الإمام أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه ويوحي إلى بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب[٦].

ويشترط في تمام التوبة وكمالها بعد تدارك كل معصية بما مر: من طول الندم، وقضاء العبادات، والخروج عن مظالم العباد، وطول البكاء والحزن والحسرة، واسكاب الدموع، وتقليل الاكل وارتياض النفس، ليذوب عن بدنه كل لحم نبت

(١) الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، ج١، ص١٨٩
(٢) سورة البقرة: آية: ٢٢٢.
(٣) سورة النساء: آية: ١٧.
(٤) سورة التحريم: آية: ٨.
(٥) النيسابوري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم: المستدرك على الصحيحين،كتاب التوبة والانابة، ح٣١٦١، دار المعرفة، ص٣٤٥.
(٦) الكليني: الكافي، ج٢، ص ٤٣١.

من الأغذية المحرمة والمشتبهة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لمن قال بحضرته: استغفر الله: " ثكلتك أمك! أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ: أولها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود عليه أبداً، والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقيين حقوقهم حتى تلقي الله ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها، والخامس: أن تعمد اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ منهما لحماً جديداً، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: استغفر الله"(١).

والتوبة هي أحد المقامات عند الصوفية، والتوبة عند الصوفية هي جملة ما على العبد في التوبة وما تعلق بها عشر خصال: أن لا يعصي الله تعالى، أن لا يصر إذا ابتلى بمعصية، التوبة إلى الله تعالى منها، الندم على ما فرط منه، عقد الاستقامة على الطاعة إلى الموت، خوف العقوبة، رجاء المغفرة، الاعتراف بالذنب، اعتقاد أنّ الله قدر عليه ذلك، وأنّه عدل منه، المتابعة بالعمل الصالح ليكفر عما تقدم من السيئات. وهذه الخصال تشهد أنّ الصوفية يرون المرء مجرداً من الحول والقوة، فهو يذنب بقدر ويتوب بقدر،. وصدق التائب في توبته عند الصوفية هو ان يستبدل بحلاوة الهوى حلاوة الطاعة ولا تصح للتائب توبة إلاّ بأكل الحلال، ولا يقدر على الحلال حتى يؤدي حق الله تعالى في الخلق، وحق الله تعالى في نفسه، ولا يصح له هذا حتى يبرأ من حركته وسكونه إلاّ بالله تعالى وحتى لا يأمن الاستدراج بأعماله الصالحات(٢).

---

(١) النراقي، محمد مهدي: جامع السعادات،ج٣، ص٤٩٥.

(٢) مبارك، زكي: التصوف الإسلامي في الإدب والأخلاق، ص٤٩٥.

ويرى (الغزالي): أنّ التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب، مبدأ طريق السالكين، وراس مال الفائزين، وأول إقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين[١]. إنّ التوبة تعبيرٌ عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة علم وحال وفعل. فالعلم الأول، والحال الثاني، والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت. أما العلم: فهو معرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثأر من هذه المعرفة، تألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإنّ القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، فإنّ كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت، فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندماً، فإذا اغلب هذا الألم على القلب، واستولى وانبعث من هذا الألم في القلب حال أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال والماضي والمستقبل. اما تعلقه بالحال فالبترك للذنب الذي كان ملابساً، وإلا ما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وأما بالماضي فبتلاقي مافات بالجبر والقضاء إن كان قابلاً للجبر[٢].

أقسام التائبين

القسم الأوّل: أُولئك التّائبون الذين لا يقلعون عن الذنوب، ولا يتأسفون على ما فعلوا، إذ وقفوا عند مرحلة النّفس الأمّارة، وعاقبتهم غير معلومة أصلاً، فَمِن المُمكن أن يعيش حال التّوبة في آخر أيّام حياته، وتكون عاقبته الحُسنى، ولكنّ الطامّة الكبرى، عندما يتفق موهم مع معاودهم للذنب، وهناك ستكون

---

(١) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٤، ص٢.

(٢) المصدر نفسه: ص٣.

عاقبتهم العذاب والشقاء، وفيها الخُسران الأبدي.

القسم الثاني: التّائبون بحق الّذين يستمرون في طريق الحقّ والطّاعة، ويتحرّكون في خطّ الإستقامة، ولكن الشّهوات تغلبهم أحياناً، فيكسرون طوق التّوبة، ويرتكبون بعض الذّنوب، من موقع الشّعور بالضّعف أمامها، ولكنّهم لا يقعون في هذا الخطأ، من موقع التّمرد والجُحود والعِناد، على وعي الموقف، بل من موقع الغفلة والإندفاع العفوي في حالات الضّعف، الّتي تفرزها حالات الصّراع مع النّفس الأمّارة، ولهذا يحدثون أنفسهم بالتّوبة من قريب، هؤلاء الأشخاص وصلوا إلى مرحلة النّفس اللّوامة، والأمل بنجاتهم أقوى(١).

القسم الثّالث: التوّابون الذين يجتنبون كَبائِر الإثم، ويتمسّكون بأُصول الطّاعات، ولكنهم قد يقعون في حبائل المعصية، لا عن قصد وعمد، ولذلك يتوبون مباشرةً عن الذّنب، فيلومون أنفسهم ويعزمون على التّوبة والعودة إلى خطّ الإستقامة بإستمرار، ويعيشون حال الإبتعاد عن الذّنب دائماً. النّفس اللّوامة لهذه المجموعة، مهيمنةٌ عليهم، ويعيشون على مقربة من النّفس المُطمئنّة، والأمل بنجاتهم أكبر.

القسم الرابع: التّوابون بعزم وقوة إرادة، في طريق الطّاعة لله تعالى، فلا تهزّهم العَواصف التي تفرضها حالات الصّراع مع الخَطيئة، ولا يخرجون من أجواء التّقوى، صحيح أنّهم ليسوا بمعصومين، ولَرُبّما فكّروا بالمعصية، ولكنّهم محصّنون مُبعدون عنها، فَقِوى الإيمان والعقل عندهم، سَلبت هوى النّفس فاعليّته في واقعهم الباطني، وكبّلته بالسّلاسل الغلاظ، في خطّ التّزكية والجهاد الأكبر، فلا

(١) الشيرازي: الأخلاق في القرآن، ج١، ص٢٠٩.

سبيل للشّيطان والأهواء عليهم. فأُولئك هم أصحاب: «النّفوس المطمئنّة»[١].

ونشير في ذلك في قصة حي بن يقظان، إذ كان هناك جزيرة قريبة من تلك التي ولد بها حي، (وهي جزيرة من جزائر الهند) وهذه الجزيرة انتقلت إليها ملة من الملل الصحيحة المأخوذة عن بعض الأنبياء.

وكان قد نشأ بتلك الجزيرة فتيان من أهل الفضل والرغبة في الخير يسمى أحدهما أبسال والآخر سلامان.

وكانا مؤمنين بتلك الملة، إلاّ أنّ أبسال كان أشد غوصاً على الباطن، وأكثر عثوراً على المعاني الروحانية وأطمع في التأويل، في حين كان سلامان أكثر تمسكاً بالظاهر وأبعد عن التأويل، واوقف عن التصوف والتأمل.

وكلاهما مجدان في الأعمال الظاهرة ومحاسبة النفس ومجاهدة للهوى. وكان أبسال قد سمع عن الجزيرة التي نشأ بها حي بن يقظان، فارتحل إليها وكان يطوف بتلك الجزيرة فلا يرى أحداً، فبقى أبسال بتلك الجزيرة يعبد الله عزّ وجلّ ويعظمه ويقدسه، ويفكر في أسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ فلا ينقطع خاطره؛ ولا تتكدر فكرته. إلى ان أتفق ذات مرة أن خرج حي بن يقظان لالتماس غذائه، وأبسال قد ألم بتلك الجهة، فوقع بصر كل واحد منهما على الاخر، فاما أبسال فلم يشك في انه من العباد المنقطعين وصل إلى تلك الجزيرة لطلب العزلة عن الناس.

واما حي فلم يدر من هو، لأنّه لم يره على صورة شيء من الحيوان الذي عرفه. فوقف يتعجب من ابسال. وولى أبسال هاربا منه خيفة ان يشغله عن عزلته.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢١٠.

فاقتفى حي بن يقظان اثره لما كان في طباعه من البحث عن حقائق الاشياء. فشرع أبسال في الصلاة والدعاء والبكاء، والتفرغ والتواجد، حتى شغله ذلك عن كل شيء. فجعل حي بن يقظان يتقرب منه قليلا قليلا، وأبسال لا يشعر به حتى دنا منه بحيث يسمع قراءته وتسبيحه، ويشاهد خضوعه وبكاءه. فسمع صوتاً حسناً وحروفاً منظمة لم يعهد مثلها في شيء من أصناف الحيوان.

فلما أحس به أبسال فر منه، فلحق به حي وأظهر البشر والفرح، وكان أبسال قد مهر في كثير من الألسن، فظل يتكلم بكل لسان يعرفه فلم يستطع افهامه شيئاً، وحي بن يقظان في ذلك كله يتعجب مما يسمع ويرى: ثم آنس كل منهما بالاخر، ورجا أبسال أن يعلمه الكلام والعلم والدين ليكون له بذلك أجر عند الله وزلفى.

فشرع في تعليمه الكلام بأن كان يشير به إلى أعيان الموجودات وينطق بأسمائها ويكرر ذلك عليه، حتى جعله يتكلم في أقرب مدة. وهنالك سأله أبسال عن شأنه ومن أين صار إلى تلك الجزيرة فاعلمه حي أنه لا يدري لنفسه إبتداءً ولا أباً ولا أماً أكثر من الظبية التي ربته، ووصف له شأنه كله وكيف ترقى بالمعرفة حتى انتهى إلى درجة الوصول[١].

فلما سمع منه أبسال وصف تلك الحقائق والذوات المفارقة لعالم الحس ووصف ذات الله، لم يشك أبسال في أن الأشياء جميعها التي وردت في شريعته من امر الله عزّ وجلّ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره، هي امثلة هذه التي شاهدها حي بن يقظان، فانفتح بصره، وتطابق عنده المعقول والمنقول.

---

(١) ابو بكر، ابن طفيل: حي بن يقظان،قدم له وعلق عليه د. البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط٣، ص٨٩.

فتحقق عنده أنّ حي بن يقظان من أولياء الله. فالتزم خدمته وجعل حي يستفصحه عن أمره، فجعل أبسال يصف له شأن الجزيرة وما فيها من الناس، ووصف له جميع ماورد في الشريعة من وصف العالم الإلهي والجنة والنار والبعث والنشور والحشر والحساب والميزان والصراط. ففهم حي بن يقظان هذا كله ولم ير فيه شيئاً على خلاف ما شاهده من مقامه الكريم. فعلم أنّ الذي وصف ذلك وجاء به محق في وصفه، صادق في قوله، رسول من عند ربه فآمن به وصدقه وشهد برسالته. ثم جعله يسأل عما جاء به هذا الدين من الفرائض والعبادات. فوصف له الصلاة الزكاة والصيام والحج وما أشبهها من الأعمال الظاهرة، فتلقى ذلك وإلتزمه، وأخذ نفسه بأدائه[١]. فكانت الغاية الرئيستة التي استهدفها منها ابن طفيل هي بيان اتفاق العقل والنقل، أي اتفاق الدين والفلسفة. وحي بن يقظان هو رمز العقل الإنساني المتحرر من كل سلطة ومن كل معرفة سابقة، ومع ذلك يهتدي إلى الحقائق نفسها التي أتى بها الدين الإسلامي. فالدين حق، والحق لا يتعدد، ولهذا اتفق الدين والفلسفة وأبسال رمز لرجل الدين المتعمق المتأول الغواص على المعاني الروحية، وسلامان رمز لرجل الدين المتعلق بالظاهر، المتجنب للتأويل المتوقف عند الأعمال الظاهرة والمعاني القريبة[٢].

٢- الحياء

الحياء هو الحشمة وانقباض النفس من الشيء وتركه خوفاً من اللوم فيه[٣]. الحياء ملكة انقباض النفس عن القبيح وانزجارها عن كل فعل أو ترك تعده سيئاً،

(١) ابن طفيل: حي بن يقظان، ص٩٣.

(٢) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج١، ص٧٥.

(٣) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج١، ص٥٠٢

وإذا نسب إلى الله تعالى فالمراد به: التنزيه عملاً عن القبيح، وترتيب أثر الانقباض فهو في الخلق من صفات الذات، وفي الخالق من صفات الفعل كالرؤوف والرحيم وهذه الصفة إذا كان متعلقها القبائح الشرعية والعقلية من أفضل الصفات والملكات الإنسانية، وقد ورد في فضلها وكونها من آثار الإيمان، وكون تركها خروجاً عن الإيمان[١]. والحياء ظاهرة تعبر عن الخوف من الظهور بمظاهر النقص وهو من الإيمان وهو أن لا تقول أو تعمل عملاً تعلم أنّ الله عزّ وجلّ لا يرضى عنه وكذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام). وهو انحصار النفس وانفعالها من ارتكاب المحرمات الشرعية والعقلية والعادية حذراً من الذم واللوم. والحياء من الإيمان فمن لا حياء له لاخير فيه ولا إيمان له. ونهاية الحياء ذوبان القلب لأنّه يعلم أنّ الله مراقبه وهو في كل حال فيبتعد عن الذنوب والمعاصي حياء من الله[٢].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ﴾[٣].

عن الهروي قال: قال الإمام الرضا (عليه السلام): "الحياء من الإيمان"[٤].

أشكال الحياء

١- الحياء من الله بالسر والعلن بالامتثال لأوامره والكف عن محارمه[٥].

[قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأبي ذر رحمه الله]:

(١) آية الله المشكيني: دروس في الأخلاق، ص١٤٧.

(٢) الهاشمي، عبدالله: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص١٨١

(٣) سورة العلق: آية: ١٤.

(٤) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٨، ص٣٣٤.

(٥) الهاشمي: الأخلاق والآداب الإسلامية، ص٢٨٢.

يا أبا ذر أتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: نعم فداك أبي وأمي، قال: فاقصر من الأمل، واجعل الموت نصب عينيك، واستح من الله حق الحياء، قال: قلت: يا رسول الله كلّنا نستحي من الله. قال: ليس ذلك الحياء، ولكن الحياء أن لا تنسى المقابر والبلى، والجوف وما وعى، والرأس وما حوى، ومن أراد كرامة الآخرة فليدع زينة الدنيا، فإذا كنت كذلك أصبت ولاية الله(١).

لقد أشار (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في هذا المقام إلى أنّ في الحياء، تأثر النفس وانزجارها من أمر ظهر لها قبحه، وهو على قسمين، قسم من أفضل الصفات الكمالية ويورث الفوز والسعادة، وقسم يوجب الحرمان من الكمالات. أمّا ما كان كمالاً منه، فهو أنّ الإنسان بعد ما ميّز بين الحق والباطل والحسن والقبيح بالعلم استحى من الله ومن الخلق في ترك العبادات، ومحاسن آداب الشريعة، وارتكاب المعاصي وقبائح الآداب التي علم قبحها من الشرع، ومن الواضح أنّ المتصف بصفة الحياء إذا أراد فعل قبيح تفكر بحضور الله تعالى واطلاعه على أفعاله، وكذلك اطلاع النّبي والأئمة عليهم السلام وعرض أعمال الأُمة عليهم في كلّ يوم، وكذلك اطلاع الملكين الموكلين به، ولو رفع الله ستره عنه لاطلع على فعله جميع ملائكة السماء، وسينفضح يوم القيامة أمام مئة وأربع وعشرين ألف نبيّ، وجميع الملائكة وسائر العباد، فلو تفكر في هذه الأمور وأذعن بها عن يقين وإيمان فلا يتوجه إلى ذلك العمل البتة، وكذلك الأمر في فعل الطاعات(٢).

٢- الحياء من الناس بكف الأذى عنهم وترك المجاهرة بالقبيح فلاخير فيمن لا يستحي.

---

(١) المجلسي: عين الحياة، ج٢، ص٨٢.

(٢) المجلسي: عين الحياة، ج٢، ص٨٢.

عن الإمام عليّ (عليه السلام) قال: "عمَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ النّاسِ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الله سُبْحانَهُ"[١]. وعن الإمام الرضا، عن آبائه (عليهم السلام) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: " لم يبق من أمثال الأنبياء إلاّ قول الناس: إذا لم تستحِ فاصنع ماشئت"[٢].

٣- الحياء من نفسه بالعفة وترك عمل المعاصي حتى في الخلوات حياء من نفسه، فمن عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه قدر. عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: "أَحْسَنُ الحَياءِ اِسْتِحْياؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ"[٣].

عن عبد الله بن عمر مر النبي (صلى الله عليه وآله) على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول إنّك لتستحيي حتى كأنّه يقول قد أضر بك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعه فإن الحياء من الإيمان[٤].

٤- الحياء المذموم بأن يرى الإنسان أمراً من الحق قبيحاً بعقله الناقص فيتركه، وهذا ناشيء من الجهل، كما لو أشكلت عليه مسألة فلا يسألها ويستحي ويبقى في الجهالة، أو يترك عبادة لكون بعض الأشقياء لا يستحسنها، وهذا الحياء يوجب الحرمان من السعادة[٥].

ويقول الله تعالى: { وَالله لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ }[٦].

---

(١) الإسلامي،حسين: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم. ص١٧٣.

(٢) المجلسي: بحار الانوار ج٦٨، ص٣٣٣.

(٣) الإسلامي،حسين: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص١٧١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الادب، باب الحياء، ح٥٧٦٧، ص٢٢٦٨.

(٥) المجلسي: عين الحياة، ج٢، ص٨٣.

(٦) سورة الاحزاب: آية: ٥٣.

عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: " الحياء حياءان؛ حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل"[١].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " من رق وجهه رق علمه "[٢].

٣- الشجاعة

وهي قوة القلب والإقدام والجرأة والصبر في وقت الشدة[٣].

ومن الشجاعة ما هو مذموم: كشجاعة من يحارب كي يصل إلى ماكل أو منكح، وكشجاعة من يقدم لثوران غضب وتطلب منه الغلبة.

ومنها ما هو محمود: كمن يحارب ليدافع عن الدين، ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الإنسان نفسه أو غيره[٤].

والشجاعة عند إفلاطون هي فضيلة القوة الغضبية التي تأتي بعد الحكمة وهي التي تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم إغراء اللذة ومخافة الألم[٥].

أما أرسطو يرى أنّ إفراط النفس في التعرض للمخاطر يجعل الإنسان متهوراً، وقلة التعرض لها يجعله جباناً، وكلاهما يمنع الشجاعة التي إنّما تنشأ وتبقى وتنمو بالممارسة المعتدلة للخطر والممارسة شرط نمو الملكة واستقرارها، في الفضيلة وفي كل فن. والفعل الذي يصير الإنسان شجاعاً مثلاً هو شبيه بالفعل الذي يصدر

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٧١، ص٣٣١.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٠٦.

(٣) الهاشمي: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص٣٧٣.

(٤) عزام: محفوظ علي: الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار الهداية، ط١، ١٩٨٦، ص٧٩.

(٥) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٧، ص٩٥.

عن فضيلة الشجاعة شبهاً ظاهرياً فقط، لأنّ الشجاع هو الحاصل على كمال الشجاعة، وهو أقدر سيطرة على أفعاله(١).

لكن المرء يعجز عن الوصف والقول حينما يطالع صفحة الشجاعة من شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) فإنّه ورثها عن ابائه وتربى عليها ونشأ فيها، فهو من معدنها واصلها، وهو الشجاع في قول الحق والمستبسل للدفاع عنه، فقد ورث ذلك عن جده العظيم مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) الذي وقف أمام أعتى قوة مشركة حتى انتصر عليها بالعقيدة والإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى. ووقف مع أبيه - أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) - يعيد الإسلام حاكماً، وينهض بالأُمة في طريق دعوتها الخاصة، يصارع قوى الضلال والإنحراف بالقول والفعل وقوة السلاح ليعيد الحق إلى نصابه. ووقف مع أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) موقف الأبطال المضحين من أجل سلامة الأمة ونجاة الصفوة المؤمنة المتمسكة بنهج الرسالة الإسلامية. ووقف صامدا حين تقاعست جماهير المسلمين عن نصرة دينها أمام جبروت معاوية وضلاله وأزلامه والتيار الذي قاده لتشويه الدين القويم. ولم يخش التهديدات كلها، وما كان يلوح من نهاية مأساة نتيجة الخروج لطلب الاصلاح واحياء رسالة جده النّبي (صلى الله عليه وآله) والوقوف في وجه الظلم والفساد، فخرج وهو مسلم لأمر الله وساع لابتغاء مرضاته(٢)، وها هو (عليه السلام) يرد على الحر بن الرياحي حين قال له: اذكرك الله في نفسك فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن، فقال له الإمام أبو عبد الله عليهما السلام: أبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وما أدري

(١) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٨٩.

(٢) لجنة التأليف: أعلام الهداية الإمام الحسين، ص٤١-٤٢.

ما أقول لك؟ ولكن أقول كما قال أخو الآوس لابن عمه:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى — إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما

وواسى رجالاً صالحين بنفسه — وخالف مثبوراً وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم — كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

ووقف (عليه السلام) يوم الطف موقفاً حير به الألباب وأذهل به العقول، فلم ينكسر أمام جليل المصاب حتى عندما بقي وحيداً، فقد كان طوداً شامخاً لا يدنو منه العدو هيبة وخوفا على الرغم من جراحاته الكثيرة حتى شهد له عدوه بذلك، فقد قال حميد بن مسلم: فو الله ما رأيت قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه، إن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الذئب[1].

قال تعالى: { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [2].

ومن خلال هذا المشهد نستدل على أنّ شجاعة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لم نجد شجاعة كشجاعتهم وهي الشجاعة المحمودة الذي دافعوا بها من أجل الدين والاصلاح والاستقامة والفساد والظلم وليجعلوا كلمة الحق تعلوا كلمة الباطل.

٤- الزهد

وهو الابتعاد عن التعلق بالدنيا والاستعداد للعقبى..وهو من أهم المقامات عند الصوفية هو مقام الزهد وهو أساس الاحوال الرضية، والمراتب السنية،

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٢) سورة النساء: آية: ٧٤.

والمنقطعين إلى الله والراضين عن الله والمتوكلين على الله تعالى، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده؛ لأنّ حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة. والزهاد على ثلاث طبقات: فمنهم المبتدئون، وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم، ومنهم المتحققون في الزهد، وهم الذين تركوا حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، وإنّما كان هذا زهد المتحققين؛ لأنّ الزهد في الدنيا فيه حظ للنفس هو الثناء والمحمدة واتخاذ الجاه عند الناس، فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقق في زهده، وأما الثالثة: فهي التي تزهد في الزهد، متمثلة في القول: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"[١].

ويقول (الغزالي): "إنّ الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لأنّ أبواب الإيمان كلها ترجع إلى عقد وقول وعمل وكأنّ القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلاّ فليس القول مراد لعينه وإن لم يكن صادراً عن حال سمي إسلاماً ولم يسم إيماناً والعلم هو السبب في حال يجرى مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة"[٢].

ويمكن أن تجتمع الرغبة والزهد مع كثير المال والجاه، قيل لاحد العظماء:

إنّك تدعي الزهد ولديك هذا العدد من حظائر الخيل والبغال؟

فقال: لقد غرزت مساميرها في الطين لا في القلب[٣].

---

(١) مبارك، زكي: التصوف الإسلامي في الاداب والأخلاق، ص٥٠٧.

(٢) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٤، ص٢١١.

(٣) الكاشاني: العرفان والسلوك عند اهل البيت عليهم السلام، ص١٥٨.

قال تعالى: { لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }[١].

روي أنّ رجلاً سأل علي بن الحسين (عليهما السلام) عن الزهد، فقال: عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا، ألا وإنّ الزهد في آية من كتاب الله عزّ وجلّ: " لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ "[٢].

ومن علامات الزاهد

١- لايفرح بموجود ولا يحزن على مفقود. وإلى ذلك أشار الفيلسوف (الكندي) في رسالته الحيلة لدفع الأحزان قائلاً: "الحزن ألم نفساني يعرض لفقد محبوب أو قوت مطلوب وسببه الحرص على القنيات الجسمية والشره إلى الشهوات البدنية والحسرة على ما يفقده أو يفوته منها، فإذا أنصف نفسه وعلم أنّ جميع ما في عالم الكون والفساد غير ثابت ولا باقٍ وإنّما الثابت هو ما يكون في عالم العقل لم يطمع في المحال ولن يطلبه وإذا لم يطمع فيه لم يحزن لفقده، يهواه ولا لفوت ما يتمناه في هذا العالم وصرف سعيه إلى المطلوبات الصافيه واعرض عما ليس في طبعه ان يثبت ويبقى[٣].

٢- يستوي عنده ذامه ومادحه.

٣- آنسه بالله تعالى ويشغل قلبه حب الله فقط وحلاوة طاعته[٤].

---

(١) سورة الحديد: آية: ٢٣.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٢٩.

(٣) بدوي: عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج٢، ص٣٠٩.

(٤) الهاشمي: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص٣٤٧.

عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا[١].

وعن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالما إلى دار السلام"[٢].

وقد كان الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) في طليعة الزاهدين في الدنيا والمعرضين عن نعيمها وزخارفها فقد اتجه إلى الله ورغب فيما اعده له في دار الخلود من النعيم والكرامة، وقد حدثنا عن سعة زهده ابراهيم بن عبد الحميد فقال: دخلت عليه في بيته الذي كان يصلي فيه، فإذا ليس في البيت شيء سوى خصفة، وسيف معلق، ومصحف، لقد كان عيشه زهيدا، وبيته بسيطا فلم يحوِ شيئاً حتى من الأمتعة البسيطة التي تضمها بيوت الفقراء الأمر الذي دل على تجرده من الدنيا، واعراضه عنها. على أنّه كانت يجبي له الأموال الطائلة، والحقوق الشرعية من العالم الشيعي، فضلاً عن أنّه كان يملك من الأراضي الزراعية التي تدر عليه بالأموال الخطيرة، وقد انفع بجميع ذلك بسخاء على البائسين والمحرومين في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وكان (عليه السلام) يتلو على أصحابه سيرة أبي ذر الصحابي العظيم دوماً الذي ضرب المثل الأعلى لنكران الذات والتجرد عن الدنيا والزهد في ملاذها، فقال (عليه السلام): " رحم الله أبا ذر. فقد كان يقول جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من

الشعير، اتغدى بأحدهما، وأتعشى بالآخر، وبعد شملتي الصوف ائتزر

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٧

بإحدهما وأرتدي بالأخرى[١].

درجات الزهد

١- اعتبار نفسه أي من إذ نفس الترك للدنيا وبهذا الاعتبار له درجات ثلاث: الأُولى: ان يزهد في الدنيا مع ميله إليها وحبّه لها وذلك بأن يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة وهذا هو التزهد. الثانية: ان يترك الدنيا طوعاً وسهولة من دون ميل إليها لما يطمع فيه من لذات الآخرة. الثالثة: وهي أعلى الدرجات أن يترك الدنيا طوعاً وشوقاً ولا يرى أنّه ترك شيئاً، وسبب هذا الترك كمال المعرفة[٢].

٢- اعتبار المرغوب عنه ما يترك وبهذا الاعتبار له خمس درجات: الأُولى: أن يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام، ويسمى زهد فرض.

الثانية: أن يترك المشتبهات أيضاً وهو الزهد في الشبهة، ويسمى زهد السلامة.

الثالثة: أن يزهد في الزائد عن قدر الحاجة من الحلال أيضاً ولا يزهد في التمتع بالقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن وأثاثه والمنكح وما هو وسيلة إليها من المال والجاه، وأشار أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: " الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ماحرم الله عزّ وجلّ"[٣]. ويسمى زهد الثقل.

الرابعة: أن يترك جميع ما للنفس فيه تمتع ويزهد فيه ولو في قدر الضرورة. عن جده عليهم السلام قال: " سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الزاهد في

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية الإمام موسى بن جعفر " الكاظم " إصدار المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام)، ص٣١-٣٢.

(٢) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٤، ص٢٢٠.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٨، ص٣١٠.

الدنيا، قال: الذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عذابه"[١].

الخامسة: ان يترك جميع ما سوى الله ويزهد فيه حتى في بدنه ونفسه، بحيث كان ما يصحبه ويرتكبه في الدنيا، وإكراهاً من دون استلذاذ وتمتع به.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): الزهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النار، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله، عن غير تأسف على فوتها، ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها، ولا عوض منها، بل ترى فوتها راحة، وكونها آفة... "[٢].

٣- اعتبار المرغوب فيه: ما يترك لأجله. وهو ثلاث درجات، الأولى: ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الآخرة، وهذا زهد الخائفين. الثانية: أن يكون ثواب الله ونعيم الجنة، وهذا زهد الراجين. الثالثة: وهي الدرجة العليا: ألاّ تكون له رغبة إلاّ في الله وفي لقائه، فلا يلتفت إلى الآلام ليقصد منها الخلاص ولا إلى اللذات ليقصد نيلها، بل كان مستغرقاً الهم بالله، وهذا زهد العارفين لأنّه لا يحب الله خاصة الا من عرفه بصفاته الكمالية[٣].

٥- الإيثار

وهو: أسمى درجات الكرم، وأرفع مفهوماته، ولا يتحلى بهذه الصفة المثالية النادرة، إلاّ الذين تحلوا بالأريحية، وبلغوا قمة السخاء، فجادوا بالعطاء، وهم بأمس الحاجة إليه، وآثروا بالنوال، وهم في ضنك من الحياة،[٤] وقد أشاد القرآن

(١) المصدر نفسه، ص٣١١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣١٥. ينظر النراقي، جامع السعادات،ج٢، ص٢٦٥.

(٣) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٤، ص٢٢١.

(٤) الصدر، مهدي علي: أخلاق اهل البيت، ص٥٣.

بفضلهم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[١].

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾[٢].

درجات الإيثار

١ - أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً، ولا يفسد عليك وقتاً[٣].

وقد عرفت سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) بجودها وإيثارها فكانت على هدي أبيها في جوده وسخائه، وقد سمعته يقول: " السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار، وأنّ الله سبحانه وتعالى جواد يحب الجواد " وكان الإيثار من شعار المصطفى (صلى الله عليه وآله) حتى قالت بعض زوجاته: ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، وكان يقول (صلى الله عليه وآله): "ولو شئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على أنفسنا"، وكانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه إقتداء بأبيها[٤].

روي أنّ موسى بن عمران قال: يارب، أرني بعض درجات رسولك مُحَمَّد وأمته. قال: ياموسى، أنّك لن تطيق ذلك، لكني أريك منزلة من منازله، جليلة عظيمة، فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي. قال الراوي: فكشف عنه ملكوت

---

(١) سورة الحشر: آية: ٩.

(٢) سورة الليل: آية: ١٠.

(٣) الانصاري، لابي إسماعيل عبدالله: منازل السائرين، منشورات الرضا، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص٢٣١.

(٤) المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام: أعلام الهداية فاطمة الزهراء سيدة النساء، ص٣٨.

السموات، فنظر إلى منزلة كادت ان تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله، فقال: يارب، بماذا بلغ إلى هذه الكرامات؟ قال تعالى: بخلق اختصصته به من بينهم، وهو الإيثار يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلاّ استحييت من محاسبته، وبوأته من جنتي إذ يشاء "[١].

وروي أن جاء رجل إلى النّبي (صلى الله عليه وآله)، فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلاّ الماء. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من لهذا الرجل الليلة؟ فقال الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام): أنا له يا رسول الله. وأتى فاطمة (عليها السلام) فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله؟ فقالت: ماعندنا إلاّ قوت العشية، لكنا نؤثرضيفنا، فقال (عليه السلام): يا ابنة محمد، نومي الصبية واطفئي المصباح. فلما أصبح عليّ (عليه السلام) غدا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاخبره الخبر، فلم يبرح حتى انزل الله عزّ وجلّ: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }[٢].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): كان عند سيدة النساء فاطمة (عليها السلام) شعير، فجعلوه عصيدة، فلما انضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فقال المسكين: رحمكم الله، فقام علي (عليه السلام) فأعطاه ثلثاً. فلم يلبث ان جاء يتيم، فقال اليتيم: رحمكم الله، فقام علي (عليه السلام) فأعطاه الثلث. ثم جاء أسير، فقال الأسير: رحمكم الله، فأعطاه عليّ (عليه السلام) الثلث، وما ذاقوها. فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية { وَكَانَ سَعْيُكُمْ

---

(١) النراقي: جامع السعادات،ج٢، ص٢٩٣.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩. ينظر الريشهري: ميزان الحكمة، ج١، ص١٧.

مَشْكُورًا }[١]. فيهم، وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك للّه عزّ وجلّ[٢].

٢- إيثار رضى الله تعالى على رضى غيره، وإن عظمت فيه المحن وثقلت به المؤن، وضعف عنه الطول والبدن.

عن الإمام عليّ (عليه السلام) قال: " الإيثارُ أفضَلُ عِبادَة، وأجَلُّ(أحْسَنُ) سيادَة ". وقال (عليه السلام): " الإيثارُ سَجِيَّةُ الأبْرارِ، وَشيمَةُ الأَخيارِ"[٣].

الإمام الصادق (عليه السلام): " ليس البر بالكثرة، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [٤]، ومن عرفه الله بذلك احبه الله"[٥].

٣- إيثار الله تعالى - فإنّ الخوض في الإيثار دعوى في الملك - ثم ترك شهود رؤيتك ايثار الله، ثم غيبتك عن الترك[٦].

ويرى (ابن مسكويه) أنّ الإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصُّه حتى يبذله لمن يستحقه[٧].

٦- الصبر

وهو: احتمال المكاره من غير جزع، أو بتعريف آخر هو: قسر النفس على

---

(١) سورة الإنسان، آية: ٢٢.

(٢) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، ج١، ص١٨.

(٣) الإسلامي: تنظيم العلم في هداية غرر الحكم، ص١٤.

(٤) سورة الحشر، آية: ٩.

(٥) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، ج١، ص١٧.

(٦) الانصاري: منازل السائرين، ص٢٣٤.

(٧) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، تحقيق – ابن الخطيب، ط١، ص٣١.

مقتضيات الشرع والعقل أوامراً ونواهياً، وهو دليل رجاحة العقل، وسعة الأُفق، وسمو الخلق، وعظمة البطولة والجَلَد، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه، وسبب الظفر والنجاح، والدرع الواقي من شماتة الأعداء والحسّاد[١]. قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ﴾[٢].

والصبر منزل من منازل السالكين، ومقام من مقامات الموحدين، وبه ينسلك العبد في سلك المقربين، ويصل إلى جوار ربِّ العالمين. قال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

إن الحياة الدنيوية ممتلئة بالمشكلات والمصائب الّتي تستوعب حياة الإنسان في واقعه الفردي والاجتماعي، ولو أنّه تصدى لهذه المشكلات وواجه هذه المخاطر والتحديات للواقع العملي بصبر ومقاومة ومثابرة فإنّه سوف يتجاوزها وينتصر عليها قطعاً، وإلاّ فإنّه لن يصل إلى مقصوده أبداً، وسيجد نفسه يعيش الخنوع والخضوع للتحديات الصعبة الّتي يفرضها عليه الواقع. والمراد من الصبر هو الاستقامة أمام المشكلات والحوادث المختلفة، المقابلة له هو «الجزع» ويعني افتقاد عنصر المقاومة والاستسلام أمام تحديات الواقع والمشكلات الاجتماعية والنفسية في حركة الحياة على المستوى المادي والمعنوي، فلو أنّ الإنسان لم يقف أمام أهوائه الطاغية ونوازعه النفسية ولم يقاوم الجوانب الدنيوية ولم يسلك في طريق «معرفة الله» وطاعته، فإنّه لن يصل إلى أي مرتبة من مراتب الكمال المعنوي والإنساني[٤].

---

(١) الصدر: أخلاق اهل البيت، ص١٥٠

(٢) سورة النحل: آية: ١٢٧.

(٣) سورة النحل: آية ٩٦.

(٤) الشيرازي: الأخلاق في القرآن، ج٢، ص٤٠٣.

ويرى (الغزالي) أنّ المرء محتاج إلى الصبر في كل حال: فهو يحتاج إليه في السراء، كما يحتاج إليه في الضراء، وبالصبر أن يراعي المرء حقوق الله في ماله بالانفاق، وفي بدنه ببذله المعونة للخلق، وفي لسانه ببذل الصدق. والطاعة تحتاج إلى صبر، لأنّ النفس بطبعها تنفر من العبودية وللصبر على الطاعة ثلاث أحوال: الأولى: قبل الطاعة، وذلك تصحيح النية والإخلاص، والصبر على شوائب الرياء، والعزم على الاخلاص والوفاء.

الثانية: حال العمل، كي لا يفتر قبل الفراغ منه. والثالثة: بعد انتهائه إذ يحتاج إلى الصبر عن افشائه والتظاهر به، والنظر إليه بعين العجب..ويحتاج المرء إلى الصبر عن المعاصي، كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب، والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، والمزاح المؤذي للقلوب. والصبر على اذى الناس فضيلة، وأعظم منه الصبر على أنواع البلاء: كموت الأعزة، وهلاك الأموال، وزوال الصحة[١].

اقسام الصبر

١ - الصبر على الطاعة، أي على المشكلات الّتي تواجه الإنسان في خط التقوى والإيمان وطاعة الله تعالى[٢].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين أصبت بأبي [وأمي] وأخي وأخشى أن أكون قد وجلت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله

(١) مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨، ص١٧٩.
(٢) الشيرازي: الأخلاق في القرآن، ج٢، ص٤٠٤.

والصبر تقدم عليه غداً؛ والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور[١].

٢ - الصبر على المعصية، ويعني الصمود أمام النوازع النفسية والأهواء الشيطانية ومقاومتها والتصدّي لها.

٣ - الصبر على المصيبة، ويعني الصمود أمام المصائب والحوادث المرة الّتي تصيب الإنسان في حركة الحياة وترك الانفعال عند حدوثها والخضوع لتحدياتها وترك الجزع والفزع في عملية مواجهتها[٢].

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٣].

وقال الإمام علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمئة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمئة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش[٤].

عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن

---

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص٩٠.

(٢) الشيرازي: الأخلاق في القرآن، ج٢، ص٤٠٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٧.

(٤) الكليني: الكافي، ج٢، ص٧٩.

صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة باللذات والشهوات[١].

٧- الصدق

وهو مطابقة القول للواقع، وهو أشرف الفضائل النفسية، والمزايا الخلقية، لخصائصه الجليلة، وآثاره المهمة في حياة الفرد والمجتمع. فهو زينة الحديث ورواؤه، ورمز الاستقامة والصلاح، وسبب النجاح والنجاة، لذلك مجدته الشريعة الإسلامية، وحرضت عليه، قرآناً وسنة. والصدق، صدق القول والعمل وهو الابتعاد عن دم الكذب وأن لا يأتي بعمل في الظاهر وهو يبطن خلافه[٢].

قال تعالى: { قَالَ الله يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ } [٣].

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ } [٤].

ويشير الغزالي إلى أنّ للصدق ستة معانٍ: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين. فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق، ومن صدق في شيء فهو صادق فضلاً عمّا فيه صدقه[٥].

أقسام الصدق

١ - الصدق في الأقوال، وهو: الاخبار عن الشيء على حقيقته من غير

(١) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٢) الصدر: أخلاق اهل البيت، ص١٧.

(٣) سورة المائدة: آية: ١١٩.

(٤) سورة التوبة: آية: ١١٩.

(٥) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٥، دار الافاق العربية، تحقيق د. محمد محمد تامر، ط١، ٢٠٠٤، ص٣٨.

تزوير وتمويه[١].

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: زينة الحديث الصدق[٢].

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: من صدق لسانه زكى عمله[٣].

٢- الصدق في الأفعال، وهو: مطابقة القول للفعل، كالبر بالقسم، والوفاء بالعهد والوعد وأداء الأمانة.

عن أبيه الإمام جعفر بن مُحَمَّد (عليهم السلام) قال: أحسن من الصدق قائله، وخير من الخير فاعله[٤].

عن أبي كهمش قال: قلت للإمام أبي عبد الله (عليه السلام): عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام قال: عليك. وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فأقرئه السلام وقل له: إنّ جعفر بن مُحَمَّد يقول لك: انظر ما بلغ به عليّ (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالزمه، فإنّ علياً (عليه السلام) إنّما بلغ ما بلغ (به) عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة[٥].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): لاتنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيئاً قد اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته[٦].

---

(١) الصدر: أخلاق اهل البيت، ص٢٠

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٨، ص٩

(٣) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٠٥.

(٤) المجلسي: بحار الانوار ج٦٨، ص٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٥.

(٦) المصدر نفسه، ص٨

٣- الصدق في العزم، وهو: التصميم على أفعال الخير، فإنّ انجزها كان صادق العزم، وإلاّ كان كاذبه.

عن ابن أبي يعفور، عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم،: ليروا. منكم الاجتهاد والصدق والورع[١].

٤- الصدق في النية، وهو: تطهيرها من شوائب الرياء، والإخلاص بها إلى الله تعالى وحده عن فضيل بن يسار قال: قال الإمام أبو عبد الله (عليه السلام): يا فضيل إنّ الصادق أول من يصدقه الله عزّ وجلّ، يعلم أنّه صادق وتصدقه نفسه تعلم أنّه صادق[٢].

٨- التواضع

هو أن يرى الإنسان نفسه في نفسه من حسن خلقه وجميل عشرته للناس ولا يتعالى على أحد منهم ولا يرى أنّه فوقهم بل يشكر الله على كل نعمة فضل الله بها عليه ويعلم أنّ هذا كله من الله وإن شاء الله سلب تلك النعم منه والتواضع والتذلل والتخاشع من الخصال[٣].

إنّ التواضع الممدوح، وهو المتسم بالقصد والاعتدال الذي لا افراط فيه ولا تفريط، فالاسراف في التواضع داع إلى الخسة والمهانة والتفريط فيه باعث على الكبر والأنانية. وعلى العاقل أن يختار النهج الأوسط. وهذا ما أشار إليه أرسطو والفارابي، والفارابي يقول: "إنّ الآلة التي تقودنا إلى الفعل الجميل إنّها

---

(١) المصدر نفسه، ص٧.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٠٥.

(٣) الهاشمي: ألأخلاق والاداب الإسلامية، ص٢١٩.

آلة "الوسط الأخلاقي" فالأفعال متى كانت متوسطة حصل الخلق الجميل ومتى زالت عن الاعتدال لم يكن عنها خلق جميل[1]، والتواضع هو المبرأ من الخسة والأنانية، وذلك: بإعطاء كل فرد ما يستحقه من الحفاوة والتقدير، بحسب منزلته ومؤهلاته. لذلك لا يحسن التواضع للأنانيين والمتعالين على الناس بزهوهم وصلفهم، إنّ التواضع والحال هذه مدعاة للذل والهوان، وتشجيع لهم على الأنانية والكبر[2].

وإنّ التواضع دليل على كمال النفس وسموها وشرفها، والتواضع لا يزيد العبد إلاّ رفعة وعظمة، وقد حذا الإمام الحسن (عليه السلام) حذو جده وأبيه في أخلاقه الكريمة، وقد أثبت التأريخ بوادر كثيرة تشير إلى سمو الإمام في هذا الخلق الرفيع:

١- اجتاز الإمام على جماعة من الفقراء قد وضعوا على الأرض كسيرات وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلم يا ابن بنت رسول الله إلى الغذاء، فنزل (عليه السلام) وقال: " إنّ الله لا يحب المستكبرين "، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته واطعمهم وكساهم.

٢- ومر (عليه السلام) على صبيان يتناولون الطعام فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك، ثم حملهم إلى منزله فمنحهم بره ومعروفه، وقال: " اليد لهم لأنّهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد ما أعطيناهم"[3].

---

(١) الفارابي: التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق د. جعفر ال ياسين، دار المناهل، بيروت، ١٩٨٥، ص١٣.

(٢) الصدر: أخلاق اهل البيت، ص٣٦.

(٣) لجنة التأليف: أعلام الهداية الإمام الحسن " المجتبى "، ص٣٨-٣٩.

وعن الإمام علي (عليه السلام) التواضع رأس العقل[١].

وعن الإمام أبي مُحَمَّد العسكري (عليهما السلام) قال: " ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين"[٢].

وعن ابن الجهم قال: سألت الإمام الرضا (عليه السلام) فقلت له: فما حد التواضع؟ قال: أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله، قال: قلت: جعلت فداك أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟ فقال: انظر كيف أنا عندك[٣].

٩- التوكل

وهو اعتماد القلب على الله في الأمور كلها وانقطاعه عما سواه فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنّ الحكم في ذلك له ويسلم أنّ ما جاء من الله من الأوامر والنواهي هو خير له ويعمل بها من دون عناد وكره.

ويقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمده فيه، والتوكل تعبير عن اعتماد القلب على الوكيل وحده. وينبغي للمؤمن ان يجعل نفسه بين يدي الله تعالى يفعل بها[٤]. والتوكل منزل من منازل السالكين، ومقام من مقام الموحدين، بل هو أفضل درجات الموقنين[٥].

---

(١) المدرسي، هادي: موسوعة الإمام علي في الأخلاق، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص١٢٩.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٢، ص١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٩.

(٤) الهاشمي: الأخلاق والاداب الإسلامية، ص٥٢١.

(٥) النراقي: جامع السعادات، ج٣، ص٥٧٧.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[3].

عن النّبي (صلى الله عليه وآله) قال: إنّ ربّكم يقول كل يوم: أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ قيل: قالت قريش إنّا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها، وقال علي بن إبراهيم يعني يقولون لك يا محمد اعفنا من عليّ ويخوفونك بأنّهم يلحقون بالكفار ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴾ غالب منيع ﴿ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ ينتقم من أعدائه ﴿ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ﴾ أي أرأيتم بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل هن يكشفنه أو أرادني برحمة أي بنفع ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ فيمسكنها عني؟ ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ في إصابة الخير ودفع الضر ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ لعلمهم أنّ كل شيء منه ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ يتولى التصرف فيه ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي مفاتيحها لا يملك ولا يتمكن من التصرف فيها غيره، وهو كناية عن قدرته وحفظه لها ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ليعصمني من كل سوء ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ﴾[4].

عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: سألته عن

---

(١) سورة المائدة: آية: ٢٣.

(٢) سورة ال عمران: آية: ١٥٩.

(٣) سورة الطلاق: آية: ٣.

(٤) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٨، ص١٢٠

قول الله عزّ وجلّ: " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " فقال: التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضيا تعلم أنه لايألوك خيرا وفضلا، وتعلم أن الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها(١).

عن عبد الله بن جبلة، عن معاوية بن وهب، عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال من أعطي: ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية، ثم قال: أتلوت كتاب الله عزّ وجلّ {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (٢).

وقال: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} (٣).

وقال: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (٤).

درجات التوكل، للتوكل في الضعف والقوة ثلاث درجات:

١ - أن يكون حاله في حق الله والثقة بعنايته وكفالته كحاله بالثقة بالوكيل، وهذه اضعف الدرجات، ويكثر وقوعها ويدوم مدة مديدة، ولا ينافي أصل التدبير والاختيار، بل ربما زاول كثيراً من التدبيرات بسعيه واختياره.

٢ - أن تكون حاله مع الله كحالة الطفل، فإنّه لا يعرف غيرها، ولا يفزع إلاّ إليها، ولا يعتمد إلاّ هي، فيكون التدبير والفزع إلى الله بالدعاء والابتهال، كتدبير

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٨، ص١٢٩.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٤) سورة غافر، آية: ٦٠. ينظر المجلسي: بحار الانوار، ج٦٨، ص١٣٠.

الطفل في التعلق بأمّه فقط.

٣- وهو أعلى الدرجات، ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل، بأن يرى نفسه ميتاً، وتحركه القدرة الأزلية كما يحرك الغاسل الميت(١).

ويرى(الغزالي) أنّ التوكل هو منزل من منازل الدين ومقام من مقام الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من إذ العلم ثم هو شاق من إذ العمل ووجه غموض من إذ الفهم(٢).

ويقول إنّ التوكل من أبواب الإيمان وأبواب الإيمان جميعها لا تنتظم إلاّ بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم وهو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل. فبيان العلم الذي هو الأصل، وهو المسمى إيماناً في أصل اللسان، إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم، وإذا قوى سميناً يقيناً، ولكن أبواب اليقين كثيرة. ونحن نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل، وهو التوحيد الذي يترجمه قولك: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك: له الملك. والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك: وله الحمد. فمن قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، تمّ له الإيمان الذي هو أصل التوكل: أعني أن بصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه(٣).

---

(١) النراقي: جامع السعادات، ج٣، ص٥٨٠.

(٢) الغزالي: أحياء علوم الدين، ج٤، ص٢٣٨.

(٣) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٤، ص٢٤٠

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة على السلوك

تمهيد

تتميز الكائنات الحية - والإنسان منها - بالنمو المستمر. والنمو الذي نقصده: هو النمو الشامل الذي نراه ونلمسه في كل جانب من جوانب حياة الفرد وكيانه جسمياً وعقلياً ووجدانياً واجتماعياً، والذي يتداخل على شكل وحدة متكاملة في أبعادها ومظاهرها ووظائفها التي تتجلى في مواقف سلوكية متميزة، والسلوك وبخاصة عند الإنسان في عوامله ومتغيراته يعتمد حقيقة أساساً هي أنّ الإنسان يختلف عن سواه من الكائنات الحية إذ يتفاعل ضمن البيئة بإدراك ووعي ويحاول توظيف كل امكانياته للسيطرة عليها وتسخيرها لمصلحته. وهذا يعني أنّ الإنسان لا يتقبل مؤثرات البيئة كما هي بل يتقبلها بانتباه وذكاء وتفكير محاولاً أن يحولها بإبداع لما يحبه ويرضاه، ومن خلال هذا التعامل تتغير البيئة فيتكيف الفرد فينمو جسمياً وعقلياً ووجدانياً[١].

وإنّ الاهتمام الأساسي في علم النفس هو دراسة تلك التغييرات التي تحدث للكائن الحي بمظاهرها المختلفة، وهذه التغييرات تعود بجذورها إلى العوامل

(١) الالوسي، جمال حسين: علم النفس العام، ص١٢١.

البيولوجيه، وإلى العوامل الوراثية التي يرثها الفرد عن والديه وأسلافه، كما تعود إلى العوامل البيئية المختلفة التي يتفاعل معها بشكل مستمر منذ بذء التكوين وحتى نهاية الحياة. ولذلك فإنّ ما نلاحظه من تغيير مستمر في نمو الفرد، إنّما تحكمه عوامل خاصة يبولوجية وراثية، وعوامل بيئية، والتي يخضع لتأثيراتها اليومية بشكل مستمر(١).

وكذلك الإسلام يرى أنّ سلوك الإنسان خاضع للتغيير، فحياة الفرد أو حياة الجماعة لم تُشَيّد من قبل، إذ إنّ الإنسان، مع خضوعه للعوامل الجغرافية والبيولوجية والاجتماعية، هو سيّد مصيره، وفي مقدوره تغيير سلوكه متى شاء، بالصمود أمام العوامل المؤثّرة على السلوك(٢).

فيما يأتي العوامل التي تؤثر في سلوك الإنسان:

أولاً - العوامل الوراثية. ثانياً - العوامل البيئية.

أولاً. العوامل الوراثية

يقصد بالوراثة إمكانية ظهور الصفات التي يحملها الأبناء عن الآباء أو الأجداد عن طريق المورثات (الجينات Genes) وذلك عند اتحاد الخليتين الجنسيتين الحيوان المنوي الذكري بالبويضة. وإنّ كل خلية في جسم الرجل أو جسم المراة تحمل في ثناياها (٤٦) من الكروموسوم، في حين أنّ الحيوان المنوي والذي يساوي (١/ ٤٠) من حجم البويضة يحمل فقط (٢٣) من الكروموسوم، والبويضة أيضاً وهي أكبر خلية في جسم المرأة تحمل (٢٣) من الكروموسوم وعند حدوث عملية الإخصاب والتي تتم باتحاد الحيوان المنوي بالبويضة، وتتكون خلية كسائر خلايا

---

(١) الزعبي، احمد محمد: النمو الإنساني في الطفولة والمراهقة، ط١،٢٠٠٧، دمشق، ص٣٣.

(٢) شريعتمداري، علي: التربية والتعليم في الإسلام، ص١٤٦.

جسم الذكر أو الانثى تسمى بـ(الزايجوت) وتحمل (٢٣) زوجا من الكروموسوم كل كروموسوم منها يحمل أكثر من (١٠٠٠) جين وكل جين ينقل صفات وراثية من الاباء والاجداد إلى الابناء[١].

يقول الدكتور الكسيس كارل: " يمتد الإنسان في الزمن مثلما يمتد في الفراغ إلى وراء حدود جسمية... وحدوده الزمنية ليست أكثر دقة ولا ثباتاً من حدوده الاتساعية. فهو مرتبط بالماضي والمستقبل، على الرغم من أنّ ذاته لا تمتد خارج الحاضر... وتاتي فرديتنا كما تعلم إلى الوجود حينما يدخل الحيمن في البويضة. ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة، ومبعثرة في انسجة والدينا وأجدادنا وأسلافنا البعيدين جداً. لأننا مصنوعون من مواد ابائنا وامهاتنا الخلوية. وتتوقف في الماضي على حال عضوية لا تتحلل... وتحمل في داخل أنفسنا قطعاً ضئيلة للإعداد لها من أجسام أسلافنا... وما صفاتنا ونقائضها إلاّ امتداد لنقائضهم وصفاتهم.. "[٢].

والوراثة تحدد كثيراً من مظاهر النمو الجسمية، والعقلية، والانفعالية، والاجتماعية، فلون البشرة، والطول، والقصر، والأعضاء الداخلية، ولون الشعر، وفصيلة الدم، وملامح الوجه، وشكل الجسم، تتحدد بالوراثة بشكل كبير، كما أنّ ذكاء الإنسان، وقدراته الخاصة. تتحكم فيه العوامل الوراثية إلى حد كبير، ولكن الاستعدادات الوراثية تبقى في تفاعل مستمر مع العوامل البيئية وتتاثر بها. فإصابة الأم مثلاً بالحصبة الالمانية أو الحمى القرمزية في الأسابيع الأولى من الحمل، يعرض جنينها، لتشوهات خلقية في القلب والعينين، كما أنّها تحدث التخلف العقلي. كما

(١) زغلول، عماد عبد الرحيم واخرون: مدخل إلى علم النفس، ط٢، ٢٠٠٤، دار الكتاب، العين – الامارات، ص١٤٤

(٢) فلسفي، محمد تقي: الطفل بين التربية والوراثة، ج١، ص٥٨.

أنّ أي خلل في عدد الصبغيات، قد يؤدي إلى تشوهات جسمية، وتخلف عقلي (المنغولية) وإلى شخصية اجرامية. وكما توجد بعض الأمراض أيضاً التي تنتقل عن طريق الوراثة مثل ارتفاع السكر في الدم، وارتفاع ضغط الدم، وتكسر الدم، وضعف البصر، وارتفاع نسبة الدهون في الدم والانيميا، والصرع، والفصام... الخ فإنّها تنتقل بالوراثة إذا وجدت الظروف المناسبة التي تنشطها(١).

وتختلف الصفات الوراثية باختلاف الجنس ذكراً كان أو انثى أي إنّ بعض الصفات الوراثية ترتبط بجنس من دون الآخر. فمن الملاحظ أنّ الصلع مثلاً من الصفات الوراثية المرتبطة بالجنس والتي تظهر فقط في الذكور بعد البلوغ وتتنحى ولاتظهر عند الاناث.

وهدف الوراثة هو المحافظة على الصفات العامة للنوع والسلالة والأجيال. وتهدف الوراثة كما وجد عالم النفس الانكليزي (جالتون) إلى الحياة الوسطى المتزنة أيضاً، أي جعل أكثر النسل وغالبيته يحمل الصفات القريبة من التوسط. فالوالدان اللذان يتصفان بالطول يمكن أن يجيء طفلهما أطول من الطفل العادي ولكنه أقصر من والديه. والوالدان اللذان يتصفان بالقصر يمكن أن يجيء طفلهما أقصر من الطفل العادي ولكنه أطول من والديه(٢).

والإسلام كشف ظاهرة قانون الوراثة قبل ان يكشفها علماء النفس والوراثة ودلل على كثير من اثارها ومميزاتها، وان لها تأثيرات ايجابية في التكوين السليم وانتفائه للإنسان، فهي تؤثر أثراً ذاتياً في الشخص منذ بداية تكوينه(٣).

---

(١) الزعبي، احمد محمد: النمو الإنساني في الطفولة والمراهقة، ص٣٤.

(٢) زهران، حامد عبد السلام: علم نفس النمو، ط٤، ١٩٧٧، القاهرة، ص٣٧.

(٣) القرشي، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام، ص٦٤.

كما في قوله تعالى: { إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[١].

فقد أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: "السعيد من سعد في بطن أُمه، والشقي من شقى في بطن أُمه"[٢].

وقد دلت الروايات على أنّ الإنسان يرث الخصائص والصفات الجسمية من آبائه وأجداده جميعهم، ورد ذلك عن الإمام جعفر بن مُحَمَّد الصادق (عليهما السلام): «أنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم، ثم خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولنّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي»[٣].

وإنّ الإسلام يرى أنّ في سلوك الآباء والأمهات تأثيراً كبيراً على سلوك أبنائهم الذي يرثون صفاتهم الصالحة أو الطالحة، ولذلك نجد القرآن الكريم يحكي على لسان نوح هذه الحقيقة الناصعة إذ يقول بعد أن يئس من هداية قومه طيلة - ٩٠٠عام[٤]. قال تعالى: { وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا }[٥].

وقد رتب الإسلام كثيراً من الأحكام لكي يمنع من حدوث أولاد أشقياء وأجيال فاسدة وناقصة ووضع تعاليم دقيقة وسلك أوضح السبل لإلزام أتباعه

---

(١) سورة ال عمران: آية: ٣٣- ٣٤.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٣، ص٤٤.

(٣) الصدوق، الامالي، ص١٠٣.

(٤) فلسفي، محمد تقي: الطفل بين التربية والوراثة،ج١، ص٦٤.

(٥) سورة نوح: آية: ٢٦- ٢٧.

بالعمل بها، فوضع أصول التربية الإسلامية الدقيقة التي تعدل من سلوك الأفراد، فيمنع ذلك من ظهور الصفات الرذيلة في اعقابهم[١]. وهي:

أولاً - لقد حث الإسلام بإصرار على من يريد الحياة الزوجية أن يتعرف على المرأة فيتبصر في أحوالها، ويبحث عن شؤونها وشؤون أسرتها حذراً من أن يكونوا مصابين ببعض العاهات أو الأمراض النفسية، فتسري إلى ابنائهم[٢]. وقد اهتم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) اهتماماً بالغاً في ذلك، وأولوا هذه الجهة المزيد من العناية. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد اختيار الزوجة من الأُسر التي تحمل الصفات النبيلة، لتأثير الوراثة على تكوين المرأة وعلى تكوين الطفل الذي تلده، وكانت سيرته قائمة على هذا الأساس، فاختار خديجة عليها السلام فأنجبت له أفضل النساء فاطمة عليها السلام، وتبعه في السيرة هذه أهل البيت عليهم السلام فاختاروا زوجاتهم من الأُسر الكريمة وإلى جانب الإنتقاء على أُسس الوراثة، أكدّ الإسلام على إنتقاء الزوجة من المحيط الاجتماعي الصالح الذي أكسبها الصلاح وحسن السلوك، فحذّر من المحيط غير الصالح الذي تعيشه[٣].

قال تعالى: { وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ }[٤].

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): أيّها الناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء. وقال

(١) فلسفي، محمد تقي،الطفل بين التربية والوراثة، ج١، ص٦٧.

(٢) القرشي، نظام التربية في الإسلام، ص٦٥.

(٣) اصدار مركز الرسالة: تربية الطفل في الإسلام، ص٢٧.

(٤) سورة البقرة: آية: ٢٢١.

(صلى الله عليه وآله): اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين[١]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنكحوا الأكفاء وانكحوا فيهم واختاروا لنطفكم[٢].

وعن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) قال: " حُسْنُ الأخْلاقِ بُرْهانُ كَرَمِ الأعْراقِ ". وقال (عليه السلام): " أطْهَرُ النَّاسِ أعْراقاً أحْسَنُهُمْ أخْلاقاً "[٣].

ولصيانة الأُسرة من الانحطاط فقد كره الإسلام الزواج من المرأة الحمقاء، قال أميرالمؤمنين الإمام علي (عليه السلام): " إياكم وتزويج الحمقاء فإنّ صحبتها بلاء وولدها ضياع"[٤]. عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " زوجوا الأحمق ولا تزوجوا الحمقاء فإنّ الأحمق ينجب والحمقاء لاتنجب"[٥].

وكذلك حذر الإسلام الزواج بالمرأة المجنونة لئلا ينتشر في المجتمع المصابون بالشذوذ والعاهات، عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: " سأله بعض أصحابنا عن الرجل المسلم تعجبه المرأة الحسناء أيصلح له أن يتزوجها وهي مجنونة؟ قال: لا ولكن إن كانت عنده أمة مجنونة لا بأس يطأها ولا يطلب ولدها"[٦].

وقد تعاضدت الأخبار عن أئمة الهدى وهي تحث المسلمين على أن تكون رابطتهم الزوجية قائمة قبل حدوثها على أساس الاختبار والفحص حذراً من أن تكون المرأة أو أسرها مصابين ببعض العاهات فيسري ذلك إلى الابناء مما يؤدي إلى

---

(١) الكليني: الكافي، ج٥، ص٣٣٢.
(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٤٨.
(٣) شيخ الإسلامي، سيد حسين: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص١٨١- ١٨٢.
(٤) العاملي: وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٨٤.
(٥) المصدر نفسه، ص٨٤.
(٦) الكليني: الكافي،ج٥، ص٣٥٤.

انتشار المنحرفين في سلوكهم بين أفراد المجتمع.

ولقد توصل العلم الحديث، بعد التجارب العديدة والاحصائيات الدقيقة إلى خطر هذا النوع من الزواج ولذلك اخذ العلماء يحذرون الناس منه: " يجب أن يعلم كل فرد أنّ التزوج من الأسر المصابة بالجنون أو الحمق أو البلادة، أو الادمان على الخمرة يؤدي إلى تحطيم كيان المجتمع، مما يجر معه سلسلة من المعايب والجرائم التي لا تحمد عقباها "[١].

وكذلك أكدّت الروايات على ان يكون التدّين مقياساً لاختيار الزوجة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشجع على ذلك فقد أتاه رجل يستأمره في الزواج فقال (صلى الله عليه وآله): "عليك بذات الدين تربت يداك.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وكّل إلى ذلك وإذا تزوجها لدينها رزقه الله الجمال والمال"[٢].

وكان التدّين صفة ملازمة للزوجة، فإنّ سير الحركة التربوية يتقدّم أشواطاً إلى الأمام، وتكون تربيتها للأطفال منسجمة مع القواعد التي وضعها الإسلام في شؤون التربية، فيكون المنهج التربوي المتبع متفقاً عليه من الزوجين، لا تناقض فيه ولا تضاد، وتكون الزوجة حريصة على نجاح العملية التربوية وتعتبرها تكليفاً شرعياً قبل كل شيء، هذا التكليف يجنبها عن أي ممارسة سلبية مؤثرة على النمو العاطفي والنفسي للأطفال[٣].

ثانياً - اكد الإسلام المرأة أن تتعرف على حال الرجل الذي تريد أن يكون

---

(١) فلسفي، محمد تقي: الطفل بين التربية والوراثة، ج١، ص٦٩.

(٢) الكليني: الكافي،ج٥، ص٣٣٢.

(٣) اصدار مركز الرسالة: تربية الطفل في الإسلام، ص٣٠

شريكاً لها في حياتها حذراً من أن يكون من ذوي العاهات أو مصاباً في سلوكه، وتقع مسؤولية الفحص على ولي أمرها[١].

قال تعالى: { وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ }[٢].

فنهى أهل البيت (عليهم السلام) عن تزويج غير المتدّين والمنحرف في سلوكه عن المنهج الإسلامي في الحياة، لتحصين العائلة والأطفال من الإنحراف السلوكي والنفسي.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): " لا تتزوجوا المرأة المستعلنة بالزّنا، ولا تزوجوا الرجل المستعلن بالزنا إلاّ أن تعرفوا منهما التوبة "[٣].

وحذّر الإمام الصادق (عليه السلام) من تزويج الرجل المريض نفسياً فقال: " تزوجوا في الشكاك ولا تزوّجوهم، لأن المرأة تأخذ من أدب زوجها ويقهرها على دينه"[٤].

وجعل الإسلام التدّين مقياساً في اختيار الزوج عن عليّ (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، قلت: يا رسول الله، وإن كان دنيا في نسبه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير[٥]..

---

(١) القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص٦٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢١.

(٣) الطبرسي: مكارم الأخلاق، ص٢٦٤.

(٤) الكليني: الكافي، ج٥، ص٣٤٨.

(٥) العاملي: وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٧٨.

فالمنحرف يؤثر سلبياً على سلامة الأطفال السلوكية، لانعكاس سلوكه عليهم وانتفاء حرصه على تربيتهم، فضلاً عن المشكلات التي يخلقها مع الزوجة التي تساعد على اشاعة الاضطراب والقلق النفسي في أجواء العائلة، وجعل الحياة العائلية بعيدة عن الاطمئنان والاستقرار والهدوء الذي يحتاج إليه الأطفال في نموّهم الجسدي والنفسي والروحي. وقد كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أهل البيت عليهم السلام قائمة على أساس اختيار الأكفاء لأبنائهم وبناتهم، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزوّج فاطمة لكبار الصحابة، وكان جوابه لهم أنّه ينتظر بها نزول القضاء ثم زوجها بأمر من الله تعالى إلى عليّ بن أبي طالب عليهما السلام[١].

عن جابر بن عبد الله قال: لما زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة من علي (عليهما السلام) أتاه أُناس فقالوا له: إنّك قد زوجت علياً بمهر خسيس! فقال: ما أنا زوّجته، ولكن الله زوّجه[٢].

ثالثا - نظرا لاهتمام الإسلام بالوراثة، فقد جعل لكل من الزوجين الخيار في فسخ عقد الزواج فيما إذا ظهر احدهما مصابا بشذوذ فكري أو لعاهة جسمية من العيوب، فإنّ للطرف الآخر الحق في فسخ العقد، والتخلي عنه. عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "إنّما يرد النكاح من البرص والجذام والجنون والعفل"[٣]. وهو شامل لكل من الزوجين.

وإنّما جعل الإسلام الخيار في فسخ العقد من أحد هذه الأمراض صيانة

---

(١) اصدار مركز الرسالة: تربية الطفل في الإسلام، ص٣١.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج٢٠،ص٩٢.

(٣) الكليني: الكافي، ج٥، ص٤٠٩.

للمجتمع الإسلامي من أن تنشأ فيه ناشئة ملوثة بهذه الأمراض المؤدية إلى تأخر المسلمين وضعف كيانهم الاجتماعي. كما ان القواعد الفقهية تقر الوسائل الحديثة التي أوصت بها منظمات الصحة العالمية من فحص دم الرجل والمراة قبل اقترانهما حذراً من أن يكون مصاباً ببعض الأمراض الجنسية، كالسيلان الذي يسبب في كثير الاحيان عمى الطفل حين ولادته، أو السفلس وغيرهما من الأمراض الزهرية الناشئة من الفوضى الجنسية، فإنّ كوارثها تنتقل بالوراثة إلى الابناء فتسبب إصابتهم بالأمراض البدنية والعقلية المختلفة كما تؤدي في الوقت نفسه إلى إصابة الطرف الآخر وشقائه ومعاناته لأهم المشكلات النفسية، وحرمانه من الحياة السعيدة(١).

وإنّ القاعدة العامة من الوراثة تقتضي أن ينجب الآباء المؤمنون والأمهات العفيفات أولاداً طيبين، فهؤلاء يمكن أن يحرزوا السعادة في أرحام أمهاتهم فلا توجد في سلوكهم عوامل الإنحراف الموروثة، إلاّ أنّنا نستطيع الحكم على هؤلاء بأن ينموا وينشأوا ويعيشوا إلى الأبد كذلك إذا قد يصادفون بيئة فاسدة تعمل على انحرافهم وتغيير سلوكهم وسجاياهم الموروثة وقلبها عقباً على رأس(٢).

ثانياً. العوامل البيئية

تمثل البيئة العوامل الخارجية المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية كلها التي تؤثر في الفرد منذ تمام عملية الاخصاب وتحديد العوامل الوراثية ولحين نهاية حياته إذ إنّها المسؤولة عن تشكيل شخصية الفرد النامي إلى أنماطه السلوكية في الحياة. فبعد أن تؤثر على الفرد وهو جنين في بطن أمه تتلقفه بعد ولادته فتشكل

---

(١) القرشي، محمد باقر: النظام التربوي في الإسلام، ص٧٠

(٢) فلسفي: محمد تقي: الطفل بين التربية والوراثة، ج١، ص٧٢.

منه شخصية اجتماعية متميزة نتيجة تفاعله الاجتماعي مع غيره من الناس من خلال ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية[١].

وكذلك كان للإسلام الدور البالغ لاهتمامه بالبيئة، لأنّها من العناصر الفاعلة في التكوين التربوي والاجتماعي، فإذا صلحت مدت الأمة بخيرة الرجال وأكثرهم كفاءة وإنطلاقاً في ميادين الخير والاصلاح، وإذا فسدت منيت الأمة بالاشرار والفجار الذين يحملون عقداً نفسية على المجتمع بأسره[٢]. فتتعدد البيئات وتشمل ما يأتي:

١- البيئة الداخلية

وهي البيئة التي يعيشها الفرد وهو في رحم أمه، ويتأثر الجنين بكثير من سلوكيات المرأة الحياتية في أثناء الحمل، إذ أشارت نتائج الدراسات العديدة إلى أنّ نمو الجنين يتأثر بالخبرات الانفعالية والصحية والعصبية جميعها التي تمر بها الأُم في أثناء الحمل. فالأُمهات اللواتي يعانين من نقص وسوء التغذية عادة ما يلدن أطفالاً من ذوي الأوزان المنخفضة والأكثر تعرضاً للإصابة بالأمراض. كما أنّ تعاطي الأم للمخدرات والتدخين والكحول ربما يؤدي إلى ولادة مواليد يعانون من مشكلات في التكيف أو يولدوا مشوهين. أما التعرض للضغوط النفسية أو الانفعالية فربما يؤدي إلى ولادة مواليد كثيرة الحركة ويمتازون بالعصبية وسوء التوافق[٣].

ومن أجل سلامة الجنين الجسدية والنفسية وضع الإسلام برنامجاً سهلاً يسيراً

---

(١) السامرائي، هاشم جاسم: المدخل في علم النفس، بغداد، ١٩٨٨، ص٥٠.

(٢) القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص١٣٨- ١٣٩.

(٣) زغلول، عماد عبد الرحيم: مبادئ علم النفس التربوي، دار المسيرة، ط٢، ٢٠١٠، عمان – الأردن، ص٨٤.

لا كلفة فيه ولا عسر ولا شدّة.

فقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنع الزوجة في أُسبوعها الأول من (الألبان والخلّ والكزبرة والتفاح الحامض)، لتأثير هذه المواد على تأخر الإنجاب واضطرابه وعسر الولادة، والإصابة ببعض الأمراض. التي تؤثر سلبياً على الحمل وعلى الوليد[١].

كما حذّر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) من المباشرة في أوقات معينة، وهذا التحذير لا يصل مرتبة الحرمة، ولكن فيه كراهة؛ لانعكاساته السلبية على سلامة الجنين وصحته الجسدية والنفسية، ومن هذه الأوقات: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن مغيب الشمس إلى مغيب الشفق، وبعد الظهر مباشرة، وفي أول الشهر ووسطه وآخره، وفي الأوقات التي ينخسف فيها القمر، وتنكسف فيها الشمس، وفي أوقات الريح السوداء والحمراء والصفراء، والأوقات التي تحدث فيها الزلازل، وشجع صلى الله عليه وآله وسلم على غير هذه الاوقات، فبعض الأوقات لها تأثير على الجانب العاطفي للطفل وخصوصاً الاوقات المخيفة، فينشأ الطفل مضطرباً هيّاباً متردداً، والأوقات الأُخر قد تؤدي إلى إصابة الطفل بالجذم والحمق والجنون[٢].

- وكما أنّ لغذاء الأم الحامل أهمية كبرى الذي يعتبر من العوامل المؤثرة على الجنين، إذ إنّ نقص غذاء الأُم في كمه أو نوعه في أثناء الحمل يبدو في صحة الجنين في المستقبل جسمياً أو عقلياً. ومن الأدلة على هذا التوقع ما جاءت الاحصاءات العالمية التي بينت حالات الضعف العقلي تنتشر في الدول الفقيرة التي

(١) الطبرسي: مكارم الأخلاق، ص٢٧١.

(٢) الطبرسي: مكارم الأخلاق، ٢٧١.

لا يستطيع الناس فيها من الحصول على الغذاء الكامل.

إنّ نقص غذاء الأُم الحامل يهي لإصابتها ببعض الأمراض لأنّ الجنين يأخذ منها بعض المواد كاليود والكلس. ولذلك فإنّ الاطباء ينصحون بتحسين غذاء الأم وتنويعه(١).

لذا أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) بالاهتمام بغذاء الحامل، وخصوصاً الغذاء الذي له تأثير على الصفات النفسية والروحية للجنين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " كلوا السفرجل وتهادوا بينكم، فإنّه يجلو البصر وينبت المودّة في القلب، وأطعموه حبالاكم فإنَّهُ يحسّن أولادكم " وفي رواية " يحسن أخلاق اولادكم "(٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " اطعموا نساءكم الحوامل اللبان، فإنَّهُ يزيد في عقل الصبي "(٣).

وقال الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام): " أطعموا حبالاكم اللبان، فإنّ يكن في بطنهنَّ غلام خرج ذكي القلب عالماً شجاعاً، وان يكن جارية حسن خَلقها وخُلقها وعظمت عجيزتها وحظيت عند زوجها "(٤).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر، فإنّ ولدها يكون حليماً نقياً "(٥).

---

(١) الالوسي: علم النفس العام، ص١٥٦.

(٢) الطبرسي: مكارم الأخلاق، ص٢٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢١.

(٤) المصدر نفسه: ص٢٤٩.

(٥) المصدر نفسه: ص٢٤٩.

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ما تأكل الحامل من شيء ولا تتداوى به أفضل من الرطب: قال الله عزّ وجلّ لمريم عليها السلام " وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عيناً"[١].

٢- البيئة الخارجية

بعد انفصال الطفل عن أُمه في أثناء الولادة، فإنّه يقوم بتفعيل أجهزته الداخلية والخارجية، ويعيش في وسط قد يؤثر على سلوكه من الجوانب جميعها، فالترتيب الميلادي للطفل والمستوى الاقتصادي للأسرة والمستوى الثقافي لها وكذلك مجموع الخبرات التي يمر بها الطفل خلال طفولته ومراحل عمره الاخرى، وأساليب التنشئة الأسرية التي يتعرض لها والتنشئة المدرسية والاجتماعية... وما يتعرض له من وسائل إعلام مختلفة، وطريقة تغذيته وحاله الصحية، وغيرها.. هذه العوامل كلها تؤثر بالتالي على سلوك الإنسان[٢]. ومن هذه المؤثرات هي:

١- البيئة الاسرية

وهي البيئة التي تأخذ دوراً أساساً في توافر الشروط الأفضل لسلوك الطفل بعد الولادة، إذ تشبع فيها حاجات الطفل ومطالب نموه البيولوجية والنفسية والاجتماعية، فيها تعلم الطفل المشي والكلام وتناول الأطعمة والاخراج والتمييز بين الخطأ والصواب، وتطور الضمير، والمهارات الحركية واللعب وتطوير كثير من الاتجاهات، وتوفير الخبرات الحسية المبكرة والمتنوعة التي تؤدي عملاً مهماً في السلوك بجوانبه المختلفة[٣]. فللأسرة دور كبير في غرس القيم والمعتقدات التي

(١) سورة مريم، آية: ٢٥. ينظر المجلسي: بحار الانوار، ج٦٣، ص١٢٨.
(٢) زغلول، عماد عبد الرحيم واخرون: مدخل إلى علم النفس، ص١٥١.
(٣) ابو جادو، صالح محمد علي، علم النفس التربوي، دار المسيرة، ط٧، ٢٠٠٩، الأردن، ص٧١.

يقرها المجتمع وتشكل الضمير الأخلاقي في نفوس أبنائها كالآتي: هو تعويد الأطفال من صغرهم على الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإيثار، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، ومحبة الآخرين - تطهير ألسنتهم من السباب والشتائم والكلمات النابية - إبعادهم عن رذائل الأفعال كالسرقة والميوعة والإنحلال والإنحراف - ترفعهم عن الأمور الدنيئة والمشينة، وعن كل ما يحط من المروءة والكرامة - تقوية شخصية الطفل من خلال إشاعة جو مناسب لتنمية مواهبه وصقلها - تنمية الجرأة والصراحة والشجاعة في حدود الأدب والنظام[1].

ومن وصايا أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): "فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله ولُزُومِ أَمْرِهِ وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ الله إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ أَحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ وأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وقَوِّهِ بِاليَقِينِ ونَوِّرْهُ بِالحِكْمَةِ وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ وقَرِّرْهُ بِالفَنَاءِ وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ واعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ وحَلُّوا دِيَارَ الغُرْبَةِ وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ ودَعِ القَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ والخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ وأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ وأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وأَنْكِرِ المُنْكَرَ بِيَدِكَ ولِسَانِكَ وبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ وجَاهِدْ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ ولاَ تَأْخُذْكَ فِي الله لَوْمَةُ لاَئِمٍ وخُضِ

(١) سلوم، طاهر عبد الكريم، ود. محمد جهاد مل: التربية ألأخلاقية القيم مناهجها وطرائق تدريسها، دار الكتاب الجامعي، ط١، ص١٨٩.

الغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ إذ كَانَ وتَفَقَّهْ فِي اَلدِّينِ وعَوِّدْ نَفْسَكَ اَلتَّصبُّرَ عَلَى المَكْرُوهِ ونِعْمَ الخُلُقُ اَلتَّصَبُّرُ فِي الحَقِّ والجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا إلى إلَهِكَ فَإنَّكَ تُلْجِئُهَا إلى كَهْفٍ حَرِيزٍ ومَانِعٍ عَزِيزٍ وأَخْلِصْ فِي المَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإنَّ بِيَدِهِ العَطَاءَ والحِرْمَانَ وأَكْثِرِاَلاِسْتِخَارَةَ وتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ولاَ تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً فَإنَّ خَيْرَ القَوْلِ مَا نَفَعَ واِعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ولاَ يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ "[١].

وكذلك من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لأبنه الحسين (عليه السلام):

يا بني " من نظر في عيوب الناس ورضي لنفسه بها فذاك الأحمق بعينه، ومن تفكّر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سَلِم، ومن ترك الشهوات كان حرّاً، ومن ترك الحسد كانت له المحبّة عند الناس"[٢].

ويشير (ابن سينا) إلى أنّ العلاقة بين الوالدين والطفل هي علاقة تأثير وتأثر، وكما أنّ الوالدين يسهمان في تعليم الطفل الشيء الكثير، فإنّهما في الوقت نفسه يتعلمان أموراً عديدة من خلال التعامل معه وملاحظة ما يصدر عنه من أقوال وأفعال. ومن هنا يحسن بالوالدين التعرف على القدرات الحقيقية للطفل كي لا يضعا له من مستويات الطموح ما لا يتفق وقدراته. فالوالدان يعلمان الطفل الثقة بالنفس أو الشك فيها، الاقبال على الحياة أو النفور منها، ومن الممارسات التي هي ثمار طيبة وتعمل على نمو شخصية الأبناء نمواً سليماً: مدح الأطفال عندما يصيبون وتنمية حب الاستطلاع عندهم، وقضاء فترة كافية معهم، وهذا يتطلب من الوالدين التحلي بالعديد من الصفات مثل الصبر والقدرة على إدراك ما قد يواجههم، ومعرفة الحقائق المتصلة بالسلوك خاصة في مرحلة الطفولة. فيرى (ابن

---

(١) الإمام علي: نهج البلاغة، ج٣، ص٣٠٢.

(٢) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي: تحف العقول، بيروت، ١٩٦٥، ص٦٤.

سينا): أنّ الوالدين هما أول من يتفاعل معهما الطفل بصورة تكاد تكون مستمرة فهما يقدمان للطفل نماذج حية عن الحياة الإنسانية، ولذا فإنّ سلوك الوالدين يعدُّ أحد العوامل الرئيسة المؤثرة في حياة الطفل(١).

وأقام الإسلام نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع حاجات الناس وسلوكهم، وإنّ الإسلام يسعى إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة وطيبة تتوفر فيها عناصر القيادة الرشيدة. قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين:

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا }(٢).

وخير مثال على ذلك كانت أُسرة الإمام الصادق (عليه السلام)، هي أجل وأسمى أسرة في دنيا العرب والإسلام، فإنّها تلك الأسرة التي أنجبت خاتم النبيين وسيد المرسلين رسول الله مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله)، وأنجبت عظماء الأئمة وأعلام العلماء أيضاً، وهي على امتداد التأريخ لاتزال مهوى أفئدة المسلمين، ومهبط الوحي والإلهام. ومن هذه الأسرة التي أغناها الله بفضله، والقائمة في قلوب المسلمين وعواطفهم تفرع عملاق هذه الأمة، ومؤسس نهضتها الفكرية والعلمية الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وقد ورث من عظماء أسرته جميع خصالهم العظيمة فكان ملء فم الدنيا في صفاته وكمالاته. والذي تربى على يد والده الكريم هو الإمام مُحَمَّد بن علي الباقر والذي كان سيد الناس لا في عصره فحسب وإنّما في العصور جميعها على امتداد التأريخ علماً وفضلاً وتقوى، ولقد فجر هذا الإمام العظيم ينابيع العلم والحكمة في الأرض، مشاركة إيجابية في تطوير

(١) عبد اللطيف، محمود: الفكر التربوي عند ابن سينا، دمشق، ٢٠٠٩، ص١٠٤- ١٠٥.

(٢) سورة الفرقان: آية: ٧٤.

العقل البشري، وذلك بما نشره من العلوم المختلفة. ولقد ازهرت الدنيا بهذا المولود العظيم الذي تفرع من شجرة النبوة ودوحة الإمامة ومعدن الحكمة والعلم، ومن أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وأُمّه الزكية هي السيدة المهذبة والزكية (أم فروة) بنت الفقيه القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر وكانت من سيدات النساء عفة وشرفاً وفضلاً، فقد تربت في بيت أبيها وهو من الفضلاء اللامعين في عصره، كما تلقت الفقه والمعارف الإسلامية من زوجها الإمام الباقر (عليه السلام)، وكانت على جانب كبير من الفضل، حتى أصبحت مرجعاً للسيدات من نساء بلدها وغيره في مهمّات أمورهن الدينية وحسبها فخراً وشرفاً إنّها صارت أُماً لأعظم إمام من أئمة المسلمين، وكانت تعامل في بيتها باجلال واحترام من زوجها، وباقي أفراد العائلة النبوية[١].

٢- البيئة المدرسة

حيث تسهم المدرسة في سلوك الطالب بفاعلية بما توفره للطلاب من معارف وطرائق في التفكير وحل المشكلات، وبناء العلاقات الاجتماعية، وتوفير الامن والتقبل، واكتساب المهارات الحركية المعقدة، وتعلم الادوار، واتقان القراءة والكتابة، واكتساب القيم والضبط الأخلاقي وتحقيق الشخصية المستقلة. إنّ البيئة المدرسية الصحيحة هي التي توفر لتلاميذها المثيرات المطلوبة والخبرات الملائمة في جو تسوده العلاقات الإنسانية، القائمة على التفاهم المتبادل، والجو المدرسي. الذي يتصف بالتشويق والاستثارة والحوار[٢].

فالمناخ المدرسي يعد عاملاً مهماً جداً لنموه نمواً سليماً أو غير سليم.

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الصادق عليه السلام)، ط٣، قم المقدسة، ص٣٧- ٣٨.

(٢) ابو جادو: علم النفس التربوي، ص٧٢.

فالمدرسة التي تشجع عند التلاميذ روح التنافس، والتعاون، والتسامح، والعدالة، والأخلاق الفاضلة، فإنّها تؤثر تاثرا ايجابيا في نموه الاجتماعي والخلقي والنفسي والديني. ولذلك يعد اسلوب تعامل المعلم مع تلاميذه داخل الفصل، ونظام المدرسه، وتعامل التلاميذ مع بعضهم ذوات أثر كبير في نموهم وفي شخصيتهم وأساليبهم السلوكية[١].

ومن رسالة (الغزالي) لتلميذه يقول: فأعلم أنّه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب، ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته، ويجعل مكانها خلقاً حسناً، ويرشده إلى سبيل الله تعالى لأنّ الله أرسل للعباد رسولاً للأرشاد إلى سبيله[٢].

إذ أن أهم وظائف المدرسة تحقيق النمو الشامل المتكامل لشخصية المتعلم المعرفية والمهارية والوجدانية والاجتماعية الخلقية؛ وتشمل عملية النمو الخلقي والوجداني السلوك الظاهري والعميق المتمثل في ضمير التلاميذ، وتنمية قيم مثل الصدق وألامانة، والاحترام المتبادل، وتشترك بذلك وتتكامل في صياغة القيم الخلقية وتنميتها مع المؤسسات كافة بدءاً من الأسرة وانتهاء بمؤسسات الدولة كافة. ولعل من أهم وظائف المدرسة هو إعداد المتعلم للحياة والعيش السليم في مجتمعه، وتأهيل الأفراد لحياة مناسبة لهم ولقدراتهم ولمجتمعهم، الأمر الذي جعل وظيفتها أكثر من التعليم، إذ تتجه إلى اكساب المتعلم المعارف والمهارات والخبرات اللازمة له بأسلوب تربوي، متمثل بالسلوك الأخلاقي الأفضل في المجتمع[٣].

---

(١) الزعبي: النمو الإنساني في الطفولة والمراهقة، ص٣٦.

(٢) الغزالي: آيةا الولد، ص١٢٨.

(٣) سلوم، طاهر عبد الكريم، ود. محمد جهاد مل: التربية ألأخلاقية القيم مناهجها وطرائق تدريسها، ص١٨٠.

كذلك مما جعل(الغزالي) على المتعلم واجبات وهي: أن يطهر المتعلم نفسه من الرذائل. فالعلم عبادة ولا يصح الأخذ بالعلم إلاّ بعد طهارة النفس والقلب، أن يقلل من علائقه بالدنيا وشؤونها، أن يكون قصده من العلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضائل، ألاّ يتكبر على العلم ولا يتآمر على المعلم بل يتواضع له ويطيعه، ألاّ يخوض في علم من العلوم دفعة واحدة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم، ألاّ يخوض في علم حتى يستوفي العلم الذي قبله، فإنّ العلوم مرتبة ترتيباً منطقياً وبعضها طريق إلى بعض[١].

والمدرسة في نظر (جون ديوي) هي الحياة وليست الاعداد للحياة وهدفها الرئيس تدريب التلاميذ على الحياة التعاونية ذات النفع المتبادل والمدرسة ومن خلال مسؤوليتها تسهم في اصلاح المجتمع[٢].

٣- البيئة الاجتماعية

تشمل البيئة الاجتماعية البيئات الكائنة خارج نطاق الأسرة والمدرسة كالحارة والأقارب والجمعيات والنوادي ودور العبادة وغيرها. فمثل هذه البيئات قد تعمل سلباً أو إيجاباً في السلوك عند الأفراد. فالتعامل مع البيئات الصحية يساعد الفرد على التزود بالعادات والقيم وأساليب الحياة السليمة، في حين أنّ التعامل مع البيئات غير الصحية كرفاق السوء مثلاً، يؤثر سلباً في شخصية سلوك الفرد[٣].

كما يؤكد (ابن سينا) ضرورة النظر إلى أقران الصبي، إذ إنّه كثيرٌ ما يتعلم منهم، لذلك فهو يرى ان يحاط الصبي مع من هم حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم

---

(١) خضر، فخري رشيد: تطور الفكر التربوي، ص١٦٦.

(٢) مرسي، محمد منير: تاريخ التربية في الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٩٨- ٣٩٩.

(٣) زغلول: مبادئ علم النفس التربوي، ص٨٥

كما قال: "لأنّ الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه أخذ وبه أنس"(١).

فإنّ جماعات الأقران تقوم بدور مهم في تربية الأفراد الخلقية؛ولعل شكل جماعة الأقران يحدد نوعية ودرجة التأثير في النمو الاجتماعي لأفراد الجماعة؛ إذ يزداد أثر الجماعة مع تعقد تنظيم الجماعة، كما يزداد التأثير عند الأطفال أكثر من البالغين، ويكتسب أعضاء الجماعة قيم وعادات واتجاهات الجماعة إيجابية كانت أو سلبية. ويشير بعض التربويين إلى الدور الأخلاقي الايجابي فقط لجماعة الاقران والمتمثل في: تعديل السلوك المنحرف عند أعضاء الجماعة، واتاحة الفرصة لتحمل المسؤولية الاجتماعية والتبعية الأخلاقية، وتقديم المثل الأعلى أو الأنموذج المثالي والمعايير الاجتماعية والفرص الجيدة للتقليد من خلال رأي الجماعة. في حين يحذر آخرون من آثار سلبية يمكن أن تلحقها جماعة الاقران في قيم أفراد الجماعة واتجاهاتهم وسلوكهم، خاصة في جماعات العصابات المنحرفة في بعض سلوكات أفراد، فيتطلب من الأسرة مراقبة نشاطات جماعة الأقران التي ينتمي أبناؤها إليها، وكذلك المدرسة أن تلاحظ نشاطات جماعة الأقران ورصد سلوكهم، والعمل عل تدارك الثغرات في مناهج التربية الأخلاقية(٢).

كما إنّ أهل البيت (عليهم السلام) قد عنوا بصورة بالغة في امر البيئة الخاصة، فلاحظ أهم جوانبها المؤثرة في انفعال الفرد واكسابه العادات والأخلاق، وهي " الصداقة "، فإنّها من اقوى العوامل المؤثرة على السلوك التي تنقل خلق كل واحد واتجاهاته وميوله إلى الآخر ولذلك حث أهل البيت (عليهم السلام)

---

(١) عبد اللطيف: الفكر التربوي عند ابن سينا، ص١٠٨.

(٢) سلوم، طاهر عبد الكريم، ود. محمد جهاد مل: التربية الأخلاقية القيم مناهجها وطرائق تدريسها، ص٢٠٨.

بإصرار بالغ على الاتصال بالاخيار والمتحرجين في دينهم، ومصاحبة ذوي الشرف والنبل والاستقامة، حتى يكتسب منهم حسن السلوك ومكارم الأخلاق ومحاسن الاعمال. فللصداقة أثر بارز في حياة الإنسان وسلوكه وأخلاقه فهو مرآته التي ينظر بها وبه يعرف وكما قيل: عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه، فكل قرين بالمقارن يقتدي.

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم، ولا تصحب الاردى فترى مع الردي[(١)].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "المرء على دين خليله وقرينه"[(٢)].

قال أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام): "جمع خير الدنيا والآخرة في كتمان السر ومصادقة الأخيار"[(٣)]، وقال الإمام علي (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): " يابني، إياك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة البخيل، فإنَّهُ يعقد عنك أحوج ما تكون اليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنَّهُ يبيعك بالتافه، وإياك ومصادقة الكذاب، فإنَّهُ كالسراب يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب"[(٤)].

٤- البيئة الطبيعية

ويقصد بها البيئة المادية بما تتضمنه من الموجودات المحسوسة التي يتفاعل معها الأفراد. إنّ مثل هذه البيئة ربما تؤثر سلباً أو إيجابياً في السلوك، فالبيئة التي تمتاز بكثرة وتنوع مثيراتها وتخلو من عوامل التلويث تعمل على نحو إيجابي في

---

(١) القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص١٣٩.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٤٢.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٧١، ص١٧٨.

(٤) الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٤٢.

سلوك الأفراد، في حين أنّ البيئات الفقيرة بالمثيرات البيئية أو تلك التي تمتاز بالتلوث تسهم سلبا في سلوك الافراد. ويحتل المناخ السائد أيضاً دوراً بارزاً في سلوك الإنسان، إذ إنّ الأفراد الذين يعيشون في المناطق الباردة يعانون بطئاً في النمو وضالة الجسم وتقلباً في المزاج وتذبذب الاستقرار الانفعالي، أما أولئك الذين يعيشون في المناطق الاستوائية فإنّهم يعانون من التسارع في النمو[(١)].

وكان من أوائل من انتبه إلى تأثير البيئة الطبيعية على سلوك الإنسان وشخصية الإنسان عامة (اخوان الصفا وخلان الوفاء). فقد عقدوا في رسائلهم فصلاً بعنوان " فصل في تأثير طبيعة البلدان في الأخلاق " قالو فيه: " واعلم يا أخي أنّ تراب البلاد والمدن والقرى تختلف، وأهويتها تتغييرمن جهات عدة فمنها كونها في ناحية الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب، أو على رؤوس الجبال أو في بطون الأودية والأغوار أو على سواحل البحار أو شطوط الأنهار أو في البراري والقفاز أو في الأجام والدحال، والأرض ذات الرملة والأرضيين السباخ السهلة، أو في البقاع الصخرية والحجارة والحصا والرمال، أو في الارضيين السهلة والتربة اللينة بين الأنهار والأشجار والزروع والبساتين والزهر والنور أيضاً فإنّ أهوية البلاد والبقاع تختلف بحسب اختلاف تصاريف الرياح... وهذه كلها تؤدي إلى اختلاف أمزجة الاخلاط، واختلاف امزجة الاخلاط يؤدي إلى اختلاف أخلاق اهلها وطباعهم والوانهم ولغتهم وعاداتهم وآرائهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وتدابيرهم وسياستهم، لا يشبه بعضهم بعضا بل تنفرد كل امة منها باشياء من هذه التي تقدم ذكرها لا يشاركها فيها غيره "[(٢)].

---

(١) زغلول: مبادئ علم النفس التربوي، ص٨٥.

(٢) عبد العال، حسن إبراهيم: مقدمة في فلسفة التربية، دار عالم الكتب، ١٩٨٥، ص٢٩٢.

٥- الغذاء

تأخذ التغذية دورا مهماً في عملية النمو إذ إنّها تؤدي إلى أحداث تغييرات كيمياوية داخل الجسم ينتج عنها تكون بنيته واصلاح خلايا الجسم التالفة واعادة بنائها إذ تتلف بسبب نشاط الفرد وحركته. وعملية التغذية تساعد الفرد بشكل كبير في اداء وظيفته في الحياة. فالغذاء الرديء قد يؤدي إلى حالات جسمية مضطربة تصبح مصدر ازعاج للفرد بسبب مواقف الآخرين منه أو نظرته إلى نفسه الأمر الذي قد ينتهي به إلى حالة من الشعور بالنقص. ان حال الفرد النفسية تتاثر إلى حد كبير بنوع الطعام الذي يتناوله بكثرة فالاكثار من اللحوم والدهنيات يؤدي إلى ظهور هيجان انفعالي وتوتر عصبي في سلوك الفرد[١].

وقد أشار (ابن خلدون) إلى أثر الغذاء من إذ نقصه ووفرته في البيئات المختلفة. إذ ان الأفراد في البيئة التي تعاني من نقص الغذاء سيحصلون على صفات وخصائص جسمية وعقلية وخلقية تختلف عن صفات الأفراد وخصائصهم الذين يعيشون في بيئات تتوفر فيها امكانيات الغذاء. فعقد ابن خلدون في مقدمة أسماها " المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الأثار في أبدان البشر وأخلاقهم " وقال في تأثير خصب البيئة وجدبها في السلوك الإنساني:

"ونجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفاز أحسن حالاً في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش، فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد من الإنحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات وهذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم... والسبب

(١) السامرائي: المدخل في علم النفس، ص٤٧.

في ذلك والله أعلم أنّ كثرة الأغذية ورطوبتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد اقطارها في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة، ويتبع ذلك انكساف الألوان وقبح الأشكال من كثرة اللحم وتغطي الرطوبات على الأذهان والأفكار بما يصعد إلى الدماغ من أبخرتها الرديئة فتجيء البلادة والغفلة والإنحراف عن الاعتدال بالجملة"[١].

٦- التعلم

التعلم هو عملية بيئية مكتسبة. والذي له أثر في تغيير السلوك نتيجة الخبرة والممارسة. والتعلم يعني عند بعض الناس النشاط الذي يحصل في المحيط التعليمي والدراسي في المدرسة وغيرها من المؤسسات التي تقوم بعمل مشابه لها. وما ينتج عن هذا النشاط من آثار على سلوك المتعلمين. ولكن التعليم بمعناه العام يشمل كل ما يتعلمه الكائن الحي - الإنساني والحيواني - في بيئته التي يعيش فيها، من أفكار ومعلومات واتجاهات وميول وعادات وانشطة حركية وغير حركية. ولا يشترط فيه ان يكون تعلما مقصوداً فقط، بل يشمل ما هو مقصود وماهو غير مقصود. والتعلم يمتد إلى كل ما يحصل من تغير في سلوك الفرد وشخصيته جسميا وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً[٢].

ويعرف عالم النفس الأمريكي (جلفورد) التعلم على أنّ "التعلم لم يكن إلاّ تغييراً في السلوك ناتجاً عن استثارة"[٣].

أما عالم النفس التربوي الأمريكي (جيتس) فيعرف التعلم " التعلم بأنّه تغيير في

(١) ابن خلدون: المقدمة، دار العودة، بيروت، ١٩٨١، ص٧٠.
(٢) عجاج، سيد احمد: علم نفس النمو، ٢٠٠٨، ص١٤.
(٣) الالوسي: علم النفس العام، ص٢٦٩- ٢٧٠.

الأداء أو تعديل في السلوك عن طريق الخبرة والمران. وإنّ هذا التعـديل يحـدث في أثنـاء إشباع الدوافع وبلوغ الأهداف. والتعلم كذلك عملية تكيف مع المواقف الجديدة[١].

وعالم النفس السلوكي الأمريكي (أدوين جثـري) قـال إنّ " الـتعلم هـو القـدرة على الاستجابة بصورة مختلفة في موقف ما بـسبب اسـتجابة سـابقة للموقـف..وهـذه القدرة هي التي تميز تلك الكائنات الحية التي وهبها الإدراك العام أو الحكم السليم"[٢].

أما أهل البيت (عليهم الـسلام) فقـد اهتمـوا اهتمامـاً بالغـاً في حـثهم علـى العلم والتعليم، وقد وردت عنهم (عليهم الـسلام) احاديـث كـثيرة في تأكيـد هـذا الجانب نذكر منها:

عن الإمام علـي (عليـه الـسلام) وهـو يقـول في وصـيته لكميـل بـن زيـاد: (ياكميل بن زياد، ان هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فـاحفظ عـني مـا أقـول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجـاة، وهمـج رعـاع اتبـاع كـل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأو إلى ركن وثيـق. يـا كميل، العلم خير مـن المـال، العلـم يحرسـك وأنـت تحـرس المـال. والمـال تنقـصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق، وصنيع المال يـزول بزوالـه. ياكميـل بـن زيـاد، معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميـل الأحدوثـة بعد وفاته. والعلم حاكم والمال محكوم عليه[٣].

وقال (عليه السلام): " أعْوَنُ الأشْياءِ عَلى تَزْكِيَةِ العَقْلِ التَّعْليمُ "[٤].

(١) عبد الخالق، احمد: علم النفس العام، ص٦٤.

(٢) بدون مؤلف: نظريات التعلم دراسة مقارنـة، ج٢، ترجمـة. د. علـي حسين حجـاج، مراجعـة. د.عطية محمود هنا، عالم المعرفة، ١٩٨٦، ص١١.

(٣) الحراني: تحف العقول، ص١١٨.

(٤) شيخ الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٤٣٣

وقال (عليه السلام): " بِالتَّعَلُّمِ يُنالُ العِلْمُ "[١].

وكذلك من خطب الإمام زين العابدين (عليه السلام) في بنيه وبني اخيه فقال: "إنّكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم، فمن يستطع منكم ان يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته[٢].

فالتعليم عملية مستمرة مدى الحياة وعلى أن يشمل طبقات المجتمعات كافة فإنّ ما يصبوا العالم إلى تحقيقه هو أن نتعلم أن نكون أفضل وأكثر احتراماً ومسؤولية كأفراد وأسر وجماعات ومجتمعات، ونحن في عالم تستحوذ عليه التكنولوجيا المتقدمة ويركز إلى حد كبير ومتزايد على كل ما هو مادي وقصير الأمد وسريع ويستخف بالقيم التربوية والأخلاقية والروحية لا يمكننا إلا أن ندرك أن التربية الأخلاقية تكمن في صلب الروح الإنسانية وهي أفضل ما في حضارة الإنسان وأنّها دعامة أساس لخير ألافراد والمجتمعات. وعليه يجب أن يكون المنظور القائم على التربية الأخلاقية هو أساس التفكير التعليمي وهو الاتجاه السائد في الممارسة التعليمية من أجل أستمرار التنمية الإنسانية والاجتماعية لكي نتقدم وننمو كأفراد في المجتمع الإنساني، والتعليم القائم على تعديل السلوك يستند إلى رؤية ترى أنّ التعلم هو أداة لتقوية الإنسان وإغنائه[٣].

ونرى أنّ الفرد يتم اكتساب سلوكه من العوامل الوراثية والعوامل البيئية معاً. لكن البيئة هي أشد تأثراً بسلوكيات الفرد وذلك من خلال اختلاطه بالشارع والمدرسة.

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٣٣

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٢،ص١٥٢.

(٣) سلوم، طاهر عبد الكريم، ود. محمد جهاد مل: التربية ألأخلاقية القيم مناهجها وطرائق تدريسها، ص١٥١.



الفصل الثالث

مدرسة آل البيت (عليهم السلام) في التربية

المبحث الأول / وسائل التربية عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

المبحث الثاني / الإخاء في الإسلام.

المبحث الثالث / الأمراض النفسية وطرائق كبحها في مدرسة آل البيت (عليهم السلام)

تمهيد

إنّ الإنسان لا يمكن أن يبلغ من النضوج العلمي أو التقدم الاجتماعي من دون أن تتوفر له التربية الواعية الهادفة إلى تكوينه، وتنمية وعيه، وبناء شخصيته.. فإنّ التربية لم تعد بجميع ما لها من المخططات والشؤون لوناً من ألوان الترف، أو ظاهرة من الظواهر الكمالية التي يمكن الاستغناء عنها، وإنّما هي ضرورة من ضرورات الحياة[1].

وفي التربية علينا ان نقوم بالرجوع إلى عدل القرآن والسنة النبوية، وهم أئمة الهدى من أهل بيت النبوة، فإنّ أحاديثهم وإرشاداتهم ووصاياهم وسيرتهم العملية كفيلة بتحديد معالم متكاملة وشاملة لمنهج تربوي يصلح أن يكون مرجعاً للعلماء والباحثين والمتخصصين جميعهم بشؤون التربية وعلم النفس على اختلاف متبنياتهم العقائدية والفكرية، لأنّه المنهج الذي لا يتقيد بزمان أو مكان بل يصلح لكل زمان ومكان، لأنّه صادر عن أئمة الهدى[2].

---

(١) القرشي، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام، ص٩.

(٢) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام،ص٨

فهم (عليهم السلام) امتداد للقرآن والنّبوة في خط الامامة، وولاة الأمر الذين أوجب الله طاعتهم وولايتهم ومودتهم، كما انهم عدل القرآن الكريم الذي هو الثقل الأكبر، وأهل البيت (عليهم السلام) الثقل الآخر الذي لن يفترق عن القرآن، بل هم علماء القرآن - أيضاً - يفسرونه ويوضحونه ويبينونه ويكشفون غرائبه ويستخرجون كنوزه.

وفي الوقت نفسه هم حملة السنة النبوية في تفاصيلاتها ومصاديقها، ويعرفون ماتؤول إليه الآيات والأحاديث في حاضرها ومستقبلها[١].

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

بـآل مُحَمَّـد عُـرِفَ الـصَّوابُ وفـي أبيـاتهم نـزلَ الكتـابُ

وهـم حجـجُ الإلـه علـى البرايـا بهـم وبجـدّهم لا يـستراب[٢]

فحينما تعددت المذاهب والآراء والمدارس الفكرية برزت مدرسة آل البيت (عليهم السلام) مناراً يضيء الدرب للسائرين ومنهلا يرتشف منه رواد العلم والحقيقة. وإنّ مدرسة أهل البيت في تلقي الأحكام الإلهية ونشرها لها مميزاتها ومبادئها الخاصة ولها الاستقلالية التامة عن المدارس الأخرى جميعها التي حدثت وتعتقد أنّ الأحكام الشرعية يجب أن تكون من مصدر إلهي ومن منبع الرسالة المحمدية لا غير وهذا ما يوضحه الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث أبيه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وحديث علي حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

(١) الحكيم، محمد باقر: دور اهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، ج١، لبنان، ٢٠٠٨، ص٥.

(٢) السنجري، طالب: ادب الحكم والامثال، ص٢٨.

وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) قول الله عزّ وجل"[١].

فأولت مدرسة آل البيت (عليهم السلام) في منهاجها التربوي معالجة الإنسان من جوانبه كلها ولم تغفل عن أي جانب منه، وإنّها حافلة بمعالجة الإنسان المسلم من كل جانب يشكل نقطة مركزية في حياة الإنسان وتقويمه. فكانوا (عليهم السلام) من أكثر قوى التأثير والفاعلية في تأريخ الأمة على الرغم ممّا عانوا من ظلم واضطهاد وعدوان. ولقد حمل آل البيت (عليهم السلام) الكتاب والسنة بكل ما اوتوا من قوة، فجاهدوا من أجل الحفاظ على النقاء والأصالة، وبيان المحتوى الحق، وتثبيت دعائم الوعي والفهم السليم لهما. فلقد افاضوا من آفاق علومهم ما ملأ خزائن العلم والمعرفة. وإنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من ضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لمساعي أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية وأسئلتها من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية[٢].

ومن خلال تجسيد هذه الأخلاق عملياً في واقعهم، فإنّ التعليم والتأديب وحده لايؤثر إذا لم يقترن بالعمل والتطبيق وغالباً ما يتوفر على مدى الأجيال حملة كثيرون للعلم ووعاظ وخطباء إلاّ أنّ اثرهم محدود في المجتمع لبُعد اقتران القول بالفعل بشكل دقيق ولم تتحقق الدقة في التطبيق إلاّ في سيرة المعصومين

(١) الكليني: الكافي، ج١، ص٥٣.

(٢) الموسوي، هاشم: التعريف بمدرسة اهل البيت (عليهم السلام)، ص٦.

(عليهم السلام) بل ان العصمة على التحقيق لا تعني إلاّ ذلك ولأهمية هذه الملازمة كان الأئمة (عليهم السلام) يحثون على العمل واشتهرت توصيتهم (عليهم السلام) " كونوا لنا دعاة صامتين "، وقد فسر الدعوة الصامتة بقوله " تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الامانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولايطلع الناس منكم إلاّ على خير " وهم (عليهم السلام) لا يأمرون بأمر إلاّ كانوا أول المبادرين إليه ولا ينهون عن شيء إلاّ كانوا أول المنتهين عنه، وهم بذلك يعكسون صورة الإسلام النقية وكان هذا التصرف مهماً لأنّ أُمماً كثيرة دخلت في الإسلام من دون أن تعلم بمنابعه الأصلية ولم تكن تشاهد إماماً إلاّ الأنموذج المشوهة المنحرفة من المسلمين المثلة بالمتسلطلين والحكام بغير حق وهذا خطر على هؤلاء لأنّه سيتراءى لهم أنّ الإسلام هو هذا فأما أن يعتنقوه كما هو إمامهم أو يرتدوا عن الإسلام لإنتفاء القناعة بهذه الأنموذج وهكذا كان التناقض واضحاً بين سلوك الأئمة (عليهم السلام) المطابق للإسلام والحكام المنحرفين عنه واستطاعوا بذلك الحفاظ على شريعة الإسلام كما هي فكراً وتطبيقاً وبعد أن وعت الأمة ذلك ألقت بزمامها إليهم وبدأت لا تعير تلك الحكومات أُذناً مصغية في كل ما يتعلق بالإسلام وتعاليمه[1].

(١) اليعقوبي، محمد: دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ص٩٦.

المبحث الأول: وسائل التربية عند أهل البيت (عليهم السلام)

١- التربية بالقدوة

الاقتداء وسيلة مهمة من وسائل التربية، لأنّ الناس يتأثرون بمن يقتدون به وغالباً ما يكون القدوة من الطبقات العليا في المجتمع كالرؤساء والقادة وعلماء الدين، وأهل الكرامة، وأهل القدوة يكرمهم الناس وهم الذين (يقتدى بهم عامة الشعب). فكان أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون المربي أن يكون قدوة وأن يربي الناس بالاقتداء به(١).

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اقتدوا بالشمس، فإذا غابت الشمس فاقتدوا بالقمر فإذا غاب القمر فاقتدوا بالزهرة، فإذا غابت الزهرة فاقتدوا بالفرقدين، فقالوا: يا رسول الله فما الشمس؟ وما القمر؟ وما الزهرة؟ وما الفرقدان؟ فقال: أنا الشمس، وعلي (عليه السلام) القمر، وفاطمة الزهرة، والفرقدان الحسن والحسين (عليهما السلام) (٢).

قال الإمام علي (عليه السلام): «إذا علوت فلا تفكر فيمن دونك من

(١) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص٨٥.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ج٢٤، ص٧٤.

الجهال، ولكن اقتد بمن فوقك من العلماء» وقال: «إذا أنكرت من عقلك شيئاً فاقتد برأي عاقل يزيل ما أنكرته»[١].

وقد كان عصر الإمام علي (عليه السلام) برمته، وتأريخه، وسيرته، وأخلاقه، وكلماته، وأقواله، كلها دروس وتعاليم ونماذج للإقتداء والقيادة بها. وكان عليٌّ (عليه السلام) أسوة كاملة للجميع، فشبابه المتوثب والمتفجر بالحماس هو أنموذج للشباب، وحكومته المتميزة بالعدل والقسط نموذج للحكام، وحياته المشبعة بالجهاد والمسؤولية أنموذج للمؤمنين جميعهم، وحريته أنموذج لأحرار العالم كافة، وأقواله الحكيمة ودروسه الخالدة أنموذج للعلماء والمفكرين والمثقفين[٢]. وكانت هذه الشخصية الزاهدة يقظة متحركة صامدة تجمع إلى الزهد القوة والإدارة فكان تدبير الجيوش، وإدارة شؤون الأقاليم، وإلزام الأمراء والعمال والولاة بجوهر تعليماته الخالدة، من أشتات مهمات الإمام التي جمعها الله له سيرة وقيادة، فأعذر في التبليغ، وأحسن صروف الآراء، وبذلك جعل دولته أنموذجاً فذاً للحكم الإسلامي الخالص الذي اتسم بالقوة والسماح بوقت واحد، ونأى عن الطغيان والجبروت والإثرة، فقد إلتزم الإمام عليه السلام معايير التدبير المنظّم، وأنس معالم التنظير الدقيق. ولم تكن تطلعات الإمام القيادية تنحصر في تدبير الجيوش، وإعداد البعوث، وإدارة دقة الحكم، وتعاهد الولاة والعمال، ولكنّه كان إلى جنب ذلك معنيّاً عناية خاصة بتهذيب النفس الإنسانية، وإصلاح الذات عند

---

(١) التويسركاني، سيد حسين شيخ الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، باب القاف، ص٤٩٥.

(٢) الخامنائي، علي: دروس تربوية من السيرة العلوية،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص١٨.

المسلمين، بكونها النواة في خلق جيل جديد يواكب النهج الإسلامي الجديد في صقل الطباع وتيقظ الضمائرفكان بذلك قدوة للتربية الصالحة(١).

وكانت سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) قدوة للمرأة العفيفة الذي تجسدت في شخصيتها مختلف ابعاد التربية الإسلامية المختلفة التي دعت وأكدها التعاليم القرآنية ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ (٢). ولقد ضربت المثل الاعلى للمرأة المؤمنة الكاملة، وسيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت وستكون إلى يوم القيامة خير أسوة للمرأة الصالحة في اعمالها، في عباداتها، في فضائلها، في تقواها، في تربيتها، في حجابها وفي كل شؤونها(٣). كانت (عليها السلام) لا يجري لسانها بغير الحق ولا تنطق إلاّ بالصدق، لا تذكر أحداً بسوء، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز، تحفظ السر وتفي بالوعد، وتصدق النصح وتقبل العذر وتتجاوز عن الإساءة فكثيراً ما أقالت العثرة وتلقت الإساءة بالحلم والصفح. ولقد كانت عزوفة عن الشر، ميالة إلى الخير، امينة صدوقة في قولها، صادقة في نيتها ووفائها، وكانت في الذروة العالية من العفاف، طاهرة الذيل عفيفة الطرف، لا يميل هواها، إذ هي من آل بيت النبي الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا(٤).

وأكّد الإمام جعفر الصادق عليه السلام على الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبأهل البيت عليهم السلام فقال: «عليكم بآثار رسول الله (صلى الله

(١) الصغير، محمد حسين علي: الإمام علي قيادته وسيرته في ضوء المنهج التحليلي، ص٣٣٠.

(٢) سورة النور: آية ٦٠.

(٣) المسعودي، محمد فاضل: الاسرار الفاطميه، قم المقدسة، ١٤١٩هـ، ص٣٥٣.

(٤) لجنة التأليف: أعلام الهداية " فاطمة الزهراء عليها السلام "، ص٣٦.

عليه وآله وسلم) وسنّته وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده وسنتهم، فإنَّهُ من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ»[١].

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) القدوة الصالحة والمثال الواقعي الذي تتجسد في شخصه أخلاق الرسالة، مما يكون موقعاً لاشعاع الفضيلة ونموها، ويكشف من جانب آخر زيف الأنانية ونزعات الذات، فنجد الإمام الصادق (عليه السلام) كان يدعو الناس إلى الفضيلة برفق ولين ويجادلهم بالتي هي احسن، وكان يسمح للسائلين بعرض أسئلتهم مهما كانت، وكان يوضح لهم ما كان غامضاً عليهم[٢]. وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقاتهم»[٣].

وكان دور الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) هو دور القدوة، وقد أدى الإمام (عليه السلام) هذا الدور أداءً مطابقاً لقيم الإسلام الثابتة، وأبرز للمسلمين أُنموذجاً من أرقى نماذج الخلق الإسلامي الرفيع، وكان قمة في الصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، والتواضع واحترام الآخرين، والاهتمام بالمسلمين، وقضاء حاجاتهم. وكان يعالج الواقع الفاسد في العلاقات معالجة عملية، ومن مواقفه العملية أنّه دعا يوما بمائدة، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقيل له: لو عزلت لهؤلاء مائدة، فقال: " إنّ الرب تبارك وتعالى واحد والأم

---

(١) الكليني، اصول الكافي، ج٨، ص٨.

(٢) المجمع العالمي لاهل البيت: أعلام الهداية – الإمام جعفر بن محمد " الصادق "، ط٣، ١٤٢٧هـ، ص١٢٠.

(٣) تحف العقول، الحرّاني: ص ٢٢١.

واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال ". فكان (عليه السلام) كثير العفو والصفح لا يقابل الاساءة بالاساءة، رحيما لا يحمل حقدا ولا عداء لمن يؤذيه من عامة الناس أو من خواصهم. فقد عفا عن الجلودي الذي سلب حلي نساء أهل البيت (عليهم السلام) عندما هجم على دار الإمام الرضا (عليه السلام) في عهد هارون، وطلب من المأمون أن لا يمسه بسوء. وقال شعراً يصف به أخلاقه الكريمة لتقتدي به الامة:

إذا كان من دوني بليت بجهلة	أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
وإن كان مثلي في محلي من النهى	أخذت بحلمي كي أجل عن المثل
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى	عرفت له حق التقدم والفضل

وكان للأئمة الأطهار (عليهم السلام) قدوة في تربيتهم للأمة عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً وذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات الأنموذجية التي تقوم بمهمات كبير مثل نشر الوعي والفكر الإسلامي وتصحيح الأخطاء المستجدة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية السياسية المنحرفة أو الشخصيات العلمية المنحرفة التي كان يوظفها الحاكم المنحرف لدعم زعامته. إذ كان أهل البيت (عليهم السلام) يشكلون الأنموذج الحي للزعامة الصالحة، عملوا على تثقيف الأمة ورفع درجات وعيها بخصوص إمامتهم وزعامتهم ومرجعيتهم العامة. وهكذا تفاعل الأئمة (عليهم السلام) مع الأمة ودخلوا في اعماق الضمير وارتبطوا بها وبكل قطاعاتها بشكل مباشر وتعاطفوا مع قطاع واسع من المسلمين، فإنّ الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت مصادفة أو لمجرد الإنتماء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم

يكن يحظى بهذا الولاء، لأنّ الأمة لا تمنح على الأغلب الزعامة مجاناً ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبهم من دون عطاء سخي منه في مجالات اهتمام الأمة المختلفة ومشاكلها وهمومها[١].

٢- التربية بالخطابة

وهي من الوسائل التربوية الشائعة والتي مورست من التيارات والشخصيات جميعها، وقد مارس أهل البيت (عليهم السلام) هذا الأسلوب في تربية أصحابهم وسائر أبناء المجتمع المسلم، وسيرتهم حافلة بالخطابات التي تخاطب جميع مقومات الشخصية إذ تخاطب العقل والقلب والإرادة لتستجيش فيها عناصر الخير والصلاح، وتطارد عناصر الشر والانحراف، موجهة الأنظار إلى خالق الكون والحياة والإنسان وإلى رقابته على سكنات الإنسان وحركاته، وموجهة العقول والقلوب إلى يوم الحساب ويوم الثواب والعقاب وإلى عذاب القبر، ومحذرة من مزالق الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، ومحذرة من المغريات التي تستهوي الإنسان ليركن إليها وينشغل باللهث ورائها تاركاً مسؤوليته في الحياة، وكانت الخطابات توجه العقول والقلوب إلى سنن الله تعالى المتحكمة في الحياة والإنسان وإلى آثار بعض الأعمال الصالحة والطالحة. والخطاب أهم وسيلة لتحريك العقل وتوجيهه نحو الصلاح والاستقامة، وهو الوسيلة التربوية الموجهة لعدد كبير من الناس فيها اقتصاد في الوقت وتجميع للطاقات، وقد سنحت الفرصة للإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لالقاء خطبه بعد بسط اليد له بالبيعة العامة وتسلمة الخلافة. وكذلك للإمام الحسن وللإمام الحسين (عليه السلام) وبعض الفرصة للإمام زين العابدين

(١) لجنة التأليف: اعلام الهدآية: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ص٩٩-١٠٠.

(عليه السلام) وللإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وللإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، أما بقية الأئمة فكانت فرص الخطاب محدودة في كمها ونوعها إذ كانت مقتصرة على الاتباع والانصار والمقربين، إذ إنّ المنابر العامة كانت بيد أعدائهم ومخالفيهم وكان للخطاب الدور الأكبر في كشف حقيقة النظام الأموي بعد اقدامه على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وبخطاب الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الكوفة والشام والمدينة عاد عدد كبير من المسلمين إلى وعيهم ورشدهم فتبنوا منهج أهل البيت (عليهم السلام)(١).

ومن خطب أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) يقول: " أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ فَإِنَّ تَقْوَى الله دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَصَلاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ وَجِلاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ فَاجْعَلُوا طَاعَةَ الله شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاعِكُمْ وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ وَمَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ طَاعَةَ الله حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا. وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ البَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا فَاتَّقُوا الله الَّذِي نَفَعَكُمْ

(١) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص٨٥.

بِمَوْعِظَتِهِ ووَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ وامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ واخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ[١].

٣- التربية بالقصص

القصص بطبيعتها محببة عند الناس ومؤثرة فيهم إذ يتوجهون إليها بعقولهم وقلوبهم ووجدانهم، يتابعون أحداثها وفصولها، ويتأثرون بأبطالها وشخصياتها، والقصص تبقى فاعلة في الذهن أكثر من غيرها، لسهولة حفظها وتذكرها ونقلها..وللقصة دور في تحريك العقول للتفكر، والوصول إلى الحقيقة وتجسيدها في ممارسات ومواقف عملية، وقد حفلت سيرة أهل البيت (عليهم السلام) بتربية أصحابهم عن طريق القصص لما فيها من مفهومات وقيم متنوعة في مجالات النفس الإنسانية وفي مجالات المجتمع الإنساني، وقد ذكروا (عليهم السلام) قصصاً عديدة عن تأريخ ومسيرة الأنبياء والأولياء والصالحين ودورهم في الحياة الإنسانية وخصائصهم الحميدة ومواقفهم من الأفراد ومن الموجودات، وقصصاً عن إيمانهم وعباداتهم وعن أخلاقهم وعلاقاتهم مع الناس... إلى غير ذلك من الصفات النبيلة[٢].

روى أنّ إمرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل، ادّعته كلّ واحدة منهما ولداً لها بغير بيّنة، ولم ينازعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر، وفزع فيه إلى أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوّفهما، فأقامتا على التّنازع والاختلاف، فقال (عليه السلام) عند تماديهما في

---

(١) الرضي: نهج البلاغة، ص٤١٢-٤١٣.

(٢) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام،،ص٨١- ٨٢.

النزاع: ائتوني بمنشار، فقالت المرأتان: وما تصنع؟ فقال: أقدّه نصفين لكلّ واحدة منكما نصفه، فسكت إحداهما، وقالت الأُخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لابدّ من ذلك فقد سمحت به لها. فقال: الله أكبر هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقّت عليه وأشفقت، فاعترفت المرأة الأُخرى أنّ الحقّ مع صاحبتها، والولد لها دونها، فسري عن عمر، ودعا لأمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) بما فرّج عنه في القضاء[1].

٤- التربية بالأمثال

وظّف أهل البيت (عليهم السلام) ضرب الأمثال كوسيلة من وسائل التربية في طريق الهداية والاستقامة بالحث على الالتزام بمفهومات الإسلام وقيمه وضرب الأمثال يقرب المعنى إلى الاذهان ويجعله متحركاً في الضمير والوجدان البشري، وهو سهل الحفظ والنقل، وله تأثير محسوس وواقعي على مقومات الشخصية جميعها، فضلاً عن أنّه يضرب باختصار وايجاز فلا يصيب المستمع بسماعه ملالاً بل يتوجه بكل جوارحه ليستمع اليه[2].

وقد مثل أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) الدنيا بالحيّة فقال: «أما بعد فإنّ مثل الدنيا مثل الحية، لين مسّها، قاتل سمّها». وقال (عليه السلام): يلقاك والعسل المصفى يجتنى... من قوله، ومن الفعال العلقم قال (عليه السلام): مثل المنافق كالحنظلة الخضرة اوراقها المر مذاقها[3].

---

(١) المجلسي: بحارالانوار: ج٤٠ ص٢٥٢.

(٢) العذاري: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص٨٣.

(٣) السنجري، طالب: ادب الامثال والحكم، ص٨٩.

وقال: ترجو البقاء بدار لاثبات لها.... فهل سمعت بظل غير منتقل. قال (عليه السلام) مثل الدنيا كظلك أن وقفت وقف، وأن طلبته بعد[١].

وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: اعلموا إنّما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد[٢].

٥- التربية بالعبرة والموعظة

يتخذ أهل البيت (عليهم السلام) من العبرة والموعظة وسيلة تربوية لتنوير العقل والقلب، واستخلاص المفهومات والقيم الكامنة وراء المواقف والحوادث، وبالعبرة والموعظة يعي الإنسان حركة الحياة من إذ الشدة والرخاء، وأسباب التقدم والتاخر للمجتمعات والحضارات، وبالعبرة والموعظة يقلع الإنسان عن الممارسات المنحرفة، ثم يتوجه لاصلاح نفسه لتسمو وتتكامل. ومواعظ أهل البيت (عليهم السلام) لا تعد ولاتحصى، وكان لها دور ملموس في تربية أصحابهم ومخالفيهم[٣].

قال الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام): «يا ابن آدم: اعف عن محارم الله تكن عابداً، وأرض بما قسم الله تكن غنياً، واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً، إن كان بين يديكم أقوم يجمعون كثيراً، ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بورا، وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت

---

(١) المصدر نفسه، ص٣١.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٥، ص١٣٠

(٣) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص٨٤.

من بطن أمك فخذ مما في يديك لما بين يزيل يديك، فإنّ المؤمن يتزود والكافر يتمتع»[١].

وقال (عليه السلام): لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروة لمن لا همة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حرم من العقل حرمهما جميعاً[٢].

٦- التربية بالحوار

وهو مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي، هدفها الوصول إلى الحقيقة، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾[٣].

فالحوار هو من الوسائل المعمول بها في التربية والاصلاح، وقد وظّف أهل البيت (عليهم السلام) الحوار كوسيلة لاثبات حقهم في الامامة، ودورهم الريادي في الامة، ولاثبات المفهومات والقيم الصالحة كاسس للتعامل وللتقييم، وكانوا يحاورون مخالفيهم وأنصارهم حول القضايا والامور المختلفة وفي جميع مجالات العقيدة والشريعة، فقد احتج على الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من أبي بكر وعمر وعثمان حول امامته ودوره الرسالي في الأمة، وناظر طلحة والزبير حينما خرجا عليه، وحاور الخوارج، وكان للإمام الحسين (عليه السلام) حوارات مع معاوية وعمرو بن العاص، ومع اتباعه وأنصاره وكذا الحال في سائر الأئمة

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٥،ص١١٢

(٢) المصدر نفسه، ص١١١.

(٣) سورة الكف: آية: ٣٤.

(عليهم السلام) وكانوا (عليهم السلام) يشجعون أنصارهم وأتباعهم على الحوار للوصول إلى الحقيقة[١].

قوله تعالى: { وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[٢].

٧- التنوع في وسائل التربية

التنوع في وسائل التربية والتعليم زيادة على تلك الوسائل المعروفة في الصدر الأول للإسلام - إنّ الأئمة (عليهم السلام) يهتمون بأساليب أُخَر لم تكن معروفة على مستوى التربية. ومن هذه الأساليب:

الدعاء

للدعاء آثار تربوية نشير إلى ثلاثة:

١- هو إيجاد نور الأمل في قلوب الناس، فالإنسان الخائب الأمل يكون في عداد الموتى.

٢- وهو إيجاد نور التقوى في الإنسان الذي هو السبب في تقرب الإنسان إلى ربه.

٣- الأثر التربوي الثالث هو تقوية نور المعرفة[٣].

قوله تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }[٤].

---

(١) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص٨٧.

(٢) سورة النحل: آية: ٢٥.

(٣) الشيرازي، مكارم: امثال القرآن، ص٢١٠.

(٤) سورة البقره: آية: ١٨٦.

وقال تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } .

ولقد تحول الدعاء إلى مدرسة كاملة لثقافة أهل البيت (عليهم السلام) تدرس فيه العقائد والأخلاق والمفهومات الإسلامية والاجتماعية والعلاقات الإنسانية، والأدب العالي فضلاً عن التزكية والتربية العالية، والتعبير عن العلاقة بالله تعالى. وقد أسس هذا الأسلوب أهل البيت (عليهم السلام) وعرف به الإمام علي (عليه السلام) في ادعيته ومناجاته المشهورة، ومنها دعاؤه المعروف الذي يرويه كميل بن زياد النخعي، ومن الادعية المشهورة المتميزة لاهل البيت هو دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفه.

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السموات والأرض»[(١)].

وقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): (الدعاء مفتاح الرحمة ومصباح الظلمة)[(٢)].

وقال علي بن موسى الرضا (عليهما السلام): (عليكم بسلاح الأنبياء) قيل ماسلاح الأنبياء؟ قال: الدعاء[(٣)].

ونجد كذلك وبصورة واسعة الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) وكان نتاجه في هذا المجال واسعاً ومتميزاً، وتأثيره ودوره في المنهج التربوي كبيراً، وذلك لأنّ هذا الأسلوب كان أنجح الأساليب في معالجة التدهور الثقافي

(١) الكليني: اصول الكافي، ج٢، ٤٦٨.
(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٣٠، ص٩٠.
(٣) الكليني: اصول الكافي، ج٢، ص٤٦٨.

والأخلاقي في المجتمع الإسلامي من ناحية، وفي التغلب على الظروف السياسية الصعبة، التي كان يواجهها بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) والحصار الذي ضربه الأمويون عليه من ناحية اخرى. " كالصحيفة السجادية "[١].

الوصية

كما ان الوصية ذات الابعاد الشاملة التي بدأها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصاياه السياسية الثقافية التربوية لعلي (عليه السلام) ثم استمر عليها الإمام علي (عليه السلام) لولده الإمام الحسن (عليه السلام) ولأولاده الآخرين، واصبحت بعد ذلك منهجا متميزا لائمة أهل البيت (عليهم السلام). نذكر منها:

من وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) لامير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)

ياعلي: آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الفترة وآفة السماحة المن وآفة الشجاعة البغي وآفة الجمال الخيلاء وآفة الحسب الفخر.

ياعلي: عليك بالصدق ولا تخرج من فيك كذبة أبداً ولا تجترئن على خيانة أبداً، والخوف من الله كأنّك تراه، وابذل مالك ونفسك دون دينك وعليك بمحاسن الأخلاق فاركبها وعليك بمساوئ الأخلاق فاجتنبها[٢].

ومن وصية الإمام علي (عليه السلام) لابنه الإمام الحسين (عليه السلام)

- يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها، ولا تَظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارضَ من

---

(١) الحكيم، محمد باقر: دور اهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، ج١، ص١٢٤.

(٢) الحراني: تحف العقول: ص١٣.

الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك واعلم أنّ الاعجاب ضد الصواب وآفة الألباب، فاسع في كدحك، ولا تكن خازنا لغيرك، وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك[١].

- قارن أهل الخير تكن منهم. وباين أهل الشر تبن عنهم. بئس الطعام الحرام. وظلم الضعيف أفحش الظلم، والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل أن تكون غصة، ليس كل طالب يعيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد أضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل أمر عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك... "[٢]

ومن وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم البغدادي

ياهشام: رحم الله من استحيا من الله حق الحياء، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أنّ الجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات[٣]. يا هشام إنّ لقمان قال لابنه: " تواضع للحق تكن أعقل الناس. يا بني إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان وشراعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر[٤].

(١) الإمام علي عليه السلام نهج البلاغة، ج٣، شرح الشيخ محمد جواد مغنية، منشورات الرضا، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص٣١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٠

(٣) الحراني: تحف العقول، ص٢٨٦.

(٤) المجلسي: بحار الانوار ج٧٥، ص٢٩٩.

الرسائل

إنّ الأمر في الرسائل والبيانات ذوات الطابع التوجيهي التعليمي التي يتضمنها نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) وكذلك في الرسائل التي يبعثها الأئمة كلام الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم (عليهم السلام) وغيرهم من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لشيعتهم واتباعهم(١).

رسالة الإمام علي عليه السلام إلى الأشعث بن قيس حول أمانة الوظيفة قائلاً له:

" وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَة، وَلكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفتَاتَ فِي رَعِيَّة، وَلاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بوَثِيقَة، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عزّ وجلّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِه حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلاَّ أَكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ، وَالسَّلاَمُ"(٢).

فكان هدف آل البيت من هذه الرسائل هو توعية المجتمع فكرياً وثقافياً ودينياً وسلوكياً تهدف هذه الرسائل بالدرجة الأولى بالدعوة إلى الله وليبينوا لشيعتهم ويوضحوا لهم مفهومات الدين الصحيح. وهو الدين القائم على نهج القرآن وسنة مُحَمَّد وآل محمد.

الشعر

له دور في التربية والتوجيه والتثقيف عند الأمم وفي الحضارات جميعها، وله دور في تحريك العقول والقلوب والضمائر، وقد دلت التجارب والدراسات على

---

(١) الحكيم: دور اهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، ج١، ص١٢٤.

(٢) الإمام علي عليه السلام: نهج البلاغة، ج٣، شرح محمد جواد مغنية، ص٢٤٢.

ذلك، وأهل البيت عليهم السلام كمربين لم يغفلوا أسلوب الشعر في الجانب التربوي، فقد تمثلوا بأشعار كثيرة في الموعظة والارشاد[١].

كان الإمام وسيدة النساء فاطمة (عليهما السلام) يأكلان، فدخل مسكين يطلب طعاماً، فوضع الإمام علي (عليه السلام) اللقمة من يده وقال:

فـــاطم ذات المجـــد واليقـــين ... يـــا بنـــت خيـــر النـــاس أجمعـــين

أمـــا تـــرين البـــائس المـــسكين ... قـــد قـــام بالبـــاب لـــه حنـــين

يـــشكو إلينـــا، جـــائع حـــزين ... كـــل امـــرئ بكـــسبه رهـــين

فقالت سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام):

أمـــرك ســـمعاً يـــا ابـــن عـــم طاعـــة ... مـــا فـــي مـــن لـــؤم ولا وضـــاعه

أطعمـــه ولا أبـــالي الـــساعة ... أرجـــو إذا أشـــبعت ذا مجاعـــه

أن الحـــق الأخيـــار والجماعـــه ... وأدخـــل الخلـــد، ولـــي شـــفاعه[٢]

وقال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) مخاطباً ولده الحسين (عليه السلام) قال:

أحـــسين إنّـــي واعـــظ ومـــؤدب ... فـــافهم فأنـــت العاقـــل المتـــأدب

واحفـــظ وصـــية والـــد متحـــنن ... يغـــذوك بـــالآداب كـــيلا تعطـــب

أبنـــي إنّ الـــرزق مكفـــول بـــه ... فعليـــك بالاجمـــال فيمـــا تطلـــب

لا تجعلـــن المـــال كـــسبك مفـــرداً ... وتقـــى إلهـــك فـــاجعلن مـــا تكـــسب

كفـــل الإلـــه بـــرزق كـــل بريـــة ... والمـــال عاريـــة تجـــيء وتـــذهب

---

(١) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت عليهم السلام، ص٨٨.

(٢) ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام: قافية النون، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط١، ١٩٨٨، ص٢٠٣.

والــــرزق أســـرع مــــن تلفـــت نـــاظر سـبباً إلـــى الإنـــسان حـــين يـــسبب
ومـــن الـــسيول إلـــى مقرهـــا قرارهـــا والطيـــر للأوكـــار حـــين تـــصوب
أبنــــي إنّ الـــذكر فيـــه مـــواعظ فمـــن الـــذي بعظاتـــه يتـــأدب[1]

ونستنتج من خلال هذا البحث أنّ هدف أهل البيت (عليهم السلام) من التربية هو عملية بناء الإنسان بناءً متكاملاً من الناحية الفكرية والروحية، وأنّ التربية عند أهل البيت هي الأنموذج الأكمل في العمل الصحيح الذي ينطلق من التعاليم السماوية وأن نتبع أهل البيت في هذا النهج لأنّهم قدوة وأسوة للمسلمين ولأنهم الطريق الصحيح للنهج القويم في الحياة. فالسلام على بيت آل محمد. ونحن اليوم بحاجة إلى هكذا تربية لأنّنا اليوم نعيش في حال انحطاط وتفسخ أخلاقي وفساد وظلم وقتل النفس من غير ذنب ونحن نعيش اليوم أزمة أخلاقية وأزمة تربوية وأزمة نفسية وبحاجة إلى توجيه وتعليم وتربية مثل تربية آل البيت.

---

(١) ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليهما السلام، قافية الباء، ص٢٢.

المبحث الثاني: الإخاء في الإسلام

تمهيد

ليس الانعزال عن المجتمع صورة مقبولة في منطق الإسلام، ذلك ان المسلم على امتداد تاريخه عضو في جماعة، قبل ان يولد إذ اخذ الله ميثاقه على عباده، قال تعالى:

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } [1].

فالمسلم عضو في جماعة المسلمين في هذه الحياة، مسؤول عنها وعن تطورها، وهو عضو في جماعة في يوم المحشر. وفي المرور على الصراط، وفي التنادي يوم الأعراف. فالاجتماع سمة لازمة لنظام الإسلام في خلق المجتمع الإنساني الذي يتعاطف افراده، ويتعاونون بدافع عقيدتهم التي تقيم العلاقات الإنسانية على اخاه الإنسان لاخيه الإنسان. وعلى هذا لا تتوطد دعائم الاخاء والمودة داخل الأسرة فحسب، وإنّما تمتد لتشمل المجتمع كله والإنسانية عامة[2].

وهذه الأخوة بين البشر ليست أخوة الدم أو العرق والموطن، وإنّما هي

(١) سورة الاعراف، آية: ١٧٢.

(٢) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٢٢٣.

أخوة الفكرة والمبدأ والالتقاء في الله، فهي أخوة بين المؤمنين الذين وجدت بين قلوبهم وعقولهم فكرة الإيمان بالرب الواحد الذي أنشأهم من الأرض واستعمرهم فيها، لتحقيق خلافة الله في الارض. وهذه الأخوة في الله تقتضي مشاركة الآخرين فيما يملك من اموال وثروات خاصة وعامة. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الناس شركاء في ثلاث: في الماء والكلاء والنار)[١]. هذه دلالة على المشاركة في الأموال العامة. اما المشاركة في الأموال الخاصة، فهي مدخل الإسلام الحقيقي للتكافل الاجتماعي الذي لا يقوم على فكرة الإلزام القانوني والقهر الرسمي، بل يقوم على تربية النفوس وصياغتها صياغة اجتماعية، تجعل التعارف والتعاطف بين الناس جزأ لا يتجزأ من حياتهم اليومية، فهم يفعلونه بطبيعتهم التي درجوا عليها وحسبما رباهم القرآن على الاحسان والبذل في سبيل اخوانهم المعسرين: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[٢]. وهم لايفعلونه ذلك فضلاً عنهم، وإنّما هو حق وواجب عليهم بأمر الدين ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[٣].

وقد ربى القرآن المسلمين تربية اجتماعية حين وجه أهل أنظارهم إلى الآثار النفسية المترتبة على طريقة بذل هذا الإحسان، فقد تؤدي طريقة البذل إلى نتائج عكسية[٤].

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاث، ح٢٤٧٢، ص٩١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٥.

(٣) سورة الذاريات، آية: ١٩.

(٤) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٢٢٤.

١- مفهوم الأخوة

فالمواخاة أو الإخاء أو الأخوة من أروع القيم الإنسانية التي أرساها الإسلام للمحافظة على كيان المجتمع، وهي التي تجعل المجتمع وحدة متماسكة، أي أن يعيش الناس في المجتمع متحابين، مترابطين، متناصرين، يجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة، التي يحب بعضهم بعضاً، ويشد بعضهم أزر بعض، يحس كل منها بأنّ قوة أخيه قوة له، وأنّ ضعفه ضعف له، وأنّه قليل بنفسه كثير بإخوانه[١].

وكان يرى (الغزالي) أنّ المراد بالأخوة هي الصحبة والصداقة، إلى غير ذلك مما تثمر الألفة فيقول: ثمرة حسن الخلق، إذ يوجب التحاب والتآلف والتوافق، كما أنّ سوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر[٢].

عن الحسن العسكري (عليه السلام) قال: خير إخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك إليه[٣].

فعمل الإسلام على بناء علاقات طيبة وتعضيدها بين الناس تقوم على أساس الأخوّة والألفة، فإن ظاهرة الأخوّة التي أوجدها الإسلام بين أفراده تستحق الدراسة والتأمل، فقد كان العرب - في الجاهلية - على شفا حفرة من نار الخلاف والاختلاف والتمزق والتقاتل، ولكنهم بعد أن ارتضعوا من لبان ثقافة الإسلام أصبحوا أمة متحدة، مرهوبة الجانب تمتلك أسباب التمدّن والرّقي.

فقد أحدثت مبادئ الإسلام وخاصة مبدأ الأخوة إنعطافاً اجتماعياً حاداً في أنماط تفكير الغالبية وسلوكها من المسلمين، إذ كان الإنسان الجاهلي قبل الإسلام

(١) السرجاني، راغب: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، ص٦١.

(٢) مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨، ص٢٨٨.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٥، ص٣٧٩.

منكفئاً على ذاته، ومتقوقعا داخل أسوار نفسه، فغدا بفضل الإسلام إنسانا إجتماعيا يشعر بمعاناة إخوته، ويمدّ يد العون لهم، ويشاركهم في مكاره الدهر[١].

وهذه النقلة الحضارية يشير إليها القرآن بصورة جلّية، في قوله عز من قائل:

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا }[٢].

فكان لاهل البيت (عليهم السلام) الأثر البالغ في تدعيم مبدأ الأخوة وترسيخه وتأكيده.

يقول السيد مُحَمَّد باقر الحكيم (رحمه الله): إنّ مجتمعاتنا على الرغم من أنّها مجتمعات إسلامية وولائية، ترتبط بأهل البيت (عليهم السلام) والإسلام الحنيف، ولكن علاقة الأخوة الإيمانية التي هي علاقة أساس، تبدو - أحياناً - أنّها مهتزة بسبب الظروف والمشكلات التي يواجهها هؤلاء المؤمنون والضغوط النفسية والروحية والمادية التي يتعرضون لها. لذلك يحسن فهم هذه العلاقة ومحتواها من ناحية، والآثار المترتبة على هذه العلاقة والحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى لها من ناحية أخرى من الأمور المهمة، إذ يجب علينا أن نسعى لبناء أنفسنا وإقامة علاقتنا مع بعضنا بصورة صحيحة[٣].

كذلك يرى السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي إذ يقول: إنّه متى ما سلك المسلمون طريق الأخوة والوحدة الإسلامية في ظل تعاليم القرآن الكريم وسيرة

(١) ذهبيات، عباس: التكافل الاجتماعي في مدرسة اهل البيت، ص٩-١٠.

(٢) سورة ال عمران: آية: ١٠٣.

(٣) الحكيم، محمد باقر: دروس في الأخوة الإيمانية، ص٨.

النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) فانهم سيتمكنون من الوقوف بالثبات كلّه أمام مخططات الشرق والغرب، لأنّ وحدتهم هي سبيل تقدمهم وعندها سيكونون سادة الدنيا بالتزامهم بمبادئ دينهم وتقدمهم في المجالات جميعها[1].

ولقد آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين كنقطة انطلاق نحو المجتمع الإسلامي المتماسك يتعاونون كجسد واحد لمصلحة الإسلام وإعلاء كلمة الله إذ سيواجه المسلمون مصاعب جمة يستلزم تجاوزها التعاون والتعاضد باعلى مراتبه.

وكخطوة أولى في طريق الهجرة المباركة آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين بعلاقة ايمانية الهية على الحق والمؤاساة، مؤاخاة ينعكس أثرها على التعامل فيما بينهم بالانسجام والصمود بعيداً عن النوازع النفسية[2].

عن أبي عمر قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) آخى بين أصحابه، فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فقال الإمام علي (عليه السلام): يارسول الله إنّك قد آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله): "أما ترضى ياعلي أن أكون أخاك " فقال علي (عليه السلام): بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "أنت أخي في الدنيا والآخرة"[3].

أما المؤاخاة الثانية فقد كانت بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، إذ آخى رسول

---

(١) الشيرازي، محمد الحسيني: الأخوة الإسلامية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص٣٤- ٣٥.

(٢) لجنة التأليف: أعلام الهداية: محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ص١١٦

(٣) الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبد الله: المستدرك، ج٣، ط١، ١٣٤١، ص١٤

الله (صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والانصار فكانت خطوة أخرى لإقامة الدولة الجديدة والقضاء على بعض قيم النظام القبلي من دون أن يمس القبيلة بشيء، مستثمراً حال التعاطف وحرارة الإيمان التي بدت من المسلمين فجعل أساس العلاقة بين الأفراد رابطة العقيدة والدين متجاوزاً علقة الدم والعصبية[١].

وكان الاختلاف بين المهاجرين والأنصار، وبين الأنصار أنفسهم - الأوس والخزرج - أي الجبهة الداخلية، فقد تمكّن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من التغلّب على تلك المشكلات والقضايا بأساليب حكيمة وسياسية محنّكة، فقد عالجها بالموَاخاة بين المهاجرين والأنصار، حينما جمعهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لهم: «تآخوا في الله أخوين أخوين»، فأصبح هذا التآخي والوحدة بين الأطراف المتنازعة، طريقاً لحلّ المشكلات الأخرى، كما اختار الإمام عليّاً (عليه السلام) أخاً لنفسه وقال: «يا عليّ أنت أخي في الدُّنيا والآخرة"[٢].

وأخذ كل رجل من الأنصار أخاً له من المهاجرين يشاركه الحياة، وبذا طوت المدينة صفحة دامية من تأريخها إذ كانت لا تخلو أيامها من صراع مرير بين الأوس والخزرج يؤججه اليهود بخبثهم ودسائسهم وانفتح على العالم عهد جديد من الحياة الإنسانية الراقية إذ زرع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك عنصر بقاء الامة، وفاعليتها الإيمانية[٣].

فأهل البيت (عليهم السلام) جاءوا بالأخوة الصحيحة، وحثوا عليها حثاً

(١) لجنة التأليف: أعلام الهداية: محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ص١٢٣.

(٢) السبحاني، جعفر: السيرة المحمدية، تعريب: د. يوسف جعفر سعادة، ص٧٦.

(٣) المجمع العالمي لأهل البيت: أعلام الهداية: محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ص١٢٣.

بالغاً ودعوا إليها بشدة وإصرار، مستهدفين بذلك انتظام قلوب المؤمنين وجعلها قلباً واحداً، إذ اعتبروها جسداً واحداً، متحدي الأحاسيس والمشاعر يحل فيه ذلك القلب النابض، وإذا اشتكى عضو من ذلك الجسد شيئاً اشتكته سائر الأعضاء.

فالمسلم أخو المسلم يكرمه ويؤثره على نفسه ويضحي من أجله، ويدافع عنه فلا يسلمه، وإذ ابتعد تقرب منه وإذ افتقر أغناه من ماله، وإذا مرض عاده، وإذا غاب زاره، وإذا استنصحه نصحه، يعدل فيما له، وما عليه ينصره ظالماً حين يأخذ على يده وينزله على الحق، وينصره مظلوماً فلا يخذله[1].

قال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام):

عليك بإخوان الصفاء فإنّهم ... عماد إذا استنجدتهم وظهور

وليس كثيراً ألف خل وصاحب ... وإنّ عدوّاً واحداً لكثير[2]

وكذلك نهى أهل البيت (عليهم السلام) عن مؤاخاة ثلاثة: الفاجر، والاحمق، والكذاب. عن الإمام عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ينبغي للمسلم أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة: الفاجر، والأحمق، والكذاب، فاما الفاجر فيزين لك فعله ويحب انك مثله، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، فمقارنته جفاء وقسوة، ومدخله عار عليك. وأما الأحمق فإنَّهُ لا يشير عليك بخير ولا يرجه لصرف السوء عنك ولو جهد نفسه، وربما أراد نفعك فضرك. فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه. وأما الكذاب فإنَّهُ لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك، وينقل اليك الحديث كلما أفنى أحدوثة مطاها بأخرى مثلها أنّه يحدث بالصدق فلا يصدق، يغري بين الناس بالعداوة فيبث الشحناء في

(١) الجمري، عبد الأمير: تعاليم إسلامية، ص٥١.

(٢) العاملي، الشيخ محمد بن الحسن الحر: وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٧.

الصدور. فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم[(١)].

٢- أنواع الاخوان

١- عن الإمام أبي جعفر الثاني (عليه السلام) قال: قام إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) رجل بالبصرة فقال: أخبرنا عن الإخوان، فقال: الإخوان صنفان إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، فأما إخوان الثقة فهم كالكف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على ثقة فأبذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه، واكتم سره وأعنه وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل، أنهم أعز من الكبريت الأحمر، وأما إخوان المكاشرة فإنّك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وأبذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان[(٢)].

ويقول السيد الحكيم (رحمه الله): إنّ (إخوان المكاشرة): هم أولئك الناس الذين يلتقي بهم في الحركة الاجتماعية العامة، فيصحبهم، ويقترن وجوده بوجودهم، ويصبحوا أخلاء له، من خلال حسن المعاشرة، والتودد والمعاملة بالحسنى، التي يعبر عنها أهل البيت (عليهم السلام) بـ(المكاشرة)، وهي التعامل بحسن الظاهر. أما (اخوان الثقة): هم أولئك الناس الذين لابد له ان يختارهم بدقة، من خلال التجربة والمعرفة بصدقهم، وأمانتهم، وحسن أخلاقهم، فيصح له أن يركن إليهم، ويثق بهم، إذ يكونون معه في السراء والضراء، ويعتمدهم في شؤونه الخاصة، ويكونون موضع سره وأمانته[(٣)].

(١) الحراني، تحف العقول، ص١٤٤.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٣.

(٣) الحكيم، محمد باقر: المنهاج الثقافي السياسي، ط٣، ٢٠١١، ص٢٣٧-٢٣٨.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أقل ما يكون في آخر الزمان أخ يوثق به[١].

٢- وعن الإمام الحسين (عليه السلام) قال: " الإخوان أربعة: فأخ لك وله، وأخ لك، وأخ عليك، وأخ لا لك ولا له، فسئل عن معنى ذلك؟ فقال (عليه السلام): الأخ الذي هو لك وله فهو الأخ الذي يطلب بأخائه بقاء الاخاء، ولا يطلب بأخائه موت الاخاء فهذا لك وله لأنّه إذا تم الاخاء طابت حياتهما جميعا، واذا دخل الاخاء في حال التناقض بطل جميعا.

والأخ الذي هو لك فهو الأخ الذي قد خرج بنفسه عن حال الطمع إلى حال الرغبة فلم يطمع في الدنيا إذا رغب في الاخاء فهذا موفر عليك بكليته. والأخ الذي هو عليك فهو الأخ الذي يتربص بك الدوائر ويغشى السرائر ويكذب عليك بين العشائر وينظر في وجهك نظر الحاسد فعليه لعنة الواحد. والأخ الذي لا لك ولا له فهو الذي قد ملأه الله حمقاً فأبعده سحقاً فتراه يؤثر نفسه عليك ويطلب شحاً ما لديك[٢].

٣- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:

" الإخوان ثلاثة: مواس بنفسه، وآخر مواس بماله وهما الصادقان في الإخاء، وآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة، فلا تعده من أهل الثقة[٣].

---

(١) الحراني: تحف العقول، ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

٣- أقسام الإخوان

١- الأخوة النسبية

وهي التي تنشأ بين أخوين لأبوين أو لاب أو أُم[١]. قوله تعالى:

{ وَلَهُ أَخٌ أو أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ }[٢]. { لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ }[٣]. { فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[٤]. { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ }[٥].

والمراد من هذه الآيات هي الأخوة النسبية.

٢- الأخوة الرضاعية

التي ليست من أب وأُم وإنّما رضعوا من أم واحدة[٦]. قال تعالى:

{ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ }[٧].

٣- الأخوة بالمشاكلة

أي شبيهته في الزهد والصلاح[٨]. قال تعالى: { يَا أُخْتَ هَارُونَ }[٩].

---

(١) الشيرازي: الأخوة الإسلامية، ص١٠.

(٢) سورة النساء: آية ١٢.

(٣) سورة يوسف: آية: ٧.

(٤) سورة يوسف: آية: ٦٣.

(٥) سورة القصص: آية ١١.

(٦) الشيرازي: الأخوة الإسلامية، ص١١.

(٧) سورة النساء: آية ٢٣.

(٨) الشيرازي: الأخوة الإسلامية، ص١١.

(٩) سورة مريم: آية ٢٨.

٤- الأخوة القبلية أو العشائرية

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[١]. الأخ وأصله أخو هو المشارك غيره في الولادة تكويناً لمن ولده وغيره أب أو أُم أو هما معاً أو بحسب شرع إلهي كالأخ الرضاعي أو سنة اجتماعية كالأخ بالدعاء على ما كان يراه أقوام فهذا أصله، ثم استعير لكل من ينتسب إلى قوم أو بلدة أو صنعة أو سجية ونحو ذلك يقال: أخو بني تميم وأخو يثرب وأخو الحياكة وأخو الكرم، ومن هذا الباب قوله «و إلى عاد أخاهم هوداً»[٢].

٥- الأخوة الدينية والعقائدية (العقدية)

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٣]. قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجد الخيف فقال: نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه إلى غير فقيه. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مسلم إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم. المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم[٤].

٤- حقوق الإخوان

الإسلام دين التآخي والتآلف، يُقدم المثل الصالح في نسج علاقات تقوم على الأخوة الصادقة. ويعتبر المقياس الصحيح للأُخوّة هو ذاك المستند إلى الحقوق

(١) سورة الأعراف: آية: ٦٥.
(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص١٧٧.
(٣) سورة الحجرات: آية: ١٠.
(٤) الحراني: تحف العقول، ص٣٦.

المتقابلة. فكل إخلال بها سوف ينعكس سلبا على رابطة الإخاء ويحقق علاقة غير سليمة بين الطرفين، بل مشحونة بروح العداء وتؤدي إلى القطيعة والجفاء. وللأَخ أيضاً حق الإكرام، فمن أكرمه حصل على رضا الله تعالى، وينبغي قضاء حاجته وترك تكليفه الطلب عند معرفتها، ويتوجب المسارعة إلى قضائها. فقضاء حقوق الإخوان أشرف أعمال المتقين. وبلغ السمو السلوكي لأهل العصمة، في تقدير حق الأخوّة[١].

إذ كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون تأكيداً بالغاً وجود مجموعة من الحقوق والواجبات التي يتحملها الإنسان المؤمن لاخوانه المؤمنين، ومن جملة هذه الحقوق حق مساعدته مالياً والانفاق عليه وسد حاجته ونصرته وفرج كربته واطعامه والنصيحة له والدعاء له والعفو والإحسان إليه..الخ[٢].

وقد جاءت هذه التأكيدات بأساليب عدة من التوجيهات:

إذ ضرب لنا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المثل الأعلى في مراعاة حقّ الإخوان، كان إذا غاب الرّجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده[٣].

عن الإمام علي (عليه السلام) يقول: «لا تُضيّعنّ حقّ أخيك اتكالاً على ما بينك وبينَهُ، فإنَّهُ ليسَ لك بأخٍ مَنْ أضعت حقَّهُ»[٤].

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من عظّم دين الله عظّم حق إخوانه،

---

(١) لجنة التأليف: الحقوق الاجتماعية في الإسلام، مركز الرسالة، ص٣٢.

(٢) الحكيم: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ج١، ص٤١٥.

(٣) الريشهري، محمدي: ميزان الحكمة، ج١،باب قضاء حاجة الاخوان، ص٥٠.

(٤) المدرسي، هادي: موسوعة الإمام علي في الأخلاق، ص٢٤.

ومن استخفَّ بدينه استخفَّ بإخوانه»[١].

وقال (عليه السلام) لبعض شيعته: مابال أخيك يشكوك؟ فقال: يشكوني إن استقصيت عليه حقي. فجلس (عليه السلام) مغضباً ثم قال: كأنّك إذا استقصيت عليه حقك لم تسيء أرأيتك ما حكى الله عن قوم يخافون سوء الحساب، أخافوا أن يجور الله عليهم؟ لا ولكن خافوا الاستقصاء فسماه الله سوء الحساب، فمن استقصى فقد أساء[٢].

وقال (عليه السلام): والله ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن.

وعن الإمام العسكري (عليه السلام): «وأعرف النّاس بحقوق إخوانه، وأشدّهم قضاءً لها، أعظمهم عند الله شأناً»[٣].

عن الإمام علي (عليه السلام) قال: إنَّ أخاكَ حقّاً مَنْ غَفَرَ زلَّتَكَ، وَسَدَّ خَلَّتَكَ وقَبِلَ عُذْرَكَ، وسَتَرَ عَوْرَتَكَ، ونَفى وَجَلَكَ، وحَقَّقَ أمَلَكَ[٤].

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله تعالى إجلاله في عينه والود له في صدره والمواساة له في ماله وأن يحرم له في غيبته وأن يعوده في مرضه وأن يشيع جنازته وأن لا يقول بعد الموت إلاّ خيراً[٥].

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٧١، ص٢٨٧.

(٢) الطبرسي، ابي الفضل علي: مشكاة الانوار في غرر الاخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، قم، دار الحديث،١٤١٨، ص١٨٦

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٤١، ص٥٥.

(٤) الشيخ الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٣٤.

(٥) الصدوق: الأمالي، ص٨٤.

وعن معلى بن خنيس قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن حق المؤمن، فقال: سبعون حقاً لا أخبرك إلاّ بسبعة، فإني عليك مشفق أخشى ألاّ تحتمل، فقلت: بلى إن شاء الله، فقال: لاتشبع ويجوع ولا تكتسي ويعرى ؛ وتكون دليله وقيمصه الذي يلبسه ولسانه الذي يتكلم به وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك وأن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك[١].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا وإنّ أعظم فرائض الله عليكم بعد فرض موالاتنا ومعاداة أعدائنا استعمال التقية على أنفسكم وإخوانكم ومعارفكم، وقضاء حقوق إخوانكم في الله[٢].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: ما من عبد يمتنع من معونة اخيه المسلم والسعي له في حاجته قضيت أو لم تقض إلاّ ابتلى بالسعي في حاجة فيما يأثم عليه ولا يؤجر، وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلاّ أبتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله[٣].

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ من طاف بالبيت سبعة أشواط كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف حتى عد عشرة[٤].

قال أبو عبد الله (عليه السلام): المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه، ولا يظلمه، ولا يكذبه، ولا يغتابه. وقال (عليه

---

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٧٤.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٧١، ص٢٢٩.

(٣) الحراني: تحف العقول، ص٢١١.

(٤) المجلسي: بحار الانوار، ج٧١، ص٢٢٧.

السلام): من حق المؤمن على أخيه المؤمن: أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده. وقال (عليه السلام): المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه، ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه[١].

وعن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: إذا لقي أخاه فليقبل موضع النور من جبهته[٢].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: إنّ المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء به الظن[٣]، وعن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات[٤].

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إنّ المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، فلا يخونه، ولايخذله، ومن حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولايلبس ويعرى أخوه، وما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم! وقال: أحبب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تمله خيراً ولا يمله لك، كن له ظهيراً فإنّه لك ظهير، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد زره وأجلله وأكرمه، فإنه منك وأنت منه، وإن كان عاتباً فلا تفارقه حتى تسل سخيمته، وإن أصابه خير فاحمدالله عزّ وجلّ، وإن ابتلي

---

(١) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٠٤.

(٢) الحراني: تحف العقول، ص١٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٣.

(٤) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٧١.

فأعطه، وتحمل عنه وأعنه[١].

عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: وأما حق أخيك فأن تعلم أنه يدك وعزك وقوتك، فلا تتخذه سلاحا على معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه، والنصيحة له فإنّ أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه ولا قوة إلا بالله[٢].

عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) في وصيته اليه: ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكونن على الاسائة أقوى منك على الاحسان، ولا على البخل أقوى منك على البذل، ولا على التقصير أقوى منك على الفضل، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانما يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه، الخبر[٣].

عن الإمام علي (عليه السلام) قال: إن الجنة لتشتاق إلى من سعى لأخيه المؤمن في قضاء حوائجه ليصلح شأنه على يديه، فاستبقوا النعم لذلك، فإنّ الله يسأل الرجل عن جاهه فيما بذله كما يسأله عن ماله فيما أنفقه[٤].

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): إنّ لله حسنة ادخرها لثلاثة: لإمام

---

(١) الاهوازي، الحسين بن سعيد الكوفي: المؤمن، ص٤٢.

(٢) ابن الحسين، الإمام علي عليه السلام: : رسالة الحقوق للامام زين العابدين عليه السلام، ص٢٠.

(٣) القبانجي، حسن: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١٠،تحقيق: طاهر السلامي الشيخ، ص٣١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١٠

عادل، ومؤمن حكم اخاه في ماله، ومن سعى لاخيه المؤمن في حاجته[١].

عن أبي عبيدة الحذاء، عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: " يحق على المؤمن للمؤمن النصيحة"[٢].

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): لا يكلف المؤمن أخاه الطلب إليه إذا علم حاجته، توازروا وتعاطفوا وتباذلوا ولا تكونوا بمنزلة المنافق الذي يصف ما لا يفعل[٣].

عن مُحَمَّد بن مسلم قال: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له عند الوداع أوصني فقال أوصيك بتقوى الله وبر أخيك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه، وإن كف عنك فاعرض عليه، لا تمله خيراً فإنَّهُ لا يملك، وكن له عضداً فإنَّهُ لك عضد، وإن وجد عليك فلا تفارقه حتى تسل سخيمته وإن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فاكنفه واعضده ووازره ولا طفه وأكرمه، فإنَّهُ منك وأنت منه[٤].

وعن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى[٥].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن

---

(١) الريشهري: ميزان الحكمة، ج١، ص٤٩.

(٢) الطبرسي: مشكاة الانوار في غرر الاخبار، ص١٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤.

(٤) الطبرسي: مشكاة الانوار في غرر الاخبار، ٢٢٥.

(٥) المجلسي: بحار الانوار، ج٧١، ص٢٣٤.

أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه"[١]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): المؤمن مرآة لأخيه المؤمن، ينصحه إذا غاب عنه، ويميط عنه ما يكره إذا شهد، ويوسع له في المجلس[٢].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

للمسلم على المسلم ست خصال بالمعروف: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويسمته إذا عطس ويعوده إذا مرض، ويحضر جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه[٣].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " المؤمن لا يغش المؤمن ولا يظلمه ولا يخونه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يغتابه ولا يقول له "أف" فإنَّهُ إذا قال له "أف" لم تكن بينهما ولاية، فإذا أتّهمه إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح من في الماء، ومن أطعم مؤمنين أشبعهما كان أفضل من رقبة"[٤].

وقد كان الغزالي يعظم رابطة الأخوة حتى يجعلها عقداً كعقد النكاح بين الزوجين، لذلك اقتضى عقد الأخوة حقوقاً واجبة كما اقتضى عقد النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها، وحقوق الأخوة يجملها الغزالي بالقول: " إنّ لأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف "[٥].

(١) سنن ابي داود، كتاب الادب، باب في النصيحة والحياطة، ح٤٩١٨

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٧١، ص٢٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٥.

(٤) الطبرسي: مشكاة الانوار في غرر الاخبار، ص١٨٧.

(٥) خواجه، احمد: الاداب التعاملية في فكر الإمام الغزالي، ط١، ١٩٨٦، ص٩٢.

٥- الحب في الله وأثره على الأخوة

يعيش الإنسان في حال بحث دائم عن شيء أجمل من كل جميل وأسمى من كل سام، وأقوى من كل قوي، فهو يبحث عن ضالته هذه منذ أن يولد، أو على الأقل منذ أن يميز يمينه عن شماله حتى يلتحق في الرفيق الأعلى. ويخيل للإنسان أنّ ضالته هذه تتمثل في المال فيجهد نفسه في سبيل أن يحصل عليه ولكن لا يلبث أن يكشف أنّ المال ليس ضالته، فهو لم يستطع أن يشبع غروره، ولم يملأ فراغه، فيزعم هنا أنّ المزيد من هذا المال كفيل بأن يشبع نهمه حتى يغدو شرهاً لا يشبعه شيء. وقد يتصور الإنسان أنّ القوة هي الهدف الذي ينشده، أو أنّ الشهرة هي ضالته، حتى يكشف في نهاية المطاف أنّها ضلالة وليست ضاله، حتى يعرف ربه، ويكن الحب له من دون تلك المظاهر المادية، وحينئذ يملأ هذا الحب قلبه، ونفسه، والفراغات كلها التي يعاني منها حتى لا يجد في نفسه ذرة من الفراغ. ومن المعلوم أنّ حبين لا يمكن أن يجتمعا في قلب واحد، فالذي يحب الله لا يحب شيئاً آخر إلاّ في سبيل الله وفي ذاته، الذي يجد ربه، ويصل إلى مستوى حبه فإنَّهُ مهما بحث لن يجد هناك شيئاً يمكن أن يملأ فراغه لأنّ قلبه قد ملئ حباً لله تعالى[١].

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٢]. ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله ﴾[٣].

وكما نجد أنّ الأب الرؤوف والأم الرؤوم وإن كانوا متكبرين أو حسودين أو

---

(١) آية الله المدرسي، محمد تقي: في رحاب الإيمان، ط١، ١٤١٧هـ، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) سورة البقرة: آية: ١٦٥.

(٣) سورة ال عمران: آية: ٣١.

بخيلين لا يرتكبان الرذائل ولا يعملان على تلك الرذائل بخصوص أولادهما، وكذلك الأخ الرؤوف لا يغتاب أخاه بل إذا سمع غيبته منعها، والابن الرؤوف يفكر دائماً في سرور أبويه. وكذلك الزوج الصالحة لا ترضى أن تسمع معائب زوجها بل تكون بصدد تبريرها وسترها. فهذه المحبة لو جرت في المجتمع نظير جريان الدم في البدن تصلح غالب المفاسد وترفع غالب الرذائل ولاسيما إذا كانت شديدة، بل تتبدل غالب المفاسد إلى المصالح والرذائل إلى الفضائل كالايثار، والعفو، والصفح، بل لا يرى المحب في مجتمعه إلاّ الفضيلة(١).

يقول الدكتور علي القائمي: إنّه يجب أن نفعل ما من شأنه أن يؤدي إلى محبة الطفل لله، وهذا ما يجعله ملتزماً بأحكام الله. وأن بلوغ هذه الغاية يطلب منا أن نظهر له ان الله محبوب ورؤوف ورحيم، وأكثر عطفا من الوالدين. ومن الضرورة أيضاً أن تستقر في ذهنه فكرة ان الله يحبه ويريد له ان يكبر ويكون فردا فاضلا وسعيدا، ومرموقا. ويجب ان نحدث الأطفال دوما ومنذ السنة السادسة من أعمارهم عن رحمة الله وعنايته ولطفه وكرمه، لا عن غضبه وناره وعقابه. يمكن الإفادة من الوسائل المشروعة جميعها لتغذية الطفل بمحبة الله، ولو عن طريق اختلاق القصص في هذا الصدد وسردها عليه، ولا ننسى أيضاً أنّ تصورات الابوين وأحاديثهم بشأن الله تؤثر في صياغة أفكار الطفل نحو محبة الآخرين(٢).

ومحبة الله عند الصوفية تعظيم لله، فلا محبوب سواه، ومحبة الله للعبد هو أن يسلبه فلا يصلح لغيره. ويرى الغزالي أنّ أسعد الناس في الآخرة، أقواهم محبة الله، فهو سعيد بانتقاله من الدنيا، سعيد بلقاء محبوبه ويقول في ذلك: " ما أعظم

---

(١) الشيخ المظاهري، حسين: دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية، ص١٩٤- ١٩٥.

(٢) القائمي، علي: التربية والتعليم الديني للاطفال، ص٧٨.

النعيم الذي يبقى فيه المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه، واكتمل بذلك رؤيته على الدوام ومشاهدته على الاستمرار، من غير حجب أو كدر، ومن دون ألم أو حزن أو رقيب، وبلا خوف أو وجل. وهذا النعيم على قدر قوة الحب، فكلما زادت محبة الإنسان لله تعالى، كلما زادت اللذة التي يذوقها والسعادة التي تفاض عليه في العالم الآخر" وازدادت روح الأخوة عنده[١].

ويقول الشيخ النراقي: إنّ من تمام الحب للاخوان في الله (الوفاء) وهو الثبات على الحب ولوازمه وادامته إلى الموت وبعده مع أولاده وأصدقائه، وضده (الجفاء) وهو قطع الحب أو بعض لوازمه في أيام الحياة أو بعد الموت بخصوص أولاده وأحبته، ولولا الوفاء في الحب لما كانت فيه فائدة، إذ الحب إنّما يراد للآخرة، فإنّ انقطع قبل الموت لضاع السعي وحبط العمل. ولا ريب في أنّ المحبة التي تنقطع - ولو بعد الممات - لا تكون محبة في الله، إذ المحبة في الله دائمة لا انقطاع لها[٢].

أما إخوان الصفا فقد بينوا أنّ لهم علاقات قوية تربطهم بأُناس من الطبقات المختلفة فلهم علاقات وطيدة مع أولاد الملوك والأُمراء والعمال والكتاب وحكام الأقاليم ورؤساء الفلاحين، وتربطهم علاقة أيضاً بأولاد التجار والعلماء والفقهاء وتمتد إلى أولاد الصُناع والمتصرفين. وجعل الإخوان لكل طائفة من هؤلاء شخصاً من جماعتهم ينوب عنهم لمساعدتهم في أُمور الدين والدنيا، فيلقي لهم النصيحة والمساعدة ويلقي عليهم من حكمته، فضلاً عن التحنن والرفق والشفقة والرحمة

---

(١) الشرقاوي، حسن: معجم الفاظ الصوفية، مؤسسة المختار – القاهرة، ط١، ١٩٨٧. ص٢٥٤- ٢٥٦.

(٢) النراقي: جامع السعادات، ج٣، ص٥٥٩.

بهم ويدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى وإلى ما جاء به الأنبياء وما أشار إليه الأولياء من أمر التنزيل والتأويل لإصلاح أمر الدين والدنيا، فإذا عرفوا أنّ هذا الصديق الجديد أو الأخ بحسب تعبير إخوان الصفاء، من الذين يخدمون السلاطين ويتصرف في أعمالهم فإنّهم يوصون جماعتهم الذين في حضرة السلاطين أن يداروهم، وإن كان من أصحاب الأملاك يسهمون في الحفاظ على أملاكه من أيدي الظالمين، وإن كان من الفقراء فيسهمون في تقديم العون له مما آتاهم الله من فضله، وإن كان من المحتاجين إلى العلم ويرغب في الحكمة والأدب وأمر الدين وطلب الآخرة فسوف يعلمونه مما علمهم الله عزّ وجلّ ففي الوقت الذي يكون التعاون بين أهل الدنيا سهلاً يسيراً، فإنّ تعاون الإخوان في تقديم خدمة العلم والمعرفة والتعاون في أمر الآخرة برأيهم له السهولة نفسها فضلاً عن ذلك فإنّ الإخوان لا يستعينون بأحد من إخوانهم على أمر الدين قبل أن يعينوه هم على أمر الدنيا، فإنّ كان غير محتاج إلى مساعدتهم فهذا ما يريدونه له، وإن كان محتاجاً إليهم فذلك ما يريدونه منه. فإذا كان محتاجاً إلى المساعدة فيقدمونها له وعندها يفرغ قلبه لهم فيعرفون ما علمه وهل عنده علمٌ جديد فإن كان كذلك فإنّهم يقولون: (فإن كان عنده علم ليس عندنا تعلمنا منه تعلم صبيان الكتاب، واستمعنا منه استماع المنصتين لخطبة الخطيب يوم الجمعة، فأن كان حقاً ما يقول اتبعناه اتباع المأموم والإمام، وإن كان يرغب فيما عندنا من العلم علمناه بحسب رغبته وطلبته) (١).

ولقد سعى أهل البيت (عليهم السلام) إلى تطوير هذه العلاقة، روحياً ونفسياً لتصل إلى درجتها العالية، فتصبح متقدمة على الأخوة النسبية في مضمونها

(١) طاهر، علي هادي: المعرفة والتربية والتعليم عند اخوان الصفا، رسالة ماجستير، ٢٠٠٢، ص١١٦- ١١٧.

الإنساني والاجتماعي والروحي، إذ يكون الحب والود فيها خالصاً لله تعالى ومن أجله، وتتصف في آثارها ونتائجها بالمساواة للإنسان بنفسه، بل حتى إيثار أخيه المؤمن على نفسه[١].

عن الإمام علي (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يدخل الجنة (رجل ليس له فرط) قيل: يا رسول الله، ولكل فرط؟ قال: نعم، إن من فرط الرجل أخاه في الله[٢]. وقال الإمام علي (عليه السلام): " خَيْرُ الإخوانِ مَنْ كانَتْ في الله مَوَدَّتُه[٣] وقال (عليه السلام) " تُبْتَنى الأخوة في الله علَى التَّناصُحِ في الله، والتَّباذُلِ في الله، والتَّعاونِ على طاعةِ الله، والتَّناهي عن معاصِي الله، والتَّناصرِ في الله، وإخْلاصِ المَحَبَّةِ " وقال عليه السلام "مَنْ آخى في الله غَنِمَ ". وقال (عليه السلام) أيضاً: اخوك في الله من هداك إلى رشاد، ونهاك عن فساد، وإعانك على اصلاح معاد[٤].

عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: " من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاءً باخائه طالباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله وأماناً من عذاب الله وحجة يفلج بها يوم القيامة وعزاً باقياً وذكراً نامياً، لأن المؤمن من الله عزّ وجلّ لا موصول ولا مفصول. قيل له (عليه السلام): ما معنى لا مفصول ولا موصول؟ قال: لا موصول به إنّه هو، ولا مفصول منه إنّه من غيره[٥].

---

(١) الحكيم: المنهاج الثقافي السياسي، ص٢٣٦.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٧.

(٣) الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٩.

(٥) الحراني: تحف العقول، ص٢١٣.

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من زار أخاه في الله قال الله عزّ وجلّ: إياي زرت وثوابك علي؛ ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة[١].

عن الإمام الرضا (عليه السلام) يقول: من استفاد أخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة[٢].

ويقول الإمام أبو العزائم[٣] عن الأخ في الله فيقول: " هو أنت إلاّ أنّه شخص آخر لأنّه يقصد ما تقصد، ويتمنى ما تتمنى ويعتقد ما تعتقد ويعمل بعملك ويقتدي بقولك وعملك وحالك، ذاق ذوقك. وفهم عبارتك، وأدرك إشارتك، يسعى فيما يرضيك ويحب من تحب، يصادق صديقك، ويعادي عدوك، يحفظك غائباً ويسرك حاضراً يذكرك إن غفلت ويعينك ان ذكرت، يسارع في مراضيك عندما ترضى الله، ويتوقف عن العمل ان جهل حكم عملك، حتى يتبين له من دون جدل ولا انتقاد ولا اعتراض تجمل بكل خصالك واتصف بجميع صفاتك، ودك بأكمل ما يود به نفسه، وتحمل الشدائد في جمع الكلمة يجاهد نفسه ليتجمل بمكارم الأخلاق. يصل رحمك ويكرم اقاربك ويعطف على أولادك.... هذا هو الأخ ولو كان بعيد عن النسب عنك، الأخ هو أنت خلقاً واعتقاداً ومقصداً وعملاً وحالاً. الأخ من بذل نفسه قبل نفسك، وماله قبل مالك، وقدم أصدقاءك وأهلك وأولادك على خاصته وأهله وأولاده. ليس الأخ بنسب الأبوين إنّما الأخ من ناسبك في خصوصيتك، وتشبه بك في جميع أحوالك. قرب منك بما جملك الله به. فصار قريبك وانتسب إليك بما تقربت به إلى الله تعالى فصار من

---

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص١٧٦.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٣٢.

(٣) اسمه: السيد محمد بن السيد عبد الله المحجوب ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام

نسبك، الأخ من لا تتكلف له ولا تخشى الشر منه، استوى عندك السر والعلن معه، وأنت عظيم في عينه وقلبه في كل أحوالك، من يسر وعسر وبعد وقرب، ان شددت يسر وان يسرت هابك، سروره ان تكون مسروراً، هذا هو الأخ (وقليل ما هم) فهذا الأخ هو الوارث للأحوال والعلوم والأسرار فإذا كان من أهل نسبك كان ذلك أجمل وأكمل وذلك هو الفوز العظيم، وإنّما هي مشابهة توجب القرب بعد الحب، فالرقي إلى المقام بعد الحال، فالوصول فالكمال"[(١)].

ويرى المتصوف الجنيد البغدادي يقول: " ما تواخى اثنان في الله، واستوحش أحدهما، إلاّ لعلة أحدهما"[(٢)].

---

(١) حموده، محمد يوسف: منهج التربية عند الإمام ابي العزائم، دار المدينة المنورة، القاهره، ط١، ١٩٨٩، ص٩٨.

(٢) السهروردي، للامام العرف شهاب الدين ابي حفص: عوارف المعارف، ج٢، تحقيق: د. عبد الحليم محمود. ود. محمود بن الشريف، دار المعارف، ص٢٣٢.

المبحث الثالث: الأمراض النفسية وطرائق كبحها في مدرسة آل البيت عليهم السلام

تمهيد

اهتم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بمعالجة الأمراض النفسية، فكانت عنايتهم في تهذيب النفوس. كعنايتهم في صحّة الأبدان. فهم أطباء الروح والجسد، وقد رجع إليهم جماعة المسلمين فقد كانوا يرجعون إليهم في شفاء أمراضهم الروحية كما كانوا يستوصفونهم لأمراضهم البدنية، فلم يكونوا (عليهم السلام) مبلغي أحكام وأئمّة تشريع فحسب، بل كانوا قادة أولوا عنايتهم المسلمين، يهمهم صحّة أبدانهم وأديانهم[1].

إن الأمراض النفسية أخطر وأقوى من الأمراض الجسدية، وذلك لأنّ علاج الأمراض الجسدية عن طريق الطبيب وتناول الأدوية والحمية التي تحمل أثراً سلبياً يمكن ملاحظته فيضطر الشخص إلى معالجة نفسه خوفا منه من تفاقم المرض. فيقول الشيخ القرشي (رحمه الله): إنّ هذه الأمراض هي من النزعات الشريرة الكامنة في آفاق النفس تدفع إلى المنكر والاثم، وتصد عن الطريق القويم، فإذا

---

(١) النيسابوريين، أبو عتاب عبد الله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام: طب الائمة، منشورات الرضى، قم، ط٢، ١٣٦٣، ص٣.

تركت وشأنها طغت على الإنسان، وسلبت منه المثل الكريمة، وجردته من الصفات الرفيعة التي يمتاز بها عن الحيوان السائم، وقد وضع الإسلام الاسس السليمة لقلع جذورها، واخماد نارها، وتجميد فعالياتها ليكون الإنسان بمأمن من شرورها وآثامها[١].

أما السيد مُحَمَّد باقر الحكيم فقال: هي مجموعة من الاتجاهات والانفعالات النفسية المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية يحرمها الشارع المقدس، ويحذر منها أشد التحذير بسبب ما يمكن أن تحدثه من تأثير سلبي على مسيرة الإنسان التكاملية الاجتماعية[٢].

والإنسان إذا سعى إلى الكمال وأراد أن يحقق لنفسه كل مطالب السعادة الأبدية فعلية الالتزام بالضوابط الأخلاقية التي ترتضيها الأديان وعليه ان يتخلى عن الرذائل كلها وكل ما من شأنه أن يؤدي به إلى تلك الأمراض النفسية التي تعقد مسيرته ومسار حياته الاجتماعية والدينية فعليه أن يلتزم الأخلاق والدين لكي يبعد ذلك عن نفسه، ولكي يكون كما أراد الله له، ولكي يظهر بالمظهر اللائق أمام المجتمع الصالح الذي نسعى إلى تحقيقه على وفق تعاليم الدين الحنيف، وكل هذا يتم باصلاح " النفس " فيجب على الإنسان ألاّ يهمل نفسه ويتركها بعيدة عن التهذيب والتطويع، وكما قال الشاعر[٣]:

أبدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

وكما قال سقراط: " أعرف نفسك بنفسك"[٤].

---

(١) القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص٢٩٠.

(٢) الحكيم: دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ج٢، ص٦١.

(٣) العطار، مهدي: محاضرات أخلاقية، المركز الثقافي للنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢٢٢.

(٤) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٦٤.

ومن هذه الأمراض هي:

أولاً - العجب

يعد العجب من الظواهر المرضية عند بعض الناس، فيعجبون بعقولهم وانفسهم وارائهم، ويرون الفضل كله لهم ولا فضل لغيرهم[١]. هو استعظام الإنسان نفسه لاجل مايرى لها من صفة الكمال، سواء كانت له تلك الصفة في الواقع أم لا. وسواء كانت صفة كمال في الأمر نفسه أم لا، وقيل: " هو اعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم "، ولا يعتبر في مفهومه رؤية نفسه فوق الغير في هذا الكمال وهذه النعمة، وبذلك يمتاز عن الكبر، إذ الكبر هو ان يرى لنفسه مزية على غيره في صفة كمال، وتعبير آخر هو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فالكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبراً به. والعجب لا يستدعي غير المعجب، بل لو لم يخلق الإنسان إلاّ وحده تصور ان يكون معجباً، ولا يتصور ان يكون متكبراً، إلاّ أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الآخر في صفة الكمال ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبراً، فلا يتكبر عليه، فهو معجب وليس متكبراً ولا يكفي ان يستحقر غيره، فإِنَّهُ مع ذلك لو راى نفسه احقر أو راى غيره مثل نفسه لم يكن متكبراً، بل المتكبر هو أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره[٢].

قال تعالى: { أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا }[٣].

---

(١) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٢٤٧.

(٢) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢٠٢.

(٣) سورة فاطر: آية: ٨.

عن الإمام أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن العجب الذي يفسد العمل؟ فقال: العجب درجات، منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربه، فيمن على الله عزّ وجلّ، ولله عليه فيه المنّ[١].

ويقال: العجب هو ابتهاج الإنسان وسروره بتصور الكمال في نفسه وإعجابه بأعماله، والإدلال بها بظن تماميتها وخلوصها، وحسبان نفسه خارجاً عن حد التقصير، لا السرور بصدور العمل مع التواضع لله والشكر له على التوفيق، والخوف من ترك تمامه وانتفائه قبوله، فإنّه لا بأس به، بل هو حسن[٢].

عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: سئل النبي (صلى الله عليه وآله) عن خيار العباد؟ فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا[٣].

ونقلاً عن العلامه المجلسي، قال الشيخ البهائي قدس الله روحه: لا ريب أن من عمل أعمالا صالحة من صيام الأيام، وقيام الليالي، وأمثال ذلك، يحصل لنفسه ابتهاج، فإنّ كان من إذ كونها عطية من الله له، ونعمة منه تعالى عليه، وكان مع ذلك خائفاً من نقصها شفيقاً من زوالها، طالباً من الله الزيادة منها، لم يكن ذلك الابتهاج عجباً وإن كان من إذ كونها صفة وقائمة به ومضافة إليه، فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حد التقصير، وصار كأنّه يمن على الله سبحانه بسببها فذلك هو العجب[٤].

(١) العاملي: وسائل الشيعة، ج١، ص١٠٠

(٢) آية الله المشكيني: درووس في الأخلاق، ص٢٠٠

(٣) العاملي: وسائل الشيعة، ج١، ص١٠٦.

(٤) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٩، ص٣٠٦. وينظر الموسوي، الاربعون حديثاً، ص٧٧.

أما السيد روح الله الخميني قال: يجب اعتبار العمل أعم من العمل الباطني والظاهري، القلبي والشكلي، وكذلك أعم من العمل القبيح والعمل الحسن، وذلك لأنّ العجب مثلما يدخل على أعمال الجوارح يدخل كذلك على أعمال الجوانح فيفسدها، وكما أنّ صاحب الفضيلة الحسنة يعجب بخصاله، كذلك يكون ذو العمل الشنيع أيضاً أي ان يعجب بخصلته، لأنّهما خافيان عن نظر أغلب الناس(١).

و العجب حال واحدة من ثلاث حالات ناتجة عن انشداد الإنسان بمحور الأنا، وهذه الحالات الثلاثة هي " العجب " و"الاعتداد بالنفس" و" الأنانية ". و"العجب " هو أن يستأثر الأنا باعجاب الإنسان ويحجبه عن رؤية فضله تعالى ورحمته به، وفي مقابل " العجب " الشعور بالتقصير والعجز عن اداء شكره ومقابلة فضله ورحمته بالطاعة والعبادة ". ويرى أنّ الحال الأولى " العجب "، يضع الإنسان ثقته في نفسه، ويعتمدها، وهي الحالة الانحرافية في التعامل مع النفس. وفي الحال الثانية " الاعتداد بالنفس " يضع الإنسان ثقته في الله تعالى، ويعتمده في شؤونه وحياته واعماله كلها وهي الحال السوية في التعامل. والحال الثالثة " الانانية " من حالات الإنحراف النفسي في انشداد الإنسان بنفسه هي حال الانانية، وهي حال يكون فيها " الانا " هو المحور الذي يدور حوله كل حركة الإنسان ونشاطه، ويستأثر بكل فعالية الإنسان وتحركه، وفي مقابل هذه الحال " الاخلاص لله " الذي يجعل من مرضاة الله تعالى محوراً لكل سعي الإنسان وحركته ونشاطه(٢).

إذن هناك ثلاث حالات من الانشداد بالذات هي العجب، والاعتداد بالنفس، والأنانية، وهي حالات انحرافية في نفس الإنسان نابعة من انشداد

(١) الخميني، روح الله: الاربعون حديثاً، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ٢٠١١، ص٧٧.

(٢) الاصفي، محمد مهدي: العجب، ص١٠.

الإنسان إلى نفسه، وحبه لها، وفي مقابلها حالات ثلاثة سوية من الانشداد بالله تعالى والتعلق به، وايثار مرضاته على كل شيء، والاحساس بالتقصير والعجز من اداء شكر الله تعالى والتوكل عليه[١]. فالعجب ينشأ من حب النفس، والمحبوب لا يرى زلته، ولا يعتقد نقصه بل يرى بعين الكمال. ومن بلايا العجب ان يؤدي إلى بغض الأمر الذي به وقع العجب، لأنّ المعجب بنفسه في أمر لا يتزيد منه ثم يرتقي إلى ان يعيب غيره في الاعتقاد، والنقص في سواه[٢].

إذن العجب هو مجرد اعظام النفس لأجل كمال أو نعمة، واعظام نفس الكمال والنعمة مع الركون ونسيان إضافتها إلى الله. فإنّ لم يكن معه ركون وكان خائفاً على زوال النعمة مشفقاً على تكدرها أو سلبها بالمرة، أو كان فرحاً بها من إذ إنّها من الله من دون إضافتها إلى نفسه لم يكن معجباً، فالمعجب ألاّ يكون خائفا عليها، بل يكون فرحا بها مطمئنا اليها، فيكون فرحه بها من إذ انها صفة كمال منسوبة اليه، لا من إذ انها عطية منسوبة إلى الله تعالى. ومهما غلب على قلبه انها نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب. ثم لو يضاف إلى العجب أي غلب على نفس المعجب - إنّ له عند الله حقّاً، وإنّهُ منه بمكان، واستبعد ان يجري عليه مكروه، وكان متوقعا منه كرامة لعمله، سمي ذلك (إدلالاً) بالعمل، فكأنّه يرى لنفسه على الله دالة فهو وراء العجب وفوقه إذ كل مدل معجب، ورب معجب لا يكون مدلاً، إذ العجب مجرد الاستعظام ونسيان الاضافة إلى الله من دون توقع جزاء على عمله، والادلال يعتبر فيه توقع الجزاء بعمله، إذ المدل يتوقع اجابة

---

(١) المصدر نفسه: ص١١.

(٢) السيرواني، الشيخ عبد العزيز عز الدين: الطب الروحاني " تهذيب الأخلاق "، دار الانوار – بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص٦٧.

دعوته ويستنكر ردها بباطنه ويتعجب منه، فالادلال عجب مع شيء زائد[١].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له العالم: فإن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدل، إن المدل لا يصعد من عمله شيء[٢].

ويرى (ابن مسكويه): أنّ العجب ظن كاذب بالنفس، باستحقاق مرتبة هي غير مستحقة لها. ومن عرف نفسه: أن يعرف كثرة العيوب والنقائص: التي تعتورها. فإنّ الفضل مقسوم بين البشر، وليس يكمل الواحد منهم إلاّ بفضائل غيره. وكل من كانت فضيلته عند غيره: فواجب عليه أن لا يعجب بنفسه[٣].

فالعجب من أخبث الصفات وأعظم المهلكات، سواء أكان حالاً غير راسخة في القلب أو صار بالمداومة عليه ملكة راسخة، وهو من أشد الحجب بين القلب والرب تعالى. والمعجب مبغوض عند الله، مسلوب التوفيق من ناحية الله لحسبان نفسه غنياً عن إنعامه وإفضاله ونعوذ بالله من ذلك[٤]. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٥].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) " ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى

---

(١) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢٠٢.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص٣١٣.

(٣) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، ص٢٠٥.

(٤) آية الله المشكيني: درووس في الأخلاق، ص٢٠٠.

(٥) سورة النجم: آية: ٣٢.

متبع وإعجاب المرء بنفسه[١].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال الله عزّ وجلّ لداود (عليه السلام) يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال: كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين؟ قال: يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك[٢].

قال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لابنه مُحَمَّد بن الحنفية: إياك والعجب، وسوء الخلق، وقلة الصبر، فإنَّهُ لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب الخبر[٣].

وما على انفسنا ان نتجنب عبادة النفس والعجب بها فإنَّهُ ذنب، والعجب نبات بذرته الكفر، وأرضه النفاق، وماؤها الفساد، وأغصانها الجهل، وأوراقه الضلالة، وثمرته اللعنة والخلد في الجحيم[٤].

تأثير العجب على العقل

إنّ العجب من المهلكات والموبقات، وهو يحبط إيمان الإنسان وأعماله ويفسدها، والعجب أشد من الذنب في حضرة الله تعالى، فإنَّهُ تعالى يبتلي المؤمن بالمعصية لكي يصبح آمناً من العجب ويعتبر آل البيت (عليهم السلام) العجب من المهلكات[٥]. عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من دخله العجب

---

(١) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٣، ص٣٥٩.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج١، ص٩٩.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٦٩، ص٣١٥.

(٤) القمي، عباس: خمسون درسا في الأخلاق، تحقيق: نزار الحسن، ص٣٠.

(٥) الخميني: الاربعون حديثاً، ص٨٣.

هلك[١]. والعجب يكشف عن إلغاء دور العقل في أداء وظيفته، أو يؤدي إلى فساده، كما قال الإمام علي (عليه السلام): "رضاك من نفسك من فساد عقلك"[٢]. فأنّ اعجاب الفرد بنفسه يكشف عن سطحية تفكيره، وعن بلادة في ذهنه، وقلة وعيه وذكائه، وعن قصر نظره للحياة والمستقبل. فالإنسان يحتاج إلى مزيد من العلم وإلى مواصلة العمل، فهذا الإنسان الذي استغنى عن الآخرين، واكتفى بما عنده من العلم، يريد أن يتطور ويستمر في مسيرته من دون أي عمل، وهذا لا يمكن؛ لأنّه قد عطل عقله وأضعفه على نحو لا يستطيع ان يسير نحو السعادة والكمال[٣]. قال الإمام علي (عليه السلام): " المعجب لا عقل له"[٤].

ومن تأثير العجب على العقل فإنَّهُ يؤدي الى:

١- العجب، شجرة خبيثة نتاجها الكثير من الكبائر والموبقات، فعندما يتأصل العجب في القلب يجر عمل الإنسان إلى الكفر والشرك وإلى ما هو أعظم من ذلك[٥].

٢- والعجب يدعو إلى الكبر والعظمة والتفوق والتفاخرعلى الآخر، والتطاول على الناس[٦].

قال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: الافتخار من صغر الاقدار[٧].

---

(١) الكليني: الكافي، ج٢، ص٣١٣.

(٢) المدرسي: موسوعة الإمام علي في الأخلاق، ص٣١٩

(٣) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٢٥٢.

(٤) المدرسي: موسوعة الإمام علي في الأخلاق، ص٣١٩

(٥) الخميني: الاربعون حديثاً، ص٨٥.

(٦) شبر، عبد الله: الأخلاق، ص١٩٦.

(٧) المدرسي، هادي: موسوعة الإمام علي في الأخلاق، ص٣٢١.

٣- والعجب يجعل الإنسان يعتمد نفسه في أعماله، وهذا ما يصبح سبباً في ان يحسب الإنسان الجاهل المسكين نفسه في غنى عن الحق تعالى، ولا يلاحظ فضل الحق تعالى، ويرى - بحسب عقله الصغير - ان الحق تعالى ملزم بان يعطيه الاجر والثواب، ويوهم أنّه حتى لو عومل بالعدل أيضاً لاستحق الثواب[١].

٤- والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن أنها تغفر له وأما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضياعاً، فإنّ الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقيّة عن الشوائب فلم تنفع. وإنما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف من دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه، ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنّه عند الله بمكان وأنّ له عند الله منّة وحقاً بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطيّة من عطاياه ويحوجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها فإنّ أعجب برأيه وعلمه وعقله منعه ذلك من الإفادة والاستشارة والسؤال فيستند بنفسه وبرأيه ويستنكف عن سؤال من هو أعلم منه. وربما يعجب بالرأي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره، فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب ولذلك كان من المهلكات[٢].

---

(١) الخميني: الاربعون حديثاً، ص٨٥.

(٢) الكاشاني، الفيض: الحقائق في محاسن الأخلاق، ص٩٨.

٥- والعجب يدفع الإنسان إلى الرياء، لأنّ الإنسان بصورة عامة إذا استصغر أعماله وجدها لا شيء ووجد أخلاقه فاسدة وايمانه لا يستحق الذكر عندما لا يكون معجباً بنفسه ولا بصفاته ولا بأعماله، بل يرى نفسه وجميع ما يصدر عنها سيئاً وقبيحاً فلا يعرضها ولا يتظاهر بها، فإنّ البضاعة سيئة لا تصلح للعرض. ولكنّه إذا رأى نفسه كاملاً وأعماله جيدة، فإنَّهُ يندفع إلى التظاهر والرياء ويعرض نفسه على الناس[(١)].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) - في حديث -: قال موسى بن عمران (عليه السلام) لإبليس: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه[(٢)].

فاذا عرف الإنسان هذه التاثيرات بصورة صحيحة ولاحظها بدقة ورجع إلى الأخبار والآثار الواردة عن آل البيت (عليهم السلام)، فمن الواجب أن يعتبر الإنسان نفسه ملزماً بالنهوض لاصلاح النفس وتطهيرها من هذه الرذيلة واستئصال جذورها من باطن النفس؛ لئلا ينتقل إلى العالم الآخر وهو بهذه الصفة، وإنّه حينما يغمض عينيه المادية الملكوتية ويشرق عليه سلطان البرزخ والقيامة، يرى أنّ حال كبائر المعاصي أفضل من حاله، إذ غمرهم الله برحمته الواسعة بسبب ندمهم أو بسبب ما كان عندهم من رجاء بفضل الله تعالى، وأما هذا المسكين الذي رأى نفسه مستقلاً وحسبها في باطن ذاته غنية عن فضل الله، فيرى أنّ الله تعالى حاسبه لذلك حساباً عسيراً، وأخضعه لميزان العدل كما أراد،

---
(١) الخميني: الاربعون حديثاً، ص٨٥.

(٢) العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٩٩.

وأفهمه أنّه لم يقم أيّ عبادة لله تعالى، وأنّ عباداته جميعها أبعدته عن الساحة المقدسة، وأنّ أعماله كلها وإيمانه باطل وتافه، بل وأنّ تلك الأعمال والعبادات نفسها هي سبب الهلاك وبذرة العذاب الأليم ورأس مال الخلود في الجحيم[١].

علاج العجب

وللعجب علاجان هما:

١- علاج العجب إجمالاً

علة العجب الجهل المحض فالعلاج هو العلم والمعرفة المضادة لذلك الجهل فليفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات، فإنّ العجب بها أبلغ من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا يدخل تحت الاختيار، فيقال له الورع والتقوى والعبادة. والعمل الذي به يعجب أمّا أن يكون يعجب به من إذ إنّه فيه وهو محله ومجراه، أو من إذ إنّه منه وبسببه وقدرته وقوته، فإذا كان الأول فهو جهل، لأنّس المحل مستخر وإنّما يجري فيه وعليه من جهة غيره، وهو لا مدخل له في الايجاد والتحصيل، فكيف يعجب بما ليس إليه. وان كان الثاني فينبغي ان يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنّها من أين كانت له، فإنّ كان علمه أنّ جميع ذلك نعمة من الله إليه من غير حق سبق له فينبغي ان يكون إعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله، إذ تفضل عليه بما لا يستحقه[٢].

وإنّه لا تليق العظمة والعزة إلاّ به، وأن يعرف نفسه حق المعرفة، ليعلم أنّه بذاته أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل، ولا تليق به إلاّ الذلة والمهانة

(١) الخميني: الاربعون حديثاً، ص٨٦.

(٢) شبر، عبدالله: الأخلاق، ص١٩٨.

والمسكنة، فما له والعجب واستعظام نفسه، فإنَّهُ لا ريب في كونه ممكناً، وكل ممكن في ذاته صرف العدم ومحض اللاشيء.

وأما المهانة والذلة التي تخص هذا المعجب وبني نوعه، فكونه أول نطفة قذرة وآخره جيفنة نتنة[١]. قال تعالى:

{ قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ } [٢].

تشير الآية القرآنية إلى أنّه دعاء على الإنسان وتعجب من مبالغته في الكفر بربوبية ربه وإشارة إلى أمره حدوثاً وبقاءً فإنه لا يملك لنفسه شيئاً من خلق وتدبير بل الله سبحانه هو الذي خلقه من نطفة مهينة فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره فهو سبحانه ربه الخالق له المدبر لأمره مطلقاً وهو في مقتضى وجوده لا يقضي ما أمره به ربه ولا يهتدي بهداه[٣].

وقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): ما لابْنِ آدَمَ والعُجْبِ، وأوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ وآخِرُهُ جيفَةٌ قَذِرَةٌ، وهُوَ بَيْنَ ذلِكَ يَحْمِلُ العَذَرَةَ[٤].

وأي شيء أرذل ممن بدايته محض العدم، وخلقته من انتن الاشياء واقذرها، ونهايتها الفناء وصيرورته جيفة خبيثة.

فَلِمن هذه حال العجب واستعظام نفسه[٥].

---

(١) النراقي، جامع السعادات، ج١، ص٢٠٥.

(٢) سورة عبس: آية: ١٧ - ٢٢.

(٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص٢٢٥- ٢٢٦.

(٤) شيخ الإسلام: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٣٧٦.

(٥) النراقي، جامع السعادات، ج١، ص٢٠٥.

٢- العلاج التفصيلي

اعلم أنّ الإنسان قد يعجب بالأسباب التي بها يتكبر، وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي تزين له بجهله ويكون كالاتي:

١- أن يعجب ببدنه في جماله وهيأته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته، وعلاجه التفكر في اقذار باطنه وفي أول أمره وما إليه يكون، وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة كيف تمزقت في التراب واستقذرها طباع أولى الألباب[١].

٢- البطش والقوة كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم. { قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً } [٢] وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاقتلع جبلاً ليطبقه على عسكر موسى (عليه السلام) فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضاً على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام أنّه قال: لأطوفن الليلة على مئة امرأة! ولم يقل إن شاء الله تعالى فحرم ما أراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام: إن ابتليتني صبرت وكان إعجاباً منه بالقوة فلما ابتلي بالمرأة لم يصبر. ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والمبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته! وأنّه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه.[٣]

٣- العجب بالعبادة والطاعة: وعلاجه أن يعلم أنّ الغرض من العبادة هو إظهار الذل والإنكسار وصيرورتهما ملكة للنفس ليحصل له معنى العبودية

---

(١) شبر، عبد الله: الأخلاق، ص١٩٩.

(٢) سورة فصلت: آية: ١٥.

(٣) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٣، ص٣٦٤.

وحقيقتها، فالعجب لمنافاته الغرض المقصود منها يبطلها، وبعد بطلانها فلا معنى للعجب بها وكذلك آفات العبادة الموجبة لحبطها كثيرة، فيمكن ان تدخلها بعض الآفات، أو تفقد عنها بعض الشرائط والآداب، فلا تكون مقبولة عند الله، ومع امكان ردها وانتفاء قبولها كيف يعجب العاقل بها؟ ومن يمكنه القطع بسلامة طاعاته وعباداته عن الافات جميعها؟ ومن قطع بذلك فهو في غاية الجهل بحقائق الأمور[1]. ففي العبادات ما يتخذه الإسلام وسيلة لتعديل الهوى وكفه وضبطه كالصوم. وما يتخذها الإسلام أداة لتعديل النفس وتحجيمها كالصلاة؛ فإنّ الصلاة وسيلة فاعلة وقوية لاذلال النفس وتركيعها بين يدي الله تعالى في الأذكار، والأفعال معا. وكذلك الحج عبادة فريدة في الإسلام ففي الحج منهاج تربوي واسع لتدريب الإنسان على ضبط الهوى وتحديده، كما ان فيه منهاجا كاملاً لتعبيد الهوى واذلاله بين يدي الله تعالى[2].

٤- والعجب بما عنده من النعم والأموال. كقوله تعالى: { أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا } [3] وعلاجه التفكر في آفات المال وغوائله وأنّه غاد ورائح لا أصل له[4].

٥- العجب بكثرة العدد من الخدم والغلمان والولد والأقارب والعشائر والأنصار وقال تعالى: { نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا } [5]. وعلاجه ان يتفكر في

---

(١) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢٠٨.

(٢) الاصفي: العجب، ص٢٥- ٢٦.

(٣) سورة الكهف: آية: ٣٤.

(٤) القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص٣١١.

(٥) سورة سبأ: آية: ٣٥.

ضعفه وضعفهم، وأنهم كلهم عبيد وعجزة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً، فكيف يعجب بهم وسيدفن في قبره بعد نزول هادم اللذات ذليلاً مهيناً لا ينفعه ولد ولا أهل ولا صاحب ولا حميم[١].

٦- العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور: فعلاجه أن يعلم أنّ ذلك يزول عنه بأدنى مرض يصيب دماغه، وربما زال عقله دفعة. مع أنّه إن كان في الواقع فطناً كيساً في الأمور يلزم عليه أن يشكر الله تعالى على ذلك، ويستصغر عقله وفطانته، ليبقي الله تعالى عليه تلك النعمة ولا يسلبها عنه لأجل عجبه[٢].

٧- العجب بالورع، والتقوى، والصبر، والشكر، والسخاوة، والشجاعة،... وغيرها من الفضائل النفسية: فعلاجه أن يعلم أنّ هذه الفضائل انما تكون نافعة ومنجية إذا لم يدخلها العجب، واذا دخلها العجب ابطلها وأفسدها، فما للعاقل أن يرتكب رذيلة أن تضيع ما له من الفضائل، وأنّي له لا يظهر الذلة والتواضع في نفسه حتى يزيد فضيلة على فضائلها، ويختم لأجلها الجميع بالخير، وتصير عاقبته محمودة، وتكون مساعيه مقبولة مشكورة[٣].

٨- العجب بالنّسب، وعلاجه أن يعلم أنّه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنّه لحق بهم قد جهل[٤]. عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فقال رسول الله (صلى الله عليه

(١) شبر: الأخلاق، ص٢٠٠

(٢) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

(٤) شبر: الأخلاق، ص١٩٩.

وآله): أمّا إنك عاشرهم في النار. ومعنى ذلك أما إنك عاشرهم في النار " أي إن آباءك كانوا كفارا وهم في النار فما معنى افتخارك بهم وأنت مثلهم في الكفر أيضاً باطناً إن كان منافقاً أو ظاهراً أيضاً إن كان كافراً، فلا وجه لافتخارك أصلاً[١].

عن عقبة بن بشير الأسدي قال: قلت للإمام أبي جعفر (عليه السلام): أنا عقبة بن بشير الأسدي وأنا في الحسب الضخم من قومي، قال: فقال: ما تمن علينا بحسبك إنّ الله تعالى رفع بالإيمان من كان الناس يسمونه وضيعاً إذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً إذا كان كافراً، فليس لأحد فضل على أحد إلاّ بالتقوى[٢]. وقد عرفه الله نسبه فقال: { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ } [٣].

٩- العجب بالرأي الخطأ: فهو أقبح أنواع العجب، إذ جميع أهل البدع والضلال والفرق الذين اختاروا مذاهب باطلة وآراء فاسدة إنّما أصروا عليها لعجبهم بها، ولذا يفتخرون بمذاهبهم على غيرهم، وبذلك هلكت الأمم إذ افترقت فرقاً[٤] قال تعالى: { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [٥] { كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [٦].

وقال الإمام عليّ (عليه السلام): "مَن أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه "[٧].

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٠، ص٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٩

(٣) سورة السجدة: آية ٧- ٨.

(٤) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢١٣

(٥) سور الكهف: آية: ١٠٤.

(٦) سورة المؤمنون، آية: ٥٣.

(٧) المدرسي: موسوعة الإمام علي في الأخلاق، ص٣١٩.

١٠- العجب بالعلم: فعلاجه أن يعلم أنّ العالم الحقيقي هو الذي يعرف نفسه وخطر الخاتمة، وإنّ من تليق به العظمة والعزة والكبرياء هو الله سبحانه، وما عداه هالك الهوية والذات فاقد الكمال والصفات[١]. وليعلم أنّ خطر أهل العلم أكثر من خطر أهل الجهل، وأنّ الله تعالى يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم، وأنّ العصيان مع العلم أفحش من العصيان مع الجهل، وأنّ عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل وأنّ الجاهل أقرب إلى السلامة من العالم لكثرة آفاته، وأنّ سوء العاقبة وحسنها أمر لايعلمه إلاّ الله سبحانه فلعل الجاهل يكون أحسن عاقبة من العالم[٢].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد[٣].

فإذا لا معنى لعجب العالم، والعابد، والشجاع، والجميل، والغنى، والنسب لأنّ كل ذلك من فضل الله وإنّما هو محل لفيضان فضل الله وجوده. والمحل من فضله وجوده أيضاً، فإنَّهُ هو الذي خلقك، وخلق اعضاءك، وخلق فيها القوة والقدرة والصحة، وخلق لك العقل والعلم والإرادة، ولو أردت أن تنفي شيئاً من ذلك لم تقدر عليه. ثم خلق الحركات في اعضائك مستبد باختراعها من غير مشاركة لك معه في الاختراع، إلاّ أنّه خلقها على ترتيب، فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة..فتدريجه بالخلق شيئاً بعد شيء، هو الذي خيل إليك أنّك مستقل بايجاد عملك، وقد غلطت، فإنّ تحريك البواعث، وصرف

(١) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢٠٧.

(٢) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٠، ص٢٢٨

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٤٧.

العوائق، وتهيئة الأسباب كلها من الله، ليس شيء منها إليك[١]. ولهذا قال الله تعالى: { وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا }[٢].

ثانياً - التكبر

التكبر: هو تعبير عن حالٍ نفسية تجعل الفرد يتعالى على الآخرين، كنتيجة لتوهمه بلوغ مراتب عالية، فيستند في تعامله مع الناس إلى شعور بالفضل أكثر مما يستحق، وهو صفة خبيثة تنطلق من العجب[٣].

١- حقيقة الكبر

التكبر، هو أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره، واعتقاده المزية والرجحان على غيره، والعجب مقدمة الكبر، والتكبر نتيجة الكبر، وهو أفعال وأقوال تظهر ترفعه عن الغير، فبالمشي، والمأكل، والمجالسة والمصاحبة، والمفاخرة، والاستنكاف عن مجالسة الفقراء أو زيارتهم إلى غير ذلك من الأفعال فهي من اخطر الأمراض الخلقية، وأشدها فتكاً بالإنسان، وادعاها إلى مقت الناس له وازدرائهم به، ونفرتهم منه[٤].

والكبر في الإنسان حال تعتري النفس تدعو إلى مجاوزة الحد في إعظامها واحتقار غيرها، وهو داء عضال في النفوس الواطئة يحدث عن ضيق دائرة نظر المتكبر إلى نفسه، عندما يرى فيها فضيلة ليست عند غيره، من دون أن ينظر إلى

---

(١) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢١٠.

(٢) سورة النور: آية: ٢١.

(٣) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٢٦١.

(٤) الشاكري، حسين: الكبائر، ١٤١٨، ص٧٨.

نقصه وكمال غيره وإنّ لهذا الداء من العوارض المرضية النفسية ما يوقع صاحبه في كثير من الرذال المستقبحة، كاغتراره بالظلم وانتفاء إحتفائه بحقوق الناس والحقد والحسد الانقياد للحق، والبُعد عن قبول النصيحة وإعراضه عن الارشاد، وغير ذلك مما يلجي تكبر المتكبر إلى إرتكابها والابتعاد عن مكارم الأخلاق[١].

ويرى الغزالي: أنّ الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر، والباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح، واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فإنّها ثمرات لذلك الخلق، ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال له تكبر وإذا لم يظهر يقال له: في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فإنّ الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به، وبه ينفصل الكبر عن العجب، فإنّ العجب لا يستدعي غير المعجب. بل لو لم يخلق الإنسان إلاّ وحده تصور أن يكون معجباً ولا يتصور أن يكون متكبراً إلاّ أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك غيره في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً أو لا يكفي أن يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه، أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فإنَّهُ مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر، ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره، فعند هذا الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر إلاّ أنّ هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر[٢].

---

(١) الخليلي، محمد: طب الإمام الصادق، ط٢، ١٣٨٣، ص٨٥.

(٢) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٣، ص٣٣٤

فالكبر تعبير عن الحال الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ويسمى عزاً وتعظماً أيضاً، ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن وهي ثمراته، ويسمى ذلك تكبراً، فإنَّهُ مهما عظم عنده قدر نفسه فضلاً عن غيره، حقر من دونه وازدراه، وأقصاه من نفسه وأبعده، وترفع عن مجالسته ومواكلته، ورأى أنّ حقه أن يقوم ماثلاً بين يديه إن اشتد كبره. فإنّ كان كبره أشد من ذلك، استنكف عن توظيفه، ولم يجعله أهلاً للقيام بين يديه، فإنّ كان دون ذلك، يأنف عن مواساته ويتقدم عليه في مضايق الطرق، وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام، وإن حاج أو ناظراستنكف أن يرد عليه، وإن وعظ أنف من القبول، وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب. وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كما ينظر إلى الحمير استجهالا لهم، واستحقاراً. والأعمال الصادرة من الكبر أكثر من أن تحصى، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة، وفيه يهلك الخواص والعوام وإنّما صار حجاباً عن الجنة لأنّه يحول بين المرء وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزّ النفس تغلق تلك الأبواب كلها لأنّه مع تلك الحال لا يقدر على حبه للمؤمنين ما يحب لنفسه، ولا على التواضع وهو راس أخلاق المتقين، ولا على كظم الغيظ، ولا على ترك الحقد ولا على الصدق ولا على ترك الحسد والغضب، ولا على النصح اللطيف، ولا على قبوله ولا يسلم من الازراء بالناس واغتيابهم، فما من خلق ذميم إلاّ وصاحب الكبر والعز مضطر إليه ليحفظ به عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه، خوفا من أن يفوته عزه، فعن هذا لم يدخل الجنة[1].

---

(١) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٣، ص٣٣٥.

فالتكبر والاختيال على الناس من الأمور المبغوضة عقلاً وشرعاً، وهي حال تعبر عن نقص في شخصية المتكبر، فيحاول تعويض ما فاته من كمالات نفسانية - لشدة جهله - بهذه الطريقة المرضية، إذ يظهر نفسه بمظهر الإنسان المالك للصفات والخصال المعدومة بنظره عند بقية الناس[١].

لذلك تواتر ذمه في الكتاب والسنة قال تعالى:

{ انَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ }[٢]. { لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ }[٣]. { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }[٤].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان[٥].

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): إيّاكَ والكِبْرَ، فَإنَّهُ أعْظَمُ الذُّنُوبِ، وألأمُ العُيُوبِ، وَهُوَ حِلْيَةُ إبْلِيسَ[٦].

عن مُحَمَّد بن عمر بن يزيد، عن أبيه قال: قلت للإمام أبي عبد الله (عليه السلام): إنّي آكل الطعام الطيب وأشم الرائحة الطيبة، وأركب الدابة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجّبر، فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله

---

(١) حجازي، محمد احمد: علم الأخلاق والتربية، ص١٨٤.
(٢) سورة النحل: آية: ٢٣.
(٣) سورة الزمر: آية: ٦٠
(٤) سورة غافر: آية: ٦٠.
(٥) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة / باب الكبر، ص٣١٧.
(٦) شيخ الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ص٥٢٠

(عليه السلام) ثم قال: إنّما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق، قال عمر: فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو، قال: من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار[١].

الكبر والرذائل

الكبر: رذيلة من رذائل الإنسان، وخلق سيئ من سجايا باطنه وهو: أن يرى نفسه كبيراً عظيماً بالقياس إلى غيره، وعلى هذا فالكبر صفة ذات إضافة تستدعي مستكبراً به ومستكبراً عليه فهو يفترق عن العجب المتعلق بالفعل بتغاير المتعلق وعن العجب المتعلق بالنفس، بترك القياس فيه على غيره. وهذه الصفة من أقبح خصال النفس وأشنعها، ولعل أصل وجودها كالحسد وحب الرئاسة والمال من السجايا المودعة في فطرة الإنسان وزيادتها وتكاملها وتحريكها صاحبها نحو العمل بمقتضاها، تكون باختياره وتحت قوته العاقلة، كما أنّ معارضتها والسعي في إزالتها كذلك، وهي من الصفات التي تورث اغتراراً في صاحبها وفرحاً وركوناً إلى نفسه، ومحل هذه الصفة ومركزها القلب[٢].

قال تعالى: ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ ﴾[٣].

ومن رذائل الكبر ينقسم إلى أقسام ثلاثة مع اختلاف مراتبها في القبح:

١- التكبر على الله

والمراد من التكبر مقابل الله تعالى والذي يعد من أسوأ أنواع التكبر وناشئاً من

---

(١) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٦، ص٧.

(٢) آية الله المشكيني، دروس في الأخلاق، ص٢٣٣.

(٣) سورة غافر: آية: ٥٦.

غاية الجهل هو أنّ الإنسان الضعيف يدعي الأُلوهية، وليس أنّه لا يرى نفسه عبداً لله فقط بل يسعى إلى دعوة الناس لعبادته أيضاً، أو يقول كما قال فرعون: { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى }[١]. { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي }[٢].

الشكل الآخر من التكبّر إمام الله هو ما نجده من تكبّر إبليس وأتباعه إذ استكبروا ورفضوا إطاعة الله تعالى من موقع الأفضلية لأنفسهم والاعتراض على الحكم الإلهي وأمره إذ قالوا: إنّ إبليس الّذي خلق من النار لا ينبغي له السجود لمخلوق من تراب. كما تقول الآية الكريمة على لسان إبليس: { قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }[٣].

وقال: { قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }[٤].

وقد ضرب لنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم مثلاً رائعاً للذين لا يستنكفون عن عبادته ولايستكبرون، ذلك هو (عيسى بن مريم) خلقه الله تعالى من روحه القدسية التي نفخها في مريم، فهو بذلك السمو والرفعة، إذ هو الروح القدس التي نعجز عن إدراك ماهيتها، تمثلت بصورة بشر[٥].

قال تعالى: { لَّن يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلاَ المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا }[٦].

---

(١) سورة النازعات: آية: ٢٤.

(٢) سورة القصص: آية ٣٨

(٣) سورة الحجر: آية: ٣٣.

(٤) سورة الاعراف: آية ١٢. ينظر الشيرازي، كتاب الأخلاق في القرآن، ج٢، ص٣٤- ٣٥.

(٥) الشاكري: الكبائر، ص٨٠.

(٦) سورة النساء: آية: ١٧٢.

فيقول السيد مُحَمَّد الصدر: إنّ صفة التكبر فيوصف بها الخالق سبحانه. وهو سبحانه الوحيد من الموجودات كلها المستحق لهذه الصفة، لأنّ عظمته واقعية وحقيقية، فاظهارها ليس بمذموم. فالتكبر مذموم غالباً إلاّ منه سبحانه، والتواضع محمود غالباً إلاّ منه جلّ جلاله[١].

عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) قال: قال الله تعالى: ياموسى، إنّ الفخر ردائي، والكبرياء ازاري، فمن نازعني في شيء منهما عذبته بناري، ياموسى، إنّ من إعظام جلالي، إكرام العبد الذي أنلته حظاً من الدنيا عبداً من عبادي مؤمناً، قصرت يده في الدنيا، فإنّ تكبر عليه فقد استخف بجلالي[٢].

٢- التكبر على الأنبياء والرسل والاولياء (صلوات الله عليهم)

الكبر على الأنبياء والرسل والاولياء هو أن يعتقد أنَّهُ مساو لهم أو أفضل منهم، ولا يكون مستعدا للتسليم والإنقياد لهم وطاعتهم، مثل الفراعنة الذين تكبروا على موسى وهارون وقالوا: ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾[٣]. وقال تعالى عن لسان نوح (عليه السلام) وَإِنِّي ﴿ كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[٤]. ومثل تكبر قريش على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القرآن عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٥].

---

(١) الصدر، محمد: فقه الأخلاق، ج١، تحقيق الشيخ كاظم العبادي الناصري، دار البصائر، بيروت، ٢٠١٠، ص٦٨

(٢) القبانجي: مسند الإمام علي، ج١٠، ص١٩٥.

(٣) سورة المؤمنون: آية: ٤٧

(٤) سورة نوح: آية: ٧.

(٥) سورة الزخرف: آية: ٣١.

وفي الحقيقة ان التكبر على الرسل والاولياء هو تكبر على الله تعالى كما إن التكبر على ممثلي الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام وعدم إطاعتهم في جهة تمثيلهم هو تكبر على الرسول والإمام، بل على الله تعالى، بناءا على ذلك فإنّ العلماء العاملين والفقهاء الراشدين وهم نواب الحجة عجل الله تعالى فرجه في هذا الزمان، من تكبر عليهم أو أهانهم ولم يطعهم في الأحكام الإلهية التي يبينوها قائلا من انتم حتى اتبعكم؟ فهو متكبر يقينا على الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى آل بيته الاطهار(١).

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل قال فيه: ومن سلّم الأمور لمسالكها لم يستكبر عن أمره، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر الأُمم عن طاعة أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فإنَّهُ سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فكذلك لاتنفع الصلاة والصدقة إلاّ مع الاهتداء في سبيل النجاة، طريق الحق، وقد قطع الله عذر عباده بتبيين آياته، وإرسال رسله، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولم يخل أرضه من عالم يحتاج إليه الخليقة، ومتعلم على سبيل نجاة، أُولئك هم الأقلون عدداً(٢).

٣- التكبر على عباد الله

هو الكبر على الناس، بان يرى نفسه كبيراً والآخرين صغاراً، ويرى نفسه أفضل منهم ويستاء من مساواته بهم، يتقدم عليهم في الطريق، ويرغب ان يجلس

(١) دستغيب: الذنوب الكبيرة - ٢، ص١٢٦.

(٢) القبانجي: مسند الإمام علي، ج١٠، ص١٩٥.

في صدر المجالس، ويتوقع منهم التحية والتواضع، وان نصحه أحد انزعج ورفض، وان قال باطلاً فردوا عليه غضب، وإن ذكر أحد بشيء لم يرفق به، ويمّن عليه ويتوقع خدمته، وبالجملة يرى نفسه اعلى من الناس، وان كان له مال أو منصب لم يكن مستعدا لمشاركة الفقراء والضعفاء في صلاة الجماعة والإجتماعات الدينية وغيرها، وفي الحقيقة أنّ مثل هذا الشخص يجعل نفسه شريكاً لله في الصفة التي اختص بها وهي العظمة والكبرياء، ومثله مثل غلام السلطان الذي يضع على رأسه تاج السلطنة ويجلس على عرش السلطان، ومثل هذا العبد الوقح جدير بالغضب منه ويحتقره جميع العقلاء، وإذ إنّ جميع الناس هم عباد الله، وهم متساوون من هذه الجهة، فمن يرى نفسه أفضل من الآخرين ويتكبر عليهم فهو منازع لله فيما تفرد به تعالى[1]. قال تعالى: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }[2]. وقال تعالى: { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً }[3].

قال الإمام أبو عبد الله (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق، قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عزّ وجلّ رداءه[4].

فالتكبر هو مرض نفسي يضر بالإنسان في دنياه وآخرته، ويتنافى مع شخصية المؤمن الغني بالإيمان والحكمة، والذي ليس بحاجة إلى اعتبارات زائفة وتزكيات

---

(١) دستغيب: الذنوب الكبيرة - ٢، ص١٢٨.

(٢) سورة لقمان: آية: ١٨.

(٣) سورة الاسراء: آية: ٣٧.

(٤) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٦، ص٦.

قادحة كي ترفعه[١].

علاج الكبر

للكبر علاجين علاج علمي وعلاج عملي:

١- العلاج العلمي

بأن يتفكر الأشخاص المتكبّرين في أنفسهم أنّهم مَن هم وأين كانوا وإلى أين يذهبون وما هو مصيرهم في النهاية؟ ويتفكّرون كذلك في عظمة الله ويشاهدون أنفسهم أمام قدرة الله المطلقه ورحمته الواسعة[٢].

والتفكر في ابتداءً خلقته ليعرف أنّهُ خلق من نطفة نتنة محتقرة عند أفراد البشر جميعهم كما قال تعالى في القرآن المجيد: { فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ }[٣]. يعني لم يكن له بالأصل عين ولا أُذن، ولا يد، ولا رجل، ولا لسان ولا إرادة، وقد منحه الله هذه الأمور عارية جميعها[٤].

عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (عَجَباً لِلْمُخْتَالِ الفَخُورِ وإنّما خُلِقَ مِنْ نُطْفَة ثُمَّ يَعُودُ جِيفَةً وَهُوَ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لاَ يَدْرِي مَا يُصْنَعُ بِهِ).

وأن يتفكر ما ورد في ذمه من الآيات والأخبار وغيرها، ويتأمل فيما ورد في مدح ضده وهو التواضع. ولكون الكبر مشتملاً على شيء زائد على العجب هو رؤية النفس فوق الغير، فينبغي أن يعلم أنّ الحكم بخيرية نفسه من غير غاية الجهل والسفاهة، فلعل في الغير من خفايا الأخلاق الكريمة ما ينجيه، وفيه من المهلكات

---

(١) حجازي: علم الأخلاق والتربية، ص١٨٨.

(٢) الشيرازي: الأخلاق في القرآن، ج٢، ص٤٨.

(٣) سورة الطارق: آية: ٥- ٦.

(٤) دستغيب: الذنوب الكبيرة - ٢،ص١٣٤.

الذميمة ما يهلكه ويرديه. وكيف يجترئ صاحب البصيرة ان يرجح نفسه على غيره، مع ابهام الخاتمة وخفاء الأخلاق الباطنة واشتراك الكل في الانتساب إلى الله تعالى، وفي صدورها وترشحها منه ومعلوليتها ولا زميتها له بخطر الخاتمة واناطة النجاة والهلاك بالبواطن لا يرى لنفسه مزية على غيره، والعارف بكون كل فرد من أفراد الموجودات أثراً من آثار ذاته ولمعه من لمعات أنوار صفاته، بل رشحة من رشحات فضله وجوده وقطرة من قطرات تيار فيض وجوده، لا ينظر إلى أحد بنظر السوء والعداوة، بل يشاهد الكل بعين الخيرية والمحبة[١].

٢- العلاج العملي

كل صفة في النفس الإنسانية يعرض الإنسان عن ممارستها في عمله بل يعمل بضدها، فإنّها سوف تزول تدريجا، وإذ إنّ التواضع هو ضد الكبر، اذن فالطريق العملي الوحيد لعلاج مرض الكبر هو التواضع في الأقوال والأفعال[٢]. وان يتواضع بالفعل لله ولسائر الخلق، ويواظب على أخلاق المتواضعين، ويكلف نفسه على ذلك إلى أن تقطع عن قلبه شجرة الكبر بأصولها وفروعها، ويصير التواضع ملكة له. إذ النفس قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر[٣].

قال تعالى: { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }[٤]. { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا }[٥].

(١) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢١٨.
(٢) دستغيب: الذنوب الكبيرة - ٢، ص١٢٤.
(٣) النراقي: جامع السعادات، ج١، ص٢٢٠.
(٤) سورة الحجر: آية: ٨٨.
(٥) سورة الفرقان: آية: ٦٣.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[١].

وكذلك من التواضع أن يلبس الملابس البسيطة ويأكل الأطعمة غير الممنوعة ويجلس مع عماله أو خدامه على مائدة واحدة ويتقدّم بالسلام على الآخرين ولا يجلس صدر المجلس ولا يتقدم على غيره في مشيه.

وأن يتعامل في علاقاته مع الصغير والكبير من موقع العاطفة الجياشة والمحبّة الصميمية ويجتنب مجالسة المتكبّرين والمغرورين ولا يرى لنفسه أي امتياز على الآخرين، والخلاصة أن يتحرّك في سلوكه بعلامات التواضع أو يسعى للتظاهر بمظاهر التواضع في البداية في عمله وكلامه وحالاته الأُخرى حتّى تصير لديه عادة ثمّ ملكة التواضع[٢].

وإنّ من كان جهله أكبر وعقله أصغر كان تكبره أكثر، ومن كان علمه أكثر وروحه أكبر وصدره أوسع، كان تواضعه أكثر. والنبي الكريم الذي كان علمه من الوحي الالهي، وكانت روحه من العظمة إذ إنّها بمفردها غلبت نفسيات البشر كلهم، إنّ هذا النبي قد وضع العادات الجاهلية والاديان جميعها تحت قدميه، ونسخ جميع الكتب واختتم دائرة النبوة بشخصه الكريم، وكان هو سلطان الدنيا والآخرة والمتصرف في جميع العوالم بإذن الله، ومع ذلك كان تواضعه مع عباد الله أكثر من أي شخص آخر[٣].

ومن صفات أهل البيت وخصالهم التواضع؛ عن أمير المؤمنين الإمام علي

---

(١) صحيح البخاري: كتاب البر والصلة والاداب / باب استحباب العفو والتواضع، ص٢٠٠١.

(٢) الشيرازي: الأخلاق في القرآن، ج٢، ص٤٩.

(٣) الخميني: الاربعون حديثاً، ص١١٥.

(عليه السلام) قال: لَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الأرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ العَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الحِمَارَ العَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ[١].

ولقد سار أهل البيت عليهم السلام على نهج الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، فكان الإمام الحسين (عليه السلام) الذي جبل على التواضع، ومجافاة الانانية، وهو صاحب النسب الرفيع والشرف العالي والمنزلة الخصيصة عند الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكان (عليه السلام) يعيش في الأمة لا يأنف من فقيرها ولا يترفع على ضعيفها ولا يتكبر على أحد فيها، يقتدي بجده العظيم المبعوث رحمة للعالمين، يبتغي بذلك رضا الله وتربية الأُمة[٢].

عن مسعدة قال: مر الحسين بن علي (عليهما السلام) بمساكين قد بسطوا كساء لهم وألقوا عليه كسراً فقالوا: هلم يا ابن رسول الله ! فثنى وركه فأكل معهم ثم تلا " إنّ الله لا يحب المستكبرين " ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم يا ابن رسول الله، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: أخرجي ما كنت تدخرين[٣].

ثالثاً - العصبية

أ- ماهية التعصب

وهو تعصب للرجل مال اليه، وجد في نصرته، وتعصب عليه قاومه، وتعصب

(١) الرضي، الشريف: نهج البلاغة، الخطبة - ١٦٠، ص٣٤٨.

(٢) لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الحسين " سيد الشهداء ")، ص٣٨.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٤٤، ص١٨٩.

في الدين والمذهب، كان غيوراً فيهما ومدافعا عنهما. وكل من دافع عن عقيدته، أو عن أمر من أموره، أو عن شخص يحبه، بحماسة عمياء، تجعله يأخذ بجميع الوسائل لنصرة ما يقول، فهو رجل متعصب، لأنّ من صفات المتعصب ان يسخر عقله لهواه، وأن يجد في نصرة رأيه بالعنف، وأن يضيق عن المناظرة بالحق. فالتعصب اذن نقيض الحرية والتسامح، إذا ازداد التعصب قلت الحرية، والعكس بالعكس[(١)].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين سئل: ما العصبية؟ قال (صلى الله عليه وآله): "ان تعين قومك على الظلم"[(٢)].

سئل الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) عن العصبية؟ فقال: "العصبية التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم"[(٣)].

أي إنّ العصبية حركة وفاعلية تخطئ الحق بانسياقها وراء العاطفة، فلا يفرق الإنسان بين خيار القوم وشرارهم ما داموا أقرباءه، فهو يفضلهم على من سواهم وان كانوا أفضل منهم![(٤)] وتعد العصبية سجية من سجايا النفس الإنسانية، وهي تعبير عن قوة محركة للإنسان، تنتج سلوكاً دفاعياً وموقفاً متصلباً للإنسان تجاه عشيرته وقومه، أو وطنه، أو قوميته، أو مذهبه، أو طريقته، أو الحزب، أو الجماعة

---

(١) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج١، ص٣٠٥.

(٢) الأزدي، سليمان بن الاشعث السجستاني: سنن ابي داوود، ابواب النوم، باب العصبية، ح ٥١١٩، ج٢، المكتبة العصرية ص٣٣٢.

(٣) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣٧٣.

(٤) العطار، مهدي: محاضرات أخلاقية، ط٤، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣، ص٣٢١.

التي ينتمي إليها، ولا نجد في التربية الإسلامية ما يدعو إلى أي نوع من أنواع التعصب أو التمييز العرقي وإنّما نجد دعوة ملحة للسمو بالنفس البشرية لتكون الأهداف الإنسانية هي الغاية التي يتطلع إليها الإنسان ويسعى إليها وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " كلكم لآدم وآدم من تراب " فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أعضاء في الأسرة الإسلامية الواحدة[١].

ويشير (ابن خلدون) وهو يقرر إلى " أنّ العصبية إنّما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه. وذلك لأنّ صلة الرحم طبيعية في البشر إلاّ في الأقل. ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإنّ القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك: نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا. فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريباً جداً بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة، فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها. وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنومي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فراراً من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه، من ظلم من هو منسوب إليه بوجه. ومن هذا الباب الولاء والحلف إذا نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلف للأنفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا منها "[٢].

وإذا كانت هذه القوة المحركة غايتها التي من أجلها اندفع الإنسان، فإنّ

---

(١) المصدر نفسه، ٣١٧.

(٢) الجابري، محمد عابد: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ط٦، بيروت، ١٩٩٤، ص١٧٠.

كانت غاية حق، ومنطوية على قيم ومُثل عُليا، فإنّ حركة الإنسان بدفعها تكون حركة شريفة، وتترتب لها قيمتها باعتبار الغاية. وإنّ هذه الحركة ما هي إلاّ وسيلة تأخذ شرفها أو خستها من شرف الغاية أو خستها، وذلك انطلاقاً من أنّ الإسلام يقيم الوسائل بلحاظ الغايات. فأن الغيرة والعصبية إذا كانت من اجل الحق، فإنّها تكشف عن عمق في التدين، وتفاعل مع الإيمان، وذلك إنّ الإسلام دين واقعي موضوعي، ميزانه في تفاضل الاشياء هو ملاك مطابقتها للواقع، بما يدفع الإنسان نحو الكمال، ويأخذ بيديه نحو العلو والسمو والرفعة؛ ليصل إلى غاية التكامل والسعادة، التي يريدها الله وتعالى للبشرية[١].

ومن هذا المنطق نجد الشريعة الغراء تؤكد في مسارها على غاية وجود الإنسان، وتحثه أن لا يتخطى هذا المسار، فمتى ما تحرك الإنسان على أساس غير أساس الهدف، ضيع الهدف - أولاً - وكان ذلك سبباً لخسران حركته ثانياً. إنّ الإنسان عندما تحركه عواطفه تجاه عصبيته، وقوته وأقربائه، من دون أن يجعل غايته الحق والكمال، فإنّ العاطفة لا حد لها، وستقوده نحو تجاوز الحق. الأمر الذي يفقد اتزانه. فالإنسان المنبعث في حركته عن العاطفه لا يستطيع ان يكون متزناً في مسيرته، كما أنّه سيكون غير محدد الغاية، فلا هدف له، ولا عقلانية ستسيطر عليه، ومن ثم فإنَّهُ سيفقد حتى عصبته وقومه واقربائه؛ لأنّه سيجد نفسه وسط مجتمع غير مستقر، يصارع فيه قومه على مصالحه، ويصارع الآخرين من أجل مصالح قومه وأقربائه، فيفقد الهدف، ويفقد الاستقرار والاتزان، ويتحول المجتمع إلى تجمع تسوده الفوضى، والتخلف الحضاري، أي فقدان التكامل الدنيوي، الذي يستتبع كذلك فقدان التكامل الديني. إنّ العاطفة إذا ما أريد لها أن

(١) العطار، مهدي: محاضرات أخلاقية، ص٣١٧.

تتحرك في إطار الحق كهدف أساس في حياة الإنسان، ينبغي لها ان لا تتعدى المسارات الصحيحة المنبثقة عن الحق[١].

ب - التعصب وحقوق الإنسان

هناك مجموعة من الحقوق العامة تتعلق بحقّ الفرد كإنسان يؤكد الإسلام على مراعاتها، ما لم تتصادم بحق أو حقوق أُخَر، وهي على أنواع، نذكر أهمها، وهي:

١- حق الحياة

وهب الله الحياة للإنسان، فصارت مناط الاستخلاف والامانة، ومن ثمّ المسؤولية، وارتكزت عليها وانبثقت منها كل مكاسب البشرية وابداعاتها وتعبيراتها، وتحرص الاديان عادة على احترام الحياة، وربما تقديسها، وتتطلع الرسالات السماوية إلى تطهير الحياة من القلق وبث الطمأنينة والسكينة في روع الإنسان، عبر ترسيخ النزعة الروحية والأخلاقية، وتكريس المضمون الرمزي للعالم، والكشف عن مظاهر الانسجام والاتساق بين الإنسان وما حوله، وتحريره من الاغتراب الكوني، ومن كل ما من شأنه أن يسلخه وينفيه من هذا الوجود. فحق الحياة من الحقوق المصونة المحترمة للبشر لكافة، بغض النظر عن أجناسهم وثقافاتهم ومعتقداتهم[٢].

وهنا ينزلق المتعصبون إلى خطأ جسيم يدافع من طائفيتهم بان يبتدعوا من أنفسهم حكماً مخالفاً لما شرعه الله غافلين عن قوله تعالى: { وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ

(١) المصدر نفسه، ص٣١٨.

(٢) السيد، رضوان واخرون: التسامح وجذور اللاتسامح، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠٠٥، ص٧.

عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ } [١].

فقد احتل هذا الحق مكانةً مهمة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، معتبرةً أن كل تسبيب أو مباشرة في قتل نطفة، أو إزهاق نفس محترمة، أو إراقة الدِّماء، يعد انتهاكاً لحق الإنسان في الحياة، ويستلزم ذلك عقوبة في الدنيا وعاقبة وخيمة يوم الجزاء[٢].

ومن الشواهد النقلية الدالة على حرمة التسبيب في ذلك، ما رواه مُحَمَّد بن مسلم، عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إنَّ الرَّجل ليأتي يوم القيامة ومعه قدر محجمة من دم، فيقول: والله ما قتلت ولا شركت في دم، فيقال: بلى ذكرت عبدي فلاناً، فترقى ذلك حتى قُتل، فأصابك من دمه»[٣].

ومن المنهج الإسلامي في نبعه الصافي الأصيل اكتسب الإمام علي (عليه السلام) نظرته إلى الحياة وقيمتها في ضمن المسيرة البشرية، إذ تشكلت رؤيته للإنسان كقيمة عليا ومحور لهذا الكون، فيخاطب(عليه السلام) الإنسان قائلاً:

"وتحسب أنّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الاكبرُ"[٤]

وحق الحياة تتجلى في معاني عدة نذكر منها:

١- إنّ الحياة هي رحمة إلهية أفاضها البارئ للمخلوقات ومن حق الجميع التمتع بهذه الرحمة من دون أن يزاحمه احد، قال تعالى: { فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ

(١) سورة النحل: آية: ١١٦.

(٢) اصدار مركز الرساله: الحقوق الاجتماعية في الإسلام، ص١٦.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ج٧، ص٢٠٢. ينظر مركز الرساله: الحقوق الاجتماعية في الإسلام، ص١٦

(٤) الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام: ديوان أمير المؤمنين، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط١، ١٩٨٨، ص٤٥.

كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَى }[(١)]. وقال تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا }[(٢)].

٢- وإنّ حق الحياة تبدأ منذ بداية تكوين الجنين في بطن أمه، لذا جاءت فلسفة حرمة إسقاط الجنين وأنّ فاعلها عليه دفع الجزاء المالي وتحمل العقاب الالهي. أي إنَّ للطفل - ذكراً كان أو أُنثى - حقّ الحياة، فلا يبيح الشرع لوالديه أن يطفئا شمعة حياته بالوأد أو القتل أو الاجهاض. ولقد شنَّ الإسلام حملة قوية على عادة (الوأد) التي كانت متفشية في الجاهلية، وتساءَل القرآن مستنكراً ومتوعداً: { وَإِذَا المَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ }[(٣)]. واعتبر ذلك جريمة كبرى لا يمكن تبريرها، حتى في حالات الاضطرار كحصول المجاعة. وكانوا يقتلون أولادهم خوفاً من الفقر[(٤)]. كما في قوله تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }[(٥)].

٣- يعتبر الإسلام أنّ الإعتداء على نفس واحدة اعتداء على الإنسانية كلها، كما أنّ انقاذ نفس يعتبر بمثابة انقاذ للإنسانية، قال تعالى: { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }[(٦)].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٠.

(٢) سورة النساء، آية ٢٩.

(٣) سورة التكوير، آية: ٨- ٩.

(٤) اصدار مركز الرساله: الحقوق الاجتماعية في الإسلام، ص٧٤.

(٥) سورة الانعام: آية ١٥١.

(٦) سورة المائدة: آية ٣٢.

إذ نجد أنّ الإمام علي (عليه السلام) وقف بالضد من التهديد باستخدام القتل وما دونه من تعذيب واهانة وما شابه من وسائل انتقاص الإنسان وتحت أي ذريعة ليقر بذلك (حق الامن) للمجتمع، فقد اشار (عليه السلام)، إلى أنَّ من سلبيات مجتمع الجاهلية، قبل عهد الرسالة الإسلامية، هو تفشي ظاهرة انتفاء الأمن وشيوع سفك الدماء فيتوجه بخطابه إلى العقول أين ما كانت أو وجدت فيقول: "إنّ الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وشهيداً على هذه الأُمة، وأنتم يا معشر العرب على غير دين وفي شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم"[١].

٤- ومن ادلة عظمة الحياة وقيمتها حرمة الانتحار في الإسلام، قال تعالى:

{ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا }[٢].

٥- ولا يتوقف حرمة الاعتداء على البدن فحسب، بل حتى على الاعتداء المعنوي حرام، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالالقَابِ }[٣].

٦- وكذلك يعتبر ترك الاهتمام بسفك الدماء والتسامح في معرفة وتقصي القاتل من المعاصي الكبيرة حتى كأنه شريك في سفك الدم. عن أبي حمزة عن

---

(١) السعد، غسان: حقوق الإنسان عند الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام" رؤية علمية "، ط٢، بغداد، ٢٠٠٨، ص٦٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٩-. ٣٠.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

أحدهما (عليه السلام) قال أتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل له يا رسول الله قتيل في مسجد جهينة فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمشي حتى انتهى إلى مسجدهم قال وتسامع الناس فأتوه فقال (عليه السلام) من قتل ذا قالوا يا رسول الله ما ندري فقال قتيل من المسلمين بين ظهراني المسلمين لا يدرى من قتله والله الذي بعثني بالحق لو أن أهل السماوات والأرض شركوا في دم امرئ مسلم ورضوا به لأكبهم الله على وجوههم[(١)].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: " لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم "[(٢)].

ومن هنا فإنّ حق الحياة مرتبطة برب العباد فهو خالق الحياة وهو معدمها بشكل مباشر. قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ }[(٣)]. وقال تعالى: { وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ }[(٤)].

والحياة " بالمعنى الفلسفي " هي المبدأ الذي يجعل الكائن متصفاً بصفات معينة أبرزها الإحساس، والحركة والزيادة والنقصان، والحركة بوجه عام، إذ نجد ان افلاطون يقول ان (الحي) مزودا بمبدأ الحركة الذاتية، وهذا هو ما يكون جوهر الحياة، وإنّ مبدأ الحياة عند (افلاطون) هو النفس، ويرى أنّ الكون كله كائن حي مزود بنفس واحدة. أما (ارسطو) فيرى أنّ الحياة هي " مابه موجود يتغذى، وينمو ويضمحل بذاته "[(٥)].

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج١٠١، ٣٨٣.

(٢) سنن النسائي: كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ص٨٢.

(٣) سورة الحج، آية: ٦٦.

(٤) سورة الحجر، آية ٢٣.

(٥) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج١، ص٣٣٥.

فإنّ الحياة قيمة عليا تتغلب على الموت، وإنّ أي اعتداء لازهاق حياة إنسان، وبغض النظر عن ماهية ذلك الإنسان، هو اعتداء على الارادة الإلهية الموجدة والمانحة الوحيدة للحياة من جهة وجريمة بحق الإنسانية جمعاء، وسلب لحق أساس من حقوق الإنسان إلاّ وهو (حق الحياة) [(١)].

٢- حق الكرامة الإنسانية

إهتم الإسلام - أيضاً - بحق آخر لا يقلُ أهمية عن حق الحياة ألاّ وهو حق الكرامة. ويراد بالكرامة: امتلاك الإنسان بما هو إنسان للشرف والعزّة والتوقير. فلا يجوز انتهاك حرمته وامتهان كرامته، فالإنسان مخلوق مُكرَّم، فضله الله تعالى على كثير من خلقه..قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } [(٢)]. وهي كرامة طبيعية متّع الله تعالى كل أفراد الإنسان بها. وكان أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يراعون كرامة الناس من أن تمس، في كل ما يبعث على الاستهانة بالمؤمن ويخدش كرامته ويلوث سمعته باغتيابه أو سبه أو السخرية منه بالتنابز بالالقاب واللمز والنميمة والتحقير الموجه ضده سعياً منهم (عليهم السلام) لاشاعة العزة والكرامة في نفوس ابناء الأمة وفي أثناء المجتمع[(٣)]. وكما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: { وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالالقَبِ } [(٤)].

وقال تعالى: { يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً

(١) السعد، غسان: حقوق الإنسان عند الإمام علي، ص٦٥.

(٢) سورة الاسراء: آية: ٧٠.

(٣) اصدار مركز الرسالة: الحقوق الاجتماعية في الإسلام، ص١٧.

(٤) سورة الحجرات: آية: ١١.

مّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مّن نّسَاء عَسَى أَن يَكُنّ خَيْراً مّنْهُنّ } [١]، وقال تعالى { وَلاَ يَغْتَب بّعْضُكُم بَعْضاً } [٢].

عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلى الله عليه واله) مر برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك. فقال عليه السلام: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته[٣].

عن الإمام الصادق (عليه السلام): قال الإمام علي (عليه السلام): إنّ الله عز وجل خلق المؤمن من نور عظمته وجلال كبريائه، فمن طعن على المؤمن أورد عليه قوله فقد رد على الله في عرشه، وليس هو من الله في شيء وإنما هو شرك الشيطان[٤].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): قال: الله عزّ وجلّ ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن[٥].

وإنّ التمتع بحق الكرامة الإنسانية تعتمد بالدرجة الأولى بني البشر والقدرة على تعاطي هذا الحق من دون الاخلال بحياة الآخرين وكرامتهم وحرياتهم مما تؤدي لدحرها وسحقها. إنّ الإسلام يمنح الكرامة الإنسانية التي تجعل الناس سواسية كأسنان المشط ينالون الاحترام والشرف والرفعة ويحصنون بحياة كريمة.

---

(١) نفس السورة: آية: ١١.

(٢) نفس السورة: آية ١٢.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٤، ص١١.

(٤) البرقي، احمد بن محمد بن خالد: المحاسن، ج١، ص١٠٠.

(٥) الريشهري: ميزان الحكمة، ج١، ص٦٥٢.

وحق الكرامة هدفها ايقاظ وازع الإنسانية في التعامل مع سائر بني البشر من خلال ايقاظ جملة قيم رائدة من قبيل الشعور الاخوي بالتقابل والتماثل مع بني البشر كافة كيفما كانوا، ومن أي مكان كانوا وتحقيق المساواة والتلاقح الوجداني، وروح الدفاع عن شرف وكيان الآخرين، والعمل الجاد للحفاظ على المكتسبات الإنسانية الرائدة مثل صون الحقوق البشرية والحريات العامة[١].

٣- حق المساواة العادلة

منذ اليوم الأول لظهور الإسلام، وهو جاهد في ان يغني الإنسانية بكل ما فيه كرامة الإنسان، ويطرق أبواب الحرية جميعها في وقت واحد، نابذا كل عصبية عبر ازالة الفوارق الطبقية، والقبلية، وعبر الدعوة إلى العدل والمساواة. وعملية ازالة العنصرية من تصرفات بعض الناس وسلوكياتهم ورفع التعصب القومي من مشاعرهم، أمر صعب يستلزم جهداً كبيراً، وبذل مؤنة زائدة في سبيل تحقيقه، من اجل نشر دعائم المجتمع الإسلامي الصالح المرضي، القائم على أساس العدل والمساواة بين افراده وعلى وفق المفهوم الإسلامي المتمثل في القرآن وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) [٢].

قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ } [٣].

عن ابن عمر قال خطب النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الفتح فقال: أما

(١) الحسن، صالح: أ ب اللاعنف " رؤية إسلامية اولية في ثقافة التسامح "، ص٣٣.

(٢) العطار، مهدي: محاضرات أخلاقية، ص٣٢٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

بعد يا أيها الناس، فإنّ الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها. يا أيها الناس، الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله[١].

إذ كان نظام العطاء في حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أساس التسوية بين المسلمين كافة، ولافرق فيه بين المولى والسيد، ولا الاسود والابيض.

روى أحمد والحارث وابن حاتم من طريق أبي نضرة "حدثني من شهد خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) بمنى وهو على بعير يقول: يا أيها الناس إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم[٢].

كما أنّ أحد أسباب تأخر انتشار الدعوة، في سنينها الاولى، وتوقف اتساع رقعتها الجغرافية في مكة المكرمة هو ما أحس به أبناء الطبقة الثرية - ممن ينسبون أنفسهم إلى الأشراف السادة - من الدعوة إلى مساواتهم بمن يسمونهم عبيداً وموالي، تلك المساواة التي لابد ان تكون، كما يراها الإسلام وفي نواحي الحياة جميعها وعلى شتى الأصعدة، فلابد من رفع التمايز في النسب والحسب والمال والجاه والشرف والمكانة الاجتماعية، فالكل سواء في المنظور الإسلامي، وان كان هناك مجال للتفاضل فهو تفاضل العلم والإيمان والخلق فقط، وبتعبير آخر في موارد كمال النفس، لا في اعراض الدنيا الزائلة، التي طلقها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ثلاثاً[٣].

---

(١) العسقلاني، احمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب قول يا آية الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...، ص٦٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٠٩.

(٣) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٣٢٣.

فيقول الإمام علي (عليه السلام):

"النــاس مــن جهــة التماثــل اكفــاء   ابـــــوهم ادم وامـــــا الام حـــــواء

فـــان يكـــن فـــي اصـــلهم شـــرف   يفـــاخرون بـــه فـــالطين والمـــاء"[١]

فكان الإمام علي (عليه السلام) رائد العدالة ومثلها الاعلى وقد حرص على تطبيقها بكل ما أوتي من قوة، بكونها قاعدة أساس تضمن التكافل بين ابناء الدين الواحد، وتقضي على أسباب الفقر. عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) قال: " إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الاْغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلاَّ بِمَا مَنَعَ بِهِ غَنِي، وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذلِكَ"[٢].

فكان عدل الإمام علي (عليه السلام) تراث يشرف المكانة الإنسانية والروح الإنساني، وكان الإمام علي (عليه السلام) يأبى الترفع عن رعاياه في المخاصمة والمقاضاة، بل إنّه كان يسعى إلى المقاضاة إذا وجبت لتشبعه بروح العدالة. وتجري في روحه العدالة حتى أمام أبسط الأمور، ووصايا الإمام ورسائله إلى الولاة تكاد تدور حول محور واحد هو العدل، وقد انتصر العدل في قلب أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وقلوب أتباعه وان ظلموا وظلم[٣].

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في رسالة إلى أحد الحكام وهو يؤكد فيها المساواة العادلة بين الناس، فيقول: " أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ الوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذلِكَ كَثِيراً مِنَ العَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ

(١) الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام: ديوان أمير المؤمنين، ص٧.

(٢) الرضي، الشريف: نهج البلاغة، ص٨٥٥. ينظر كتاب معالم الاصلاح عند اهل البيت عليهم السلام لـ علي موسى الكعبي، ص١٣٣.

(٣) لجنة التأليف: أعلام الهداية "الامام علي بن ابي طالب عليه السلام "، ص٣٥.

لَيْسَ فِي الجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ العَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّة لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا قَطُّ فِيهَا سَاعَةً إِلاَّ كَانَتْ فَرْغَتُهُ حَسْرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، وَمِنَ الحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَالاْحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلاَمُ[١].

ويرى (أفلاطون) أنّ العدالة، هي الفضيلة الرابعة الناشئة عن اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة، واذا ما حصلت هذه الفضائل الثلاث للنفس فخضعت الشهوانية للغضبية والغضبية للعقل، تحقق في النفس النظام والتناسب، ويسمى افلاطون حالة التناسب هذه "بالعدالة"، باعتبار ان العدالة بوجه عام أعطاء كل شيء حقه؛ فليست العدالة عنده فضيلة خاصة، ولكنّها حال الصلاح والبر[٢].

والعدالة في الفلسفة الافلاطونية، هي أن يملك الشخص ويفعل ما هو ملكه. هو أنّ كل إنسان يجب أن يتلقى ما يساوي انتاجه ونتاجه، وهو أن يؤدي العمل الذي يتناسب مع طبيعته ومقدرته، فالإنسان العادل هو الذي وضع في مكانه الحق، باذلاً جهده، ومقدماً تماماً ما يساوي المنافع التي يتلقاها، وبذلك فأن المجتمع الذي يتالف من الرجال العدول سيكون مجتمعا عظيم الانسجام والتأثير والعطاء، إذ يكون كل عنصر فيه موضوعا في مكانه، قائما بانجاز اعماله المناسبة كالسيارة الكاملة إذ تكون العدالة في المجتمع أشبه شيء بانسجام العلاقات التي تجمع الكواكب في حركتها المنظمة، أو في حركتها الوجودية. لا عدالة في المذهب الافلاطوني إذ يكون التجاوز لما هيء له الشخص، ولما عليه طبيعته وامكانيته.

---

(١) الرضي: نهج البلاغة، ص٧٣٧.

(٢) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٩٦.

فليس للعامل أن يتدخل بشؤون الحكم، وليس للجندي أن يغتصب الحكم من الفيلسوف. إنّ العدالة هي النظام والانسجام والتنسيق. إذا أراد الفرد أن يحقق النجاح عليه أن يوازن بين عواطفه وأفكاره ورغائبه، على أن يؤدي دوره المناسب والمرتب في السلوك. ما من شر أو خلل إلاّ نتيجة فقدان الانسجام بين الطبيعة والإنسان، أو بين الإنسان والناس، أو بين الإنسان ونفسه[١].

ويشير (ابن مسكويه) إلى أنّ العدالة " يحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبدا الإنصاف من نفسه على نفسه أولاً، ثم الانصاف والانتصاف من غيره وله"[٢].

" فكان لأهل البيت (عليهم السلام) يعملون جاهدين على تحقيق المساواة بين البشر وتحرير عقولهم من الجهل، ونفوسهم من الذل، وقواهم من الاستغلال، كما عملوا على اقامة العدل بين أفراد المجتمع. وما هي إلاّ مبدأ من مبادئ الإنسان التي تطمح الإنسانية لتحقيقها ".

٤- حق الحرية

الحرية " تعني تلك الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق من إذ هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو لا عن أي أرادة أخرى غريبة عنه"[٣]. إذ تأخذ الحرية دوراً كبيراً وفاعلاً في ترسيخ قيم التسامح بين ابناء الوطن الواحد. والعكس عندما يعيش الشعب الاضطهاد والكبت والحرمان، فإنَّهُ يفضي إلى الخوف والنفاق والتكتم واخفاء الحقيقة وانتشار العنف واللاتسامح. إذ تتحول النشاطات الفكرية

---

(١) حماده، حسين صالح: دراسات في الفلسفة اليونانية، ج١، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٧٥.

(٢) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص٢٧.

(٣) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية، مصر، ص١٦.

والسياسية والثقافية إلى حركات سرية تسعى، مهما طال زمن الاضطهاد لتغير الوضع من أجل استنشاق الحرية. لان الحرية تعد مفهوماً سامياً يجسد البعد الإنساني ويسمح بتسوية الأزمات الثقافية والفكرية والدينية والسياسية. ويحول من دون حدوث تراكمات نفسية تتفجر بشكل عشوائي عند أول فرصة متاحة، تنقلب إلى اعمال لا إنسانية وممارسات غير منضبطة أخلاقيا. وأن تكون الحرية، حرية في العقيدة، والفكر، والتعبير عن الرأي والحرية السياسية والدينية والثقافيه[١].

فالإسلام هو الدين الحق وهو العقيدة الصائبة التي ينبغي أن يؤمن بها الإنسان ليرضي خالقه ويسعد حياته في الدارين، ولكن الله تعالى يريد للإنسان أن يعتنق الحق ويلتزم الصواب بمليء حريته وأختياره عن طريق توظيف عقله والتأمل فيما حوله لا أن يقسر على الإيمان أو يفرض عليه الدين قهراً فذلك يتنافى مع أنسانية الإنسان وصفاته التي ميزه الله بها، ولو آراد الله تعالى قسر الإنسان على الإيمان في هذه الحياة لخلقه على هيأة الملائكة ولسلب منه حرية الارادة والاختيار، لكن شاءت حكمته أن يكون حراً مختاراً، والأنبياء يقتصر دورهم على التذكير والتوجيه كما في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[٢].

والحرية عند (المتكلمين) أثيرت مشكلة حرية الارادة والجبر، فذهبت طائفة إلى أنّ الإنسان مجبر على افعاله وانه لا استطاعة له أصلاً. وذهبت طائفة أخرى إلى أنّ الإنسان ليس مجبراً، واثبتوا له قوة واستطاعة بها يفعل ما اختار فعله، ثم أصبحت هذه الطائفة على فرقتين: فقالت إحداهما: الاستطاعة التي يكون بها

---

(١) الغرباوي، ماجد: التسامح ومنابع التسامح فرض التعايش بين الاديان والثقافات، مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد، ط١، ٢٠٠٦، ص١٣٠.

(٢) سورة الغاشية: آية: ٢١-٢٢.

الفعل لا تكون إلاّ مع الفعل، ولا تتقدمه البتة. وهذا قول طوائف من أهل الكلام ومن وافقهم، كالأشاعرة، وغيرهم. وقالت الأخرى: إنّ الاستطاعة التي يكون بها الفعل هي مثل الفعل موجودة في الإنسان، وهو قول المعتزلة والمرجئة وجماعة من الخوارج الشيعة[١].

والحرية عند بعض (أئمة الصوفية) تعبر عن منتهى غاية السائلين إلى الله، ونهاية للتحقق بالعبودية، فيصل السالك إلى اعلى مقام إذ هو عبد صادق لله، مخلص في طاعته، متوكل عليه بكليته، صابر بقضائه، راض بما يرزقه تعالى. فالحرية عند الصوفية هي عكس العبودية، لأنّ العبودية في رأيهم عبودية الشهوة والنفس والشيطان جميعا، فالأهواء عبودية للإنسان لأنّها تسيره كما تريد من دون أن يسيطر عليها فتتلف نفسه ويضيع في دنياه وآخرته، فإذا كان الإنسان عبد الله، كان حراً على الحقيقة، فلا يؤثر فيه إلاّ الحق، ولا يبصره إلاّ الله تعالى. فيقول الجنيد: (آخر مقام العارف " الحرية ") [٢].

ويقول أحد فلاسفة الحرية وهو (جول لكيي) قال: " وكيف اعتزم البحث، وأحدد الغاية، وأقاطع العادة والمألوف من الآراء، وأحاول وضع نفسي في حال الاستقلال والإخلاص... إذا كانت أفكاري تتعاقب في نظام لا سيطرة لي عليه " فالحرية هي إذن القدرة على التصرف بأفكاري وسلكها في نظام غير محتوم، فالحرية هي الحقيقة الأولى على كل حقيقة؛ ذلك بأنّي لا استطيع أن أثبت أو أنّي أنفي إلاّ بواسطة الحرية[٣].

---

(١) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج١، ص٤٥٩.

(٢) الشرقاوي، حسن: معجم الفاظ الصوفية، ص١٢١.

(٣) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٣٧٤.

أما (ليبنتس) قال: "إنّ الحرية تكون اوفر كلما كان الفعل صادراً عن العقل، وتكون أقل كلما كان الفعل صادراً عن الانفعال"[١].

والحرية عند (جون لوك) هي أن " نفعل أو لا نفعل بحسب ما نختار أو نريد"[٢].

وعن الهروي قال: سمعت الإمام أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر (عليهم السلام) يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة، ولا تقبلوا لهم شهادة، إنّ الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلاّ وسعها، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا تكسب كل نفس إلاّ عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى[٣].

وعن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين"[٤].

يعد حق الحرية الدعامة الأساس في منظومة حقوق الإنسان للإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، لقد شكلت الحرية الهدف الجلي للمصلحين والأنبياء. فإنّ للإمام علي (عليه السلام) اشتراكاً مباشراً ومميزاً في ترسيخ مبدأ الحرية حتى وصف عصره بانه "كان عصرا نعم فيه الناس بالحرية الواسعة الإسلامية... وأنّ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، هو واضع الأسس العميقة للحرية بعد النبي بأقواله، ومنفذ ثابت للحرية بأعماله وممارساته في أوساط الأمة". بوصفه من دعاة الحرية وتفسيره ذلك كونه (عليه السلام) قد "حرر نفسه مما تقيد به

---

(١) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج١، ص٤٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦٠.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٥، ص١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧.

ولاة زمانه من أغلال الإشادة بالحسب والنسب، وحرر نفسه، من المطمع في الملك والمال والجاه والكبر والاستعلاء، وحرر نفسه من العرف ان لم يدر في نطاق العقل السليم والحاجة الاجتماعية والشوق الإنساني الخير، وحررها من تخصيص ذويه ومحبيه بما ينفعهم دون سواهم ومن الحقد على خصومه والانتقام من مبغضيه وحرر ضميره وجسده في فكر الإمام وسلوكه أَنَّهُ يسمو بقيمة الحرية في الحياة والمجتمع، وذلك بجعلها هدفاً وغاية للرسالة الإسلامية، إذ قال (عليه السلام): "سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "أنا وعلي أبوا هذه الأمة ولحقنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادهم فإنّنا ننقذهم أن أطاعونا من النار إلى دار القرار ونلحقهم من العبودية بخيار الأحرار. ولقد سعى الإمام إلى أداء مهمة انقاذ الإنسانية من شتى قيود الاسر واغلال العبودية للاصنام الحجرية أو البشرية، إذ يقول (عليه السلام): " لقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم وأعتقكم من ربق الذل وخلق الضيم" بل إنّ الإمام يعد الإنسان الحر، بالمعطيات العلوية للحرية الإنسانية، هو قلب الأمة وعقلها ومقياس رضاها فيقول: "إياك وكل عمل ينفر عنك حراً أو يذل لك قدراً أو يجلب عليك شراً. ويجعل (عليه السلام) قيمة الحرية أعلى من قيمة الحياة نفسها إذ قال: " الموت ولا ابتذال الحرية"[(١)].

وكذلك كانت الحرية من السمات الواضحة في تجربة الإمام علي بن أبي طالب السياسية، هو سعيه (عليه السلام) الحثيث نحو ايجاد دائرة الحرية السياسية وتوسيعها وفتح سبل التعبير سواء بحرية القول والفكر والرأي أو بالعمل وتبني المواقف إزاء الاحداث السياسية. فقد كفل الإمام حق اختيار الخط السياسي لكل مواطن في اصقاع دولته وشملت هذه الحرية حتى مناوئيه على وفق رؤية كاتب معاصر تذهب إلى

(١) السعد، غسان: حقوق الإنسان عند الإمام علي، ص٢٤.

إعطاء الحرية السياسية في ظل مبدأ: "دعوهم وما اختاروا لانفسهم". وكتب في عهده للاشتر: "والزم كل منهم [المحسن والمسيئ] ما ألزم نفسه". فقد كان الإمام (عليه السلام) يفتح باب الحوار أمام الأفراد والجماعات حرصاً منه على حرية المجتمع وأسباب تطوره، بمعنى أنّه لم يعزل الحرية الفردية عن الحرية العامة في مجرى قيادته لشؤون المجتمع الإسلامي. وفي أصعب المحن التي مرت بها خلافة الإمام علي ظل تمسكه المبدئي الصارم بالحرية ورفضه الحاسم للإكراه من أي نوع كان[١].

إذ يقول (عليه السلام) في خطبة عامة للأمة بعد أن مدحه أحدهم: " وإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الفَخْرِ ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّه سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ والكِبْرِيَاءِ ورُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ البَلاَءِ فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إلى الله سُبْحَانَهُ وإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وفَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الجَبَابِرَةُ ولاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أهل البَادِرَةِ ولاَ تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ولاَ تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ولاَ التِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أو العَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ العَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أو مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ولاَ آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلاَّ أَنْ يَكْفِيَ الله مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وأَنْتُم عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إلى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى وأَعْطَانَا البَصِيرَةَ بَعْدَ العَمَى"[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٨.

(٢) الرضي: نهج البلاغة، ص٢١٧.

ففي هذا الخطاب يفتح الإمام باب حرية الرأي على مصراعيه وكذلك النقد والمحاسبة أمام جماهير الامة، بل إنّ الإمام يدعو إلى توفير الامن للمجاهرين بالحق ويجعل من تقبل الرأي الآخر دعوة لمراجعة الذات بخصوص الحاكم وتصحيح الخطأ وتغير مسيرة العمل نحو الحق والعدل. وفي مناسبة أخرى، يمجد الإمام الداعين للحق بقولهم وفعلهم، ويطالب بمعاملتهم، بأقصى سبل الاحترام كونهم المرآة الكاشفة عن مواطن الضعف في العملية السياسية[١].

ففلسفة الثورة الحسينية ومثلها وقيمها وأهدافها طلب الحرية والكرامة الإنسانية المفقودة من خلال تولي الطغاة والذين همهم إستعباد الإنسان وسلب آدميته وسحقها بالامتثال لإمرة الحاكم. فالحرية إذاً سلاح ماض لتحطيم قيم الكراهية والأحقاد، واداة ناجحة لترسيخ قيم التسامح والعفو. لأنّها تفسح المجال أمام الحقائق لتعبر عن نفسها فيكتشفها الناس بانفسهم، ولا يبقى ما يدعو للاقصاء والتهميش وترك الاعتراف، بل كثير من الأفكار والعقائد المولدة للكراهية والحقد، ستتهاوى حينما يطالها النقد العلمي الحر البناء. فالفصام الموجود بين المذاهب الإسلامية مثلاً أصله تراكمات تأريخية أعطت بعض الأحداث بعداً فكرياً وفلسفياً وعقدياً. وحولت النزاع السياسي إلى تباين عقدي وفكري وفقهي، طالما انتهى إلى التكفير والاقصاء عن الدين والحقيقة. ولو أتيح الهامش من الحرية يسمح بتناول المفردات العقدية والتأريخية، المنتجة للتعصب، بشكل حر لتبين أنّ كثيراً منها أوهام وأكاذيب وفبركات اقتضتها المصالح الايديولوجية، ولا تضح أيضاً أنّ الخلافات التأريخية لا تقتضي هذا القدر من العداء والحساسية، وإنّما ثمة خلافات سياسية واجتهادية لم تبلغ تخوم التحدي للشريعة الإسلامية. ومن ثمّ فإنّ

(١) السعد: حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام، ص١٣٩.

الكراهية لا أساس ديني أو عقدي لها[١].

فالإسلام دين العدل والحرية والسلام، قال تعالى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ } [٢] وقال تعالى: { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } [٣].

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صاداً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه[٤].

فالحرية هي قيمة كبرى في الإسلام، وفي الإسلام لا حرية لأحد في نشر الفساد أو الرذيلة أو الفتنة في المجتمع، ولا تبيح له أن يؤذي غيره، أو يعرض المجتمع للخطر، إنّ الحرية في مفهوم الإسلام لا تنفك عن الالتزام ولا تفارقها المسؤولية، بل لا حرية بلا مسؤولية، ولا مسؤولية بلا حرية،. وكم قاست مجتمعات عديدة في العصر الحديث، من الانفلات، واهدار الفضيلة، وذبحها على مذبح الشهوات، واهدار كرامة النفس والجسد الإنساني باسم الحرية..فالحرية حق للإنسان ولكنها مثل كل الحقوق، لها وظيفة اجتماعية، لا يجوز اهدارها، ولا تجاوزها، ولها ضوابطها وقيودها ومجالاتها..[٥]

---

(١) الغرباوي، ماجد: التسامح ومنابع التسامح فرض التعايش بين الأديان والثقافات، ص١٣٢.

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٤) المجلسي: بحار الانوار، ج٥، ص١٦.

(٥) الهاشمي، عبدالله، الأخلاق والآداب الإسلامية، ص٢١٨

٥- حق الشورى

هو طلب الرأي ممن هو أهل له، أو هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في العامة المتعلق بها. ويجب على الإنسان أن لا يستبد ولا يعجب برأيه، فأعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله، ويجب على المستشار أن لا يستعجل حتى يتحرى ويتحقق ثم يعطي رأيه لمن استشاره، وعليه ان يأخذ بالرأي الأصوب والأحسن ولا يميل إلى رأي آخر تعصباً منه، وأن يكون ذا دين وتقوى، وودود يحب النصيحة(١).

قال تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (٢). { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } (٣).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " المستشار مؤتمن "(٤).

عن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فإنّ في ذلك العطب(٥).

عن أمير المؤمنين الإمام عليه السلام قال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال وهو يوصيني: ياعلي ماحار من استخار، ولا ندم من استشار(٦).

---

(١) الهاشمي، عبد الله: الأخلاق الإسلامية، ص٥٨١.

(٢) سورة ال عمران، آية: ٥٩.

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٤) سنن الترمذي: كتاب الادب، باب ان المستشار مؤتمن، ح٢٨٢٢، ص١١٥.

(٥) العاملي: وسائل الشيعة،ج١٢، ص٤٢.

(٦) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٢، ص١٠٠.

وقال عليه السلام: شاور في حديثك الذين يخافون الله[١].

عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: (وأما حق المستشير، فإن حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة، وأشرت عليه بما تعلم أنّك لو كنت مكانه عملت به، وذلك ليكن منك في رحمة ولين، فإنّ اللين يونس الوحشة، وإنّ الغلظ يوحش من موضع الأنس. وإن لم يحضرك له رأي وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك، دللته عليه وأرشدته إليه، فكنت لم تأله خيراً، ولم تدخره نصحاً) [٢].

وقال (عليه السلام): (أمّا حق المشير عليك فلا تتهمه في ما يوافقك عليه من رأيه إذا شار عليك، فإنّما هي الآراء، وتصرف الناس فيها واختلافهم. فكن عليه رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه، فأما تهمته فلا تجوز لك، إذا كان عند ممن يستحق المشاورة، وحسن رأيه، ولا تدع شكره على ما بدا لك من أشخاص رأيه، وحسن وجه مشورته، فإذا وافقك حمدة الله وقبلت ذلك من أخيك بالشكر، والارصاد بالمكافاة في مثلها إن فزع إليك)[٣].

وقال (عليه السلام): إرشاد المستشير قضاء لحق النعمة[٤].

عن سليمان بن خالد قال، سمعت الإمام أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: استشر العاقل من الرجال الورع فإنَّهُ لا يأمر إلاّ بخير، وإياك والخلاف، فإنّ خلاف الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا[٥].

---

(١) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص٤٢.

(٢) الإمام زين العابدين عليه السلام، رسالة الحقوق، ص٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٤) الكليني: الكافي، ج١، ص٢٠.

(٥) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٢، ص١٠١.

وقال (عليه السلام): شاور في أمورك مما يقتضي الدين من فيه خمس خصال: عقل، وحلم، وتجربة، ونصح، وتقوى، فإنّ لم تجد فاستعمل الخمسة واعزم وتوكل على الله، فإنّ ذلك يؤديك إلى الصواب، وما كان لك من أمور الدنيا التي هي غير عائدة إلى الدين فاقضها، ولا تتفكر فيها، فإنّك إذا فعلت ذلك أصبت بركة العيش وحلاوة الطاعة، وفي المشورة تعبأ اكتساب العلم والعاقل من يستفيد منها علماً جديداً، ويستدل به على المحصول من المراد، ومثل المشورة مع أهلها مثل التفكر في خلق السموات والارض وفنائها، وهما غيبان عن العبد، لأنّه كلما قوي تفكره فيهما غاص في بحر نور المعرفة، وازداد بهما اعتباراً ويقيناً، ولا تشاور من لايصدقه عقلك، وإن كان مشهوراً بالعقل والورع وإذا شاورت من يصدقه قلبك، فلا تخالفه فيما يشير به عليك، وإن كان بخلاف مرادك، فإنّ النفس تجمح عن قبول الحق وخلافها عند الخائرين[١].

وقال (عليه السلام): إنّ المشورة لا تكون إلاّ بحدودها الأربعة فمن عرفها بحدودها وإلاّ كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها، فأولها أن يكون الذي تشاوره عاقلاً، والثاني أن يكون حراً متديناً، والثالث أن يكون صديقاً مواخياً، والرابع أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك ثم يسر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً أجهد نفسه في النصيحة، وإذا كان صديقاً مواخياً كتم سرك إذا إطلعته عليه، فإذا اطلعته على سرك فكان علمه كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة[٢].

ومن الفلاسفة: نجد (ابن سينا) يؤكد المشورة إذ وظّف الحنكة السياسية في

---

(١) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٢) العاملي: وسائل الشيعة، ج١٢، ص٤٣.

أمور الحياة كافة، منطلقاً من سياسة الرجل نفسه. ويؤكد أهمية اجتناب الشهوات عن طريق العقل أي الشهوات السيئة التي تكون فيها مفسدة، بما أنّ الإنسان لا يرى معايب نفسه من الأفضل له أن يسأل صديقاً يثق به عن مساوئه حتى يجتنبها، وإنّ فكرة اللجوء إلى إنسان واعٍ من أجل استشارته حول جوانب النقص في شخصية إنسان آخر هو نفسه من يطلب المشورة[١].

أما الغزالي فأوجب الشورى في كل ما يتعلق بشؤون الأمة[٢].

وعملية الشورى مرتبطة بمجالات الحياة الاجتماعية والسياسية جميعها، وينظر إلى الشورى ليس مجرد كونها فضيلة يتحلى بها الإنسان بشكل عام والحاكم في ممارسته السياسية بشكل خاص؛ بل هي دعامة أساس لمشروع سياسي قائم على مشاركة الشعب في ادارة شؤون الحكم إذ ترتقي لتكون " مصلحة مشتركة وسببا لتأكيد العلاقة بين وتوثيقها القيادة والأُمة كما تتجسد هذه المصلحة من طرف الأمة في تربيتها على تحمل المسؤولية والمشاركة في قضاياها واقترابها من الواقع وسعيها إلى معرفة الحقيقة والموقف الصحيح[٣].

وقد استشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه في غزوة أحد (٣هـ) بعد أن أعلن قدوم قريش للحرب فاختلفت آراؤهم بين التحصن في المدينة أو الخروج لملاقاة العدو خارجها. ولم يكن عسيراً على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يحدد الخطة مسبقاً لكنه أراد أن يشعر المسلمين بمسؤوليتهم..[٤]

---

(١) ابن سينا: كتاب السياسة، تقديم وضبط وتعليق علي محمد اسبر، ط١، ٢٠٠٧، ص٤٧.

(٢) القاضي، احمد عرفات: التربية والسياسة عند الغزالي، دار قباء، القاهرة، ص١٠٣.

(٣) السعد: حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام، ص١٨٠

(٤) لجنة التأليف: أعلام الهداية "النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم "، ص١٤١.

ج - أقسام التعصب

تنقسم العصبية إلى قسمين: مذموم وممدوح

١- التعصب المذموم

هو أن يحمي قومه أو عشيرته أو أصحابه في الظلم والباطل، أو يلج في مذهب باطل أو ملة باطلة، لكونه دينه أو دين آبائه أو عشيرته، ولا يكون طالباً للحق بل ينصر ما لا يعلم أنّه حق أو باطل، للغلبة على الخصوم، أو لاظهار تدربه في العلوم، أو اختار مذهبا ثم ظهر له خطأهُ فلا يرجع عنه لئلا ينسب إلى الجهل أو الضلال. فهذه كلها عصبية باطلة مهلكة، توجب خلع ربقة الإيمان(١).

قال تعالى: { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ } (٢).

نقلاً عن المجلسي قال الطبرسي رحمه الله: الحمية الأنفة والإنكار، يقال فلان: ذو حمية منكرة، إذا كان ذا غضب وأنفة أي حميت قلوبهم بالغضب كعادة آبائهم في الجاهلية أن لا يذعنوا لأحد ولا ينقادوا له(٣). وقد تواتر ذمه عند أهل البيت (عليهم السلام).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية(٤).

عن الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلى

---

(١) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٠، ص٣٨٣.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٦.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٠، ص٢٨٤.

(٤) الأزدي، سليمان بن الاشعث السجستاني: سنن ابي داوود، ابواب النوم، باب العصبية، ح٥١٢١ ج٢، ص٣٣٢.

الله عليه وآله): من كان في قلبه مثقال خردلة من عصبية، جعله الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية[١].

لأنّ أعراب الجاهلية كانوا يتمسكون بالتعصب لقوميتهم وعروبتهم جهلاً ووهما منهم أهم خير الأُمم، مع ما هم عليه من مثالب كعبادة الحجارة ووأد البنات ووراثة أزواج الآباء كما تورث السلعة... وعليه فالمتعصب اليوم جهالة، يعيش المنطلقات نفسها، التي كانت سائدة عند الأعراب آنذاك؛ وهذا هو الوجه في تحذير الروايات الشريفة للمسلمين ان يكونوا بمثل هذه الحال من قيم ومعاييرها الجاهلية[٢].

عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " من تعصب عصبه الله بعصابة من نار "[٣].

وقد خطب أمير المؤمنين الإمام علي بالناس الذي تسمى (بالخطبة القاصعة) وهي تتضمن ذم إبليس، عَلى استكباره، وتركه السجود لأدم (عليه السلام)، وأنّه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته. قال (عليه السلام): أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِه، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِه، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ. وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ[٤].

فالإنسان الذي ينزلق في مهاوي اثم العصبية، ويلازم سلوكياتها المنحرفة، ان كانت عن وهم وجهل، ويتناسى مبادئه وقيمه وأخلاقه، ويعيش العاطفة لوحدها

(١) القبانجي: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١٠، ص٣٠١

(٢) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٣٣٧.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، ج٧٠، ص٢٨٤.

(٤) الرضي: نهج البلاغة، ص٣٨٨.

بما تحمل من قصور عند صاحبها في فهم الحق وإدراكه، ذلك الإنسان لا بد ان ينسى دينه وعقيدته تحت وطأة العصبية تلك، ويجد نفسه رهين حالٍ غير طبيعية من حالات النفس، يترتب عليها ضعف الإيمان، ما دامت الحمية والعصبية تتحكمان فيه، مما يؤول به أخيراً إلى جهنم، التي أعدت للمجرمين؛ لأنّه يخرج من ربقة الإسلام(١).

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من تعصب أوتعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه(٢).

٢- التعصب المحمود

هو التعصب في الدين والحماية عنه، وكذا في كل أمر حق كالعلوم والمعارف الإسلامية والأعمال والسنن الدينية التي قد علم صحتها وحقيقتها، بل والحماية عن أهل الحق والدين ودعاتهما ورعاتهما، وكذا التحامي عن الأقوام وغيرهم مع العلم بحقيتهم وصدقهم. ثم إنّ مما يلازم العصبية التفاخر بما يتعصب له وحكمه حكمها(٣).

عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) أنّه قال: ان كنتم لا محالة متعصبين فتعصبوا لنصرة الحق وإغاثة الملهوف(٤). وقال (عليه السلام): فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الخِصَالِ وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا المُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ العَرَبِ وَيَعَاسِيبِ القَبَائِلِ بِالأَخْلاقِ الرَّغِيبَةِ وَالأَحْلامِ العَظِيمَةِ وَالأَخْطَارِ الجَلِيلَةِ وَالآثَارِ المَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِخِلالِ الحَمْدِ مِنَ الحِفْظِ لِلْجِوَارِ

---

(١) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٣٣٩.

(٢) الكليني: الكافي، ج٢، ص٣٠٨.

(٣) المشكيني: دروس في الأخلاق، ص٢٤٨.

(٤) المدرسي، هادي: موسوعة احاديث اهل البيت (عليهم السلام)، ج٢، ص١٨٦.

وَالوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ وَالأَخْذِ بِالفَضْلِ وَالكَفِّ عَنِ البَغْيِ وَالإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَالكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَاجْتِنَابِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ[(١)].

فمحض الحب بلا تعصب أعمى، لا إشكال فيه ولا إثم، ولاسيما إن كان قائماً على أساس المبادى والقيم مع اسقاط الاعتبارات الأُخر من لغة وعرق ولون وقومية وعشيرة وغيرها، فهنا، وهنا فقط يسلك الإنسان طريق الجنة، إذا ما ترفع عن كل ما يشينه ويشين شخصيته وكرامته وعقيدته[(٢)].

د - التسامح

إنّ التسامح استعداد نفسي، وسلوك ناتج عن هذا الاستعداد، لتفهم رأي وموقف الآخرين المغايرين لنا في الاعتقاد والتصرف، مهما كان هذا الرأي أو السلوك متنافياً مع ما نعتقده. وفي هذه الحال فإنّ الشخص المتسامح لا يقوم برد فعل لما يراه من سلوك يصدم عقيدته، ولا يعبر عن استهجانه لعقائد الآخرين، بل يتخذ موقف المتفهم الغافر، ويحتمل نتائج ذلك. والتسامح أما ان يكون دينياً، أو سياسياً..[(٣)]

ويراد بالتسامح موقفاً إيجابياً متفهماً من العقائد والافكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن الاحتراب والاقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينياً وسياسياً وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته. فالتسامح قيمة أخلاقية اختيارية، فالمتسامح، على وفق هذه الدلالة، شخص يتنازل عن حقه تكرما ومنة على الآخرين، يقابله احترام من الناس أو شعور بالمنة والعطاء، وهي

(١) الرضي: نهج البلاغة، ص٣٨٨.

(٢) العطار: محاضرات أخلاقية، ص٣٣٩.

(٣) بدوي: موسوعة الفلسفة، ج٣، ص٥٨.

حال نفسية إيجابية، إلاّ أنّ دلالة التسامح تطورت بفعل التنظير الفلسفي ليتحول إلى جزء من واجب تفرضه الحرية الشخصية التي يراد أن تكون متساوية بين الجميع. فلكل فرد حقه في الاعتقاد وحقه في التعبير عن رأيه، وليس هناك ما يبرر احتكار هذا الحق لجهة من دون أخرى. فقبول الآخر، على وفق هذا الرأي حينئذ ليس منة وإنّما واجب تفرضه الحرية الشخصية[١].

كما أنّ التسامح لا يعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تنحي المرء عن معتقداته والتهاون بشأنها، إنّما يعني أن يبقى المرء حراً في التمسك بمعتقداته وأن يتق، بل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم، والإقرار بأنّ البشر مختلفون ولهم الحق في العيش بسلام، وهو يعني ترك فرض آراء الفرد على غيره. كما أنّه لا يعني خفة الفكر وفضفاضيته أو جمود الحرية الفكرية والأدبية للعقل البشري أو الخوف من تكوين أفكار شخصية للإنسان أو الخوف من الحوار. فالتسامح إذن هو التعبير الأكثر كمالاً لحرية الإيمان والتفكير، وأنّه تأكيد لمشاعر الضمير والاحساس..[٢]

فالإسلام يرفض التعصب ويدعو للتعافي والتصالح والعلاقة القائمة على الاحترام المتبادل والمحبة والوئام والثقة، فالتسامح سجية وخلق تدفع الإنسان للتجاوز عن إساءات الآخرين، والصفح عن أخطائهم، مقابلة الاساءة بمثلها، بل باللين والعفو والتساهل وترك التعصب[٣].

قال تعالى: ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ

---

(١) الغرباوي: التسامح ومنابع التسامح، ص١٧.

(٢) الحسن، صالح: أ ب اللاعنف " رؤية إسلامية اولية في ثقافة التسامح "، ص١٧٢.

(٣) المصدر نفسه،ص١٧٨.

الظَّالِمِينَ } [١].

وقال تعالى:

{ وَسَارِعُواْ إِلى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [٢].

وقد كان أهل البيت (عليهم السلام) بما قاموا به من دور اصلاحي عظيم، وهو تعليم الناس على العطف والرحمة والعفو والمسامحة، وجعل العدو صديقاً وحبيباً، ليس لتكثير العدد وزيادة الحاشية، أو لاكمال ما قد يتصور أنّه ناقص عندهم، وإنّما هو من خصالهم الذاتية، ومن كمالهم الإنساني الرباني، وغايته الارشاد إلى الحق المتعالي " سبحانه وتعالى"[٣].

قال تعالى: { قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [٤].

وهذه الآية مكية تتعرض للمستهزئين بالوحي والرسالة، وفيها يدعو الله نبيه إلى أن يأمر المؤمنين بأن يغفر للذين لا يرجون أيام الله ! والمقصود بالتأكيد هنا الصفح والاعراض عنهم، وهذا قمة الأدب الاجتماعي، ليس عن ضعف أو خوف، بل لأنّ الخلق النبوي هذه هي هويته، فإنّ السخرية من الأفكار لا تقابل بالسخرية والتعريض أو الشتم أو الخوض، بل بالاعراض والابتعاد، ريثما تحين

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٢) سورة ال عمران، آية: ١٣٣-١٣٤.

(٣) حجازي، محمد احمد: علم الأخلاق والتربية، ص١٣١.

(٤) سورة الجاثية، آية ١٤.

فرصة العود السليم[١].

عن زرارة بن أعين، قال: سمعت الإمام أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: إنّا أهل بيت مروءتنا العفو عمن ظلمنا[٢].

عن أحمد بن عمر الحلبي، قال: قلت للإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): أي الخصال بالمرء أجمل؟ قال: وقار بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وتشاغل بغير متاع الدنيا[٣].

وقد إشتهر الإمام الحسين (عليه السلام) بتسامحه وعفوه فقد روي عنه (عليه السلام) أنّه قال: (لو شتمني رجل في هذه الاذن - وأومأ إلى اليمنى - وأعتذر لي في اليسرى لقبلت ذلك منه). وكما روي أنّ غلاماً له جنى جناية كانت توجب العقاب، فأمر بتأديبه، فانبرى العبد قائلاً: يا مولاي والكاظمين الغيظ، فقال (عليه السلام): خلو عنه، فقال: يا مولاي والعافين عن الناس، فقال (عليه السلام): قد عفوت عنك، قال: يا مولاي والله يحب المحسنين، فقال (عليه السلام): أنت حر لوجه الله[٤].

إنّ إتباع الحق يقاتلون من أجل هداية الأعداء إلى المنهج الرباني لتحكيمه في التصور وفي السلوك وفي واقع الحياة، وهم لا يقاتلون انتقاماً لذواتهم وإنّما حبّاً

(١) الشابندر، غالب حسن: الآخر في القرآن، مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد، ٢٠٠٥، ص١٤٩.

(٢) الصدوق: الامالي، ص٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦٤

(٤) السعدي، حاتم جاسم عزيز: القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص١٧١

للخير ونصراً للحق، ولذا نجدهم رحماء شفوقين حتى مع أعدائهم ليعودوا إلى رشدهم ويلتحقوا بركب الحق والخير، وقد جسد الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه أروع ملاحم الإنسانية والرحمة والتسامح، ففي طريقة إلى كربلاء التقى بأحد ألوية جيش ابن زياد وكانوا عطاشى، فأمر الإمام الحسين (عليه السلام) أتباعه بسقي الجيش وقال لهم: **(اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً)** وقد سقى الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه ابن طعان المحاربي. فهل هناك صورة أروع من ذلك تبين سعة تسامح الإمام الحسين وعفوه حتى لأعدائه وهو يعلم أنّ الأمر لو كان معكوساً لما فعلوه معهم ذلك وفعلاً هذا ما حدث في واقعة الطف[(١)].

ويرى جون لوك في رسالته في التسامح إلى المسيحيين: أنّني أنظر إلى التسامح على أنّه العلامة المميزة للكنيسة الحقة. فبعضهم يتباهى بقدم الأماكن والألقاب، أو بعظمة الطقوس، وبعضهم يزهو بصلاح ايمانه، في حين يفاخر الجميع بما يعتقدونه أنّه الإيمان الحق الذي لا يشاركهم فيه احد. هذه كلها وغيرها مما على شاكلتها إنّما هي علامات على شهوة البشر في تسلط كل منهم على الآخر أكثر مما هي علامات على حب كنيسة الله. فلنسلم بأنّ لكل فرد الحق في التوجه نحو كل هذه الأمور لكنه إذا تجرد من المحبة والتواضع وارادة الخير للبشرية بمن فيها غير المسيحيين فإنّه، في هذه الحال لا يمكن أن يكون مسيحياً حقاً[(٢)].

" فالتسامح هو فضيلة أخلاقية في النفس الإنسانية، إذ تفيض من هذه النفس الرحمة، والعفو والتواضع ".

---

(١) السعدي، حاتم جاسم عزيز: القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، ص١٧٢.

(٢) لوك، جون: رسالة في التسامح، ترجمة – منى ابو سنة، ط١، ١٩٩٧، ص١٩.

النتائج

١ - إنّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في التربية تعتمد في الأساس كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ثاني مصدر للتربية بعد القرآن الكريم باعتبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مفسراً للذكر الحكيم وأسوة حسنة يقتدى بها، وعلى الناس أن يأخذوا بأوامره وينتهوا عن نواهيه وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسان الله وبيانه، وهم رواة عن جدهم النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع العصمة عن الافتراء والخطأ. الذي نصّ عليهم وعلى إمامتهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستخلافهم لصيانة الإسلام من الانهيار والتردي والانحراف. وحملهم مسؤولية تطبيقية في بناء الإنسان وتربيته، فسجلوا في التأريخ والمجتمع الإسلامي حضوراً قيادياً فاعلاً ومؤثراً لما قاموا به من الانجازات العظيمة والاصلاحات والتغييرات الاجتماعية طوال حياتهم في الميادين الأخلاقية والتربوية والسياسية والروحية جميعها، وكل ما تحتاج إليه البشرية في مجالات الحياة كلها وبهم اكتملت الرسالة الإسلامية، فكانوا أهل البيت (عليهم السلام) أنموذجاً من أرقى نماذج الخلق الإسلامي الرفيع، فكانوا في قمة الصدق وأداء الامانة، والوفاء بالعهد، والشجاعة، والصبر، واحترام الآخرين، والاهتمام بالمسلمين وقضاء حوائجهم. ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هي المدرسة التي انفردت بأنّ لها جذوراً تمتد إلى صميم الرسالة الإسلامية، والتي تأسست بأمر من الله ورسوله، وسبقت المدارس المعاصرة كلها في نطقها بالحق وبالمؤهلات العالية والعلوم الفائقة والفضائل التربوية والأخلاقية التي لا تنتهي، وعلى الرغم من المحاولات كلها التي أرادوا القضاء على هذا المذهب بالقتل والدس والارهاب والتشويه، إلاّ أن نجد مدرسة أهل البيت

انتصرت وبقيت تؤدي دورها بنجاح وقوة كليهما إلى يومنا هذا، نتيجة ما انتجته إلى هذا اليوم من العلماء، والفلاسفة، والمتابعين الذين أخذوا يرتبطون بهذه المدرسة ويستندون إلى أفكارها وأحكامها...

٢- وكانت من الوسائل المهمة في التربية للفرد والمجتمع هي القدوة والاسوة الحسنة. فأهل البيت (عليهم السلام) هم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في الاستقامة وسعة الصدر وحسن الخلق، والمنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى، بالحكمة والموعظة الحسنة، من اجل الدفاع عن الحق والعدل.

٣- إنّ التوجيهات والخطب والمواعظ والقصص تحتاج إلى جانب العلم أسلوباً أدبياً لتكون أكثر تأثيراً في نفوس السامعين وأشد ثبوتاً في أذهانهم. فالمواعظ الجميلة والكلمات الرزينة تعيش بعد قائلها دهراً يتناقلها الناس وتؤثر في السامعين. ولقد كانت كلمات أهل البيت (عليهم السلام) كذلك فهي إلى اليوم تؤتي ثمارها.

٤- تبدأ التربية عند أهل البيت (عليهم السلام) من لحظة أختيار (الزوجة - الأم) أي إنّ للأم دوراً كبيراً ومهماً في التربية ودوراً مؤثراً في تغيير سلوك الأبناء وتعديله فهي أشد وأخطر من دور الأب أو دور سائر أفراد العائلة والمجتمع، وهكذا تنتقل بواسطة الحليب والدم أخلاق الأم وطريقة تعاملها في الحياة اليومية للطفل.

٥- إهتم الإسلام بالوراثة، وسبق النظريات الغربية في علم الوراثة بآلاف السنين، والهدف منها هو تأثيراتها الإيجابية في التكوين السليم للإنسان، والذي أوضحه من خلال الكثير من نصوصه الصريحة، فللإسلام دور كبير في تحسين النسل، وذلك بانتقاء صفات وراثية معينة والذي يعتمد إختيار الزوج، والزوجة.

لما لهم من أثر كبير على سلوك ابنائهم الذي يرثون صفاتهم الصالحة أو الطالحة.

٦- أقام أهل البيت (عليهم السلام) نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع حاجات الناس وسلوكهم، فالإسلام يسعى إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة وطيبة تتوفر فيها عناصر القيادة الرشيدة، فالأسرة لها موقع مركزي مهم وهي علاقة تأثير وتأثر، وهي أحد العوامل الأساس في بناء الكيان التربوي والبذرة الأولى في تكوين النمو الفردي، واكسابه العادات التي تبقى ملازمة له طوال حياته. فالأسرة هي المسؤولة عن نشأة أبنائها نشأة سليمة متسمة بالاتزان والابتعاد عن الإنحراف وأن تشيع الاستقرار والود والطمأنينة، وأن تبعد عن ألوان العنف والكراهية والبغض جميعها.

٧- كذلك تعتبر المدرسة هي أحد العوامل التربوية العاملة على اكتساب الفرد القيم والضبط الأخلاقي وتحقيق الشخصية المستقلة والذي يعد عاملاً مهماً جداً لنموه نمواً سليماً أو غير سليم، إذ تشترك في سلوك الطالب بما توفره من معارف وطرائق في التفكير وحل المشكلات وبناء العلاقات الاجتماعية.

٨- كما عنى أهل البيت (عليهم السلام) وبصورة بالغة في أمر البيئة الخاصة، فلاحظ أهم جوانبها المؤثرة في انفعال الفرد وإكسابه العادات والأخلاق، وهي الصداقة، فإنّها من أقوى العوامل المؤثرة على السلوك التي تنقل خلق كل واحد واتجاهاته وميوله إلى الآخر ولذلك حث الإسلام بإصرار بالغ على الاتصال بالأخيار والمتحرجين في دينهم، ومصاحبة ذوي الشرف والنبل والاستقامة، حتى يكتسب منهم حسن السلوك ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال. فللصداقة أثر بارز في حياة الإنسان وسلوكه وأخلاقه فهو مرآته التي

ينظر بها وبه يعرف.

٩- واهتم أهل البيت (عليهم السلام) بالتعليم، إذ إنّ المرء لا يتمتع بكامل طاقاته التفكيرية إلاّ إذا كان متعلماً إذ إنّ طلب العلم والسعي لتحصيل المعرفة هي أمور مفروضة على كل مسلم ومسلمة، إنّ أهمية التعليم هي أمر لا يمكن إنكاره أو غض الطرف عنه، خاصة في عالمنا المعاصر؛ إذ أصبح التعليم يتمتع بدور أكثر حيوية عن ذي قبل، فالتعليم هو أمر أساس لتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي.

١٠- كما اهتم أهل البيت (عليهم السلام) باقامة العلاقات الاجتماعية الصالحة بالدعوة إلى الإخاء والتأزر والألفة كما أنّهم (عليهم السلام) دعوا إلى نبذ الأخلاق الطالحة التي تؤدي إلى التقاطع والتدابر والتنافر والكراهية أو تؤدي إلى ارباك العلاقات، فنهوا عن الانحرافات الأخلاقية جميعها، لكي تكون الأخلاق التربوية مطابقا على المنهج الإسلامي القويم.

١١- وأكدوا أهل البيت (عليهم السلام) رابطة الأخوة الإيمانية بينه وبين سائر المؤمنين وتعميق روح الحب والاحترام، والإيثار، والتعاون، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة والود والرفق بعيداً عن المصلحة الذاتية والحقد والأنانية والكراهية.

١٢- كما اهتم أهل البيت (عليهم السلام) بالأمراض التي تصيب النفس، والتي تؤثر على سلوك الإنسان. ومعالجتها تتحقّق بمراجعة الإنسان لنفسه ويكون ذلك بالتفكر والتذكر والإيمان بالله ويوم المعاد، وكذلك بالتواضع الذي هو دليل على طهارة النفس وسلامة القلب من أمراض الكبر والعجب، ويمثل التواضع

ركناً مهماً في شخصية الإنسان المسلم وسلوكه، فالتواضع هي صفة أخلاقية يتحلى بها أهل البيت (عليهم السلام).

١٣- اهتم أهل البيت (عليهم السلام) بدعوتهم إلى التسامح، لما له من أثرٍ عظيم في محبة القلوب، ومودة النفوس وتثبيت لحمة الأخوة الذي يكون بها المجتمع مترابطاً متماسكاً قوياً. لأنّ دين الإسلام هو دين الرحمة والرأفة والتسامح واليسر، كما أنّهم (عليهم السلام) نهوا عن أنواع العصبية والتفرقة العنصرية كلها.

١٤- وكان الإسلام بعقيدته وشريعته مداً حضارياً، دعا إلى احترام الإنسان وحقوقه، ومساواة الجميع، وشدد على تحريم أنواع الاعتداء على النفس والكرامة والحرية... الخ الذي امتلأت بها حياة أهل البيت (عليهم السلام) بالالتزام وتأكيدها وتأصيلها في قولهم وعملهم، فكانت سيرة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام تطبيقاً حيّاً لما شرّعه الإسلام في هذا المجال، سواء فيما يتعلّق بحقوق الإنسان فرداً، أو ضمن المجتمع.

١٥- فكان هدف أهل البيت (عليهم السلام) وغايتهم هو اصلاح البشرية وهدايتها وقاموا بدور مهم في انقاذ هذا المجتمع من الغي والضلالة، وإخراج هذا الإنسان من ظلمات الجاهلية وهدايته إلى نور الحق والكمال، فعملوا على بناء الإنسان المسلم ذو الشخصية المتكاملة، والهدف هو الكمال الإنساني. نجد أنهم (عليهم السلام) كلامهم وسكوتهم وفعلهم ووصاياهم ورسائلهم تعبيراً عن تربية التي ترسم للمسلمين المنهج السلوكي السليم، فكانت تربيتهم هي تربية دينية ودنيوية، أي إنّ التربية التي ترى أنّ سعادة الدنيا وسيلة ولغاية أسمى وأدوم وهي الحياة الأخروية.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الابراشي، مُحَمَّد عطيه: روح التربية والتعليم، القاهره، دار احياء الكتب العربيه، ط٣، ١٩٤٤.

٣. ابراهيم، زكريا: مشكلة الحرية، مصر، د- ت.

٤. ابن خلدون: المقدمة، دار العودة، بيروت، ١٩٨١.

٥. ابن سينا: الاشارات والتنبيهات، ج ١، ج٤، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د- ت.

٦. ابن سينا: كتاب السياسة، تقديم وضبط وتعليق علي مُحَمَّد اسبر، ط١، ٢٠٠٧.

٧. ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، تحقيق - ابن الخطيب، ط١، د - ت.

٨. ابن منظور الافريقي المصري، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم: لسان العرب، المجلد (١٤)، دار صادر، بيروت، د - ت.

٩. أبو الحطب، فؤاد، ود. صادق، امال: علم النفس التربوي، ط١، ١٩٧٧.

١٠. أبو العينين، علي خليل مصطفى، واخرون " الاصول الفلسفية للتربية، ط٣، ٢٠٠٣.

١١. أبو بكر، ابن طفيل: حي بن يقظان، قدم له وعلق عليه د. البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط٣، د- ت.

١٢. أبو جادو، صالح مُحَمَّد علي، علم النفس التربوي، دار المسيرة، ط٧، ٢٠٠٩، عمان - الاردن، ص٧١.

١٣. أبو شهبه، هناء يحي: السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، بحث، جامعة اليرموك - الاردن، ٢٠٠٧.

١٤. ابوشعيرة، خالد محمد: المدخل إلى علم التربية، عمان - الاردن، ط١، ٢٠١٠.

١٥. احمد علي، رجاء: الله والعالم في فلسفة ابن سينا، التنوير، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٠.

١٦. احمد، لطفي بركات: في فلسفة التربية، القاهرة، ١٩٧٨.

١٧. أخوان الصفا وخلان الوفاء: رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج١، ج٤، دار صادر، بيروت، د- ت.

١٨. الأزدي، سليمان بن الاشعث السجستاني: سنن أبي داوود، ابواب النوم، كتاب الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د- ت.

١٩. الاستاذ الحاجي، صالح بن علي: علم الاجتماع التربية، ١٩٩٩.

٢٠. اسماعيل، عز الدين: نصوص قرانية في النفس الإنسانية، (د – ط – ت).

٢١. اصدار مركز الرسالة: الحقوق الاجتماعية في الإسلام، سلسلة المعارف الإسلامية، قم، د- ت.

٢٢. اصدار مركز نون للتاليف والترجمة: قصص القرآن، ط١، ٢٠٠٧.

٢٣. الاصفي، مُحَمَّد مهدي: العجب، ١٤١٢هـ - ١٩٩١.

٢٤. الاعرجي، زهير: نظرية التعليم في الإسلام، مؤسسة محراب الفكر والثقافة.

٢٥. الالوسي، جمال حسين: علم النفس العام، ١٩٨٨.

٢٦. الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٦، تحقيق - مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم، ط١، ١٣٧٨ - ١٩٥٩.

٢٧. الامام علي عليه السلام نهج البلاغة، ج٣، شرح الشيخ مُحَمَّد جواد مغنية، منشورات الرضا، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

٢٨. الامين، محسن: اعيان الشيعة، ج١، تحقيق حسن الامين، د- ت.

٢٩. الانصاري، لابي اسماعيل عبد الله: منازل السائرين، منشورات الرضا، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠.

٣٠. انيس، ابراهيم واخرون: المعجم الوسيط، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط٢، ١٩٧٢،

٣١. الاهوازي، الحسين بن سعيد الكوفي: المؤمن، تحقيق - مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم، ط١، ١٤٠٤.

٣٢. الاهواني، احمد فؤاد: جون ديوي، دار المعارف، ط٣، د- ت.

٣٣. آية الله المدرسي، مُحَمَّد تقي: في رحاب الإيمان، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٤. آية الله المشكيني: دروس في الأخلاق، بدون مكان الطبع والتاريخ.

٣٥. بحر العلوم، محمد: المنهج التربوي عند الإمام الكاظم، دار الزهراء، ط١، ١٩٩١.

٣٦. البحراني، عبد العظيم المهتدي: العلم والعلماء في الكتاب والسنة ' دار البيان العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٩.

٣٧. البحراني، مُحَمَّد صنقور علي: المعجم الاصولي، ج٢، منشورات نقش، مطبعة عترت، طبعة مزيدة ومنقحة، د- ت.

٣٨. البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أسماعيل: صحيح البخاري: كتاب العلم، كتاب النكاح، كتاب الفرائض، كتاب ألادب، كتاب البر والصلة، دار أبن كثير، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٩. البدري، جمال: أئمة آل البيت عليهم السلام، دار الكلمة، بغداد، ١٩٩٣.

٤٠. البدري، سمير: مصطلحات تربوية ونفسية، دار الثقافة، ط١، د- ت.

٤١. من دون مؤلف: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إصدار مركز الرسالة، ايران - قم، د- ت.

٤٢. من دون مؤلف: تربية الطفل في الإسلام، أصدار مركز الرسالة، ايران - قم، د- ت.

٤٣. من دون مؤلف: نظريات التعلم دراسة مقارنة، ج٢، ترجمة. د. علي حسين حجاج، مراجعة. د عطية محمود هنا، عالم المعرفة، ١٩٨٦.

٤٤. بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج١، ج٢، ج٣، مطبعة سليما نزاده، الناشر - ذوي القربى، قم - إيران، ط٢، ١٤٢٩.

٤٥. البرقي، احمد بن مُحَمَّد بن خالد: المحاسن، ج١، تحقيق - السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران - ايران، ١٣٧٠ - ١٣٣٠ش.

٤٦. البروفسور ميشيل، دينكن: معجم علم الاجتماع، ت. د. احسان مُحَمَّد الحسن، ١٩٨٠.

٤٧. بطرس، بطرس حافظ: تعديل وبناء سلوك الاطفال، دار المسيرة، عمان - الاردن، ط١، ٢٠١٠.

٤٨. بن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح: مكارم الأخلاق، دار الإيمان - الاسكندريه، (د – ت).

٤٩. بن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن عمر: تفسير القرآن الكريم، ج٥، دار طيبه، السعوديه - الرياض، ط٢، ١٩٩٩.

٥٠. بن مُحَمَّد التميمي المغربي، القاضي النعمان: شرح الاخبار في فضائل الأئمة الاطهار، ج١، د- ت.

٥١. بور الهمداني، علي نظامي: المعارف الرافعه في شرح الزيارة الجامعه، ط، د- ت.

٥٢. الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، كتاب البر والصلة، كتاب الاداب، كتاب الامثال، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د- ت.

٥٣. التستري، مُحَمَّد تقي: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج٨، دار أمير كبير للنشر، طهران، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٥٤. التكريتي، ناجي: الفلسفة الأخلاقية الافلاطونية عند مفكري الإسلام، دار الاندلس، بيروت، ط١، ١٩٧٩.

٥٥. التويسركاني، سيد حسين شيخ الإسلامي: هداية العلم في تنظيم غرر الحكم، ١٤٠٥هـ. ق.

٥٦. الجابري، مُحَمَّد عابد: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ط٦، بيروت، ١٩٩٤.

٥٧. الجلاد، ماجد زكي: تدريس التربية الإسلامية الاسس النظريه والاساليب العملية، ط٣، الاردن، ٢٠١١.

٥٨. الجمري، عبد الامير: تعاليم إسلامية، ط٢، بدون تاريخ.

٥٩. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله: المستدرك، ج٣، ط١، ١٣٤١هـ.

٦٠. حجازي، مُحَمَّد احمد: علم الأخلاق والتربية، دار الجوادين، ط١، ٢٠١١.

٦١. الحراني، أبو مُحَمَّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة: تحف العقول، بيروت، ١٩٦٥.

٦٢. الحراني، أبو مُحَمَّد الحسن بن علي بن الحسين: تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط٧، ٢٠٠٢.

٦٣. حسان، حسان عبد الله: الفكر التربوي الامامي، ج١، ط١، بيروت، ٢٠٠٨.

٦٤. الحسن، صالح: أب اللاعنف " رؤية إسلامية اولية في ثقافة التسامح "، د- ت.

٦٥. الحسيني الميلاني، مرتضى: قصص الابرار من بحار الانوار، الطبعة الثالثة - مزيدة ومنقّحة، د- ت.

٦٦. الحكيم، مُحَمَّد باقر: المنهاج الثقافي السياسي، ط٣، ٢٠١١.

٦٧. الحكيم، مُحَمَّد باقر: دروس في الأخوة الإيمانية، د- ت.

٦٨. الحكيم، مُحَمَّد باقر: دور أهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة، ج١وج٢، لبنان، ٢٠٠٨.

٦٩. الحكيم، مُحَمَّد باقر: علوم القرآن، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٧٠. حماده، حسين صالح: دراسات في الفلسفة اليونانية، ج١، ج٢، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٧١. حموده، مُحَمَّد يوسف: منهج التربية عند الإمام أبي العزائم، دار المدينة المنورة، القاهره، ط١، ١٩٨٩.

٧٢. الحياري، حسن احمد: معالم في الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي، دار الامل، اربد - عمان، ط١، ٢٠٠١.

٧٣. حيدر، اسد: الإمام الصادق والمذاهب الاربعة، مج١، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٤.

٧٤. الخامنائي، علي: دروس تربوية من السيرة العلوية، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

٧٥. خضر، فخري رشيد: تطور الفكر التربوي، أبو ظبي، ٢٠٠١.

٧٦. الخليلي، محمد: طب الإمام الصادق، ط٢، ١٣٨٣.

٧٧. الخميني، روح الله الموسوي: الأربعون حديثاً، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ٢٠١١.

٧٨. خواجه، احمد: الاداب التعاملية في فكر الإمام الغزالي، ط١، ١٩٨٦.

٧٩. د. أبو سنة، عبد الفتاح: علوم القرآن، دار الشروق، ط١، ١٩٩٥

٨٠. دستغيب، عبد الحسين: الذنوب الكبيرة، ج ٢، ترجمة - صدر الدين القبانجي، الدار الإسلامية، ط٤، ٢٠٠٦.

٨١. الديلمي، حسن بن أبي الحسن: ارشاد القلوب، ج١، تحقيق - السيد هاشم الميلاني، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٤ هـ. ق

٨٢. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط١، ١٩٨٨.

٨٣. ذهيبات، عباس: التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت، مطبعة ستارة، مركز الرسالة، قم، د- ت.

٨٤. الراوي، عبد الستار عز الدين: فلسفة العقل، بغداد، ١٩٨٤.

٨٥. رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، د- ت.

٨٦. رسل، برتراند: التربية والنظام الاجتماعي، ت. سمير عبده، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٧٨.

٨٧. الرضي، الشريف: نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، قم المقدسة ايران، ط١، ١٤١٩.

٨٨. رمزي، اسحق: علم النفس الفردي اصوله وتطبيقاته، دار المعارف، مصر ١٩٤٢.

٨٩. روبير، رونيه: التربيه العامه، ت. د. عبد الله عبد الدايم، بيروت، ط١، ١٩٦٧.

٩٠. الريشهري، محمد: موسوعة الإمام الحسين، م١، دار الحديث، قم المقدسة، ط٢، ١٣٩١.

٩١. الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، ج١، ج٣، دار الحديث، ط١، (د – ت).

٩٢. الزعبي، احمد محمد: النمو الإنساني في الطفولة والمراهقة، ط١، ٢٠٠٧، دمشق - سورية.

٩٣. زغلول، عماد عبد الرحيم واخرون: مدخل إلى علم النفس، دار الكتاب، العين - الامارات، ط٢، ٢٠٠٤.

٩٤. زغلول، عماد عبد الرحيم: مبادئ علم النفس التربوي، دار المسيرة، عمان - الاردن، ط٢، ٢٠١٠.

٩٥. زهد، عصام العبد: القدوة الصالحة واثرها على الفرد والمجتمع، ٢٠١٠.

٩٦. زهران، حامد عبد السلام: علم نفس النمو، ط٤، القاهرة، ١٩٧٧.

٩٧. زين الدين، مُحَمَّد امين: الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ط٢، ١٩٧٨.

٩٨. السامرائي، هاشم جاسم: المدخل في علم النفس، بغداد، ١٩٨٨.

٩٩. الساموك، سعدون محمود وآخرون: تقويم تعليم التربيه الإسلامية، دار وائل، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٥،

١٠٠. الساموك، سعدون محمود: الاساليب التعليمية للتربية الإسلامية، دار وائل، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٥.

١٠١. الساموك، سعدون محمود: تدريس التربية الإسلامية، دار وائل، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٥.

١٠٢. السبحاني، جعفر: الأمثال في القرآن الكريم، دار الأضواء بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٠٣. السبحاني، جعفر: السيرة المحمدية دراسة تحليلية للسيرة المحمدية على ضوء الكتاب والسنة، تعريب: د. يوسف جعفر سعادة - الشيخ جعفر الهادي، د- ت.

١٠٤. السبحاني، جعفر: سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من المهد إلى اللحد، (د – ت).

١٠٥. السرجاني، راغب: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، (د – ت).

١٠٦. السعد، غسان: حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام" رؤية علمية "، ط٢، بغداد، ٢٠٠٨.

١٠٧. سلامه، عبد الله: اضواء تربوية لمعلم التربية الإسلامية، ط٢، ٢٠١١.

١٠٨. سلوم، طاهر عبد الكريم، ود. جمل، مُحَمَّد جهاد: التربية الأخلاقية " القيم مناهجها وطرائق تدريسها، دار الكتاب الجامعي، العين - الامارات، ط١، ٢٠٠٩.

١٠٩. سليم، مُحَمَّد بهائي: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨.

١١٠. سماره، نواف احمد. ود. العديلي، عبد السلام موسى: مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية، دار المسرة، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٨.

١١١. السنجري، طالب: ادب الحكم والامثال، مؤسّسة الطبع التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ. ق - ١٣٨٠ش.

١١٢. السهروردي، للإمام العرف شهاب الدين أبي حفص: عوارف المعارف، ج٢، تحقيق: د. عبد الحليم محمود. ود. محمود بن الشريف، دار المعارف، د- ت.
١١٣. السيد الحيدري، كمال: التربية الروحيه، دار فراقد، ط٢٠، ٢٠١٢.
١١٤. السيد علي، غيضان: الفلسفة الطبيعية والالهية: النفس والعقل عند ابن باجة وابن رشد، دار التنوير، ٢٠٠٩.
١١٥. السيد، رضوان واخرون: التسامح وجذور اللاتسامح، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠٠٥.
١١٦. السيروان، الشيخ عبد العزيز عز الدين: الطب الروحاني " تهذيب الأخلاق "، دار الانوار بيروت، ط١، ١٩٩٣.
١١٧. الشابندر، غالب حسن: الآخر في القرآن، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، ٢٠٠٥.
١١٨. الشاكري، الشيخ حسين: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ج١٢، قم المقدسة، ط١، ١٤١٨هـ.
١١٩. الشاكري، حسين: الكبائر، مطبعة ستارة، ط٥ (منقحه)، ١٤١٨هـ.
١٢٠. شبر، عبد الله: الأخلاق، دققه- جواد شبر، ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٢٧هـ
١٢١. الشرقاوي، حسن: معجم الفاظ الصوفية، مؤسسة المختار - القاهرة، ط١، ١٩٨٧
١٢٢. الشرقاوي، حسن: نحو تربية إسلامية، ١٩٨٣.
١٢٣. شريعتمداري، علي: التربية والتعليم في الإسلام، ١٩٨٥.
١٢٤. شمس الدين، عبد الامير: الفكر التربوي عند ابن خلدون، دار الكتاب العالمي، ط١، ١٩٩١.
١٢٥. الشيخ الخزرجي، صفاء: الفقه والمنهج الموسوعي، مجلة فقه أهل البيت، العدد٣، قم المقدسة، ١٩٩٦.
١٢٦. الشيخ الصدوق: الأمالي، تحقيق - قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم - ايران، ط١، ١٤١٧هـ.
١٢٧. الشيخ القرشي، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام، أصدار مكتبة الإمام الحسن عليه السلام، النجف الاشرف، ط١، د- ت.
١٢٨. الشيرازي، مُحَمَّد الحسيني: الأخوة الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٤.
١٢٩. الشيرازي، مكارم: امثال القرآن، إعداد وتدوين. أبو القاسم عليان نزادي، تعريب تحسين البدري، قم - ايران، ط١، ١٤٢٤.
١٣٠. الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، ج١، ج٢، أعداد المؤسسة الإسلامية، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام، قم - أيران، ط٢، ١٤٢٦هـ.
١٣١. الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين، قم، ١٤١٨هـ.
١٣٢. الصدر، حسين: الدين وتهذيب السلوك، (د – ت – ط).
١٣٣. الصدر، مُحَمَّد مهدي: أخلاق أهل البيت (عليهم السلام).
١٣٤. الصدر، محمد: فقه الأخلاق، ج١، تحقيق الشيخ كاظم العبادي الناصري، دار البصائر، بيروت، ٢٠١٠.
١٣٥. الصغير، مُحَمَّد حسين علي: الإمام علي قيادته وسيرته في ضوء المنهج التحليلي، مؤسسة العارف للمطبوعات، د- ت.
١٣٦. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج١، ج٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ١٩٨٢ م.
١٣٧. الطباطبائي، مُحَمَّد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ج٨، ج١٠، ج١٣، ج١٤، ج١٦، ج١٩، ج٢٠. دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٨٩هـ ق.
١٣٨. الطبرسي، أبو الفضل علي: مشكاة الانوار في غرر الاخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، قم دار الحديث، ١٤١٨.
١٣٩. الطبرسي، الشيخ الجليل رضي الدين أبو نصر الحسن بن فضل: مكارم الأخلاق، مكتبة الالفين، الكويت، د-ت.

١٤٠. الطبرسي، أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، ج٢، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستارة - قم، ط١، ١٤١٧.

١٤١. طراد، حسن: من وحي الإسلام، ج١، ج٢، دار الزهراء، ١٩٩٦.

١٤٢. العاملي، مُحَمَّد بن الحسن الحر: وسائل الشيعة، ج ١، ج١٢، ج ١٥، ج١٦، ج١٧، ج ٢٠، ج٢١، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٤٣. عبد الخالق، احمد: علم النفس العام، القاهرة، د- ت.

١٤٤. عبد العال، حسن ابراهيم: مقدمة في فلسفة التربية، دار عالم الكتب، ١٩٨٥.

١٤٥. عبد اللطيف، محمود: الفكر التربوي عند ابن سينا، دمشق، ٢٠٠٩.

١٤٦. العبد، عبد اللطيف محمد: في فكر اخوان الصفا، القاهرة، ١٩٧٦.

١٤٧. عبود، شلتاغ: قضايا إسلامية معاصرة " في السيرة والأدب النبوي الشريف "، دار الهادي، لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

١٤٨. العبيدي، مُحَمَّد جاسم: علم النفس التربوي، عمان - الاردن، ط١، دار الثقافة، ٢٠٠٩.

١٤٩. عجاج، سيد احمد: علم نفس النمو، ٢٠٠٨.

١٥٠. العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، إصدار مركز الرسالة، قم، د- ت.

١٥١. عرقسوسي، مُحَمَّد خير حسن: ابن سينا والنفس الإنسانية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٢، .

١٥٢. عزام: محفوظ علي: الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار الهداية بيروت، ط١، ١٩٨٦.

١٥٣. العسقلاني، احمد بن علي بن حجر: فتح البارئ شرح صحيح البخاري: كتاب المناقب، د- ت.

١٥٤. العطار، مهدي: محاضرات أخلاقية، المركز الثقافي للنشر، بيروت، ٢٠٠٣

١٥٥. العقاد، عباس محمود: الإنسان في القرآن، دار الإسلام، القاهرة، د- ت.

١٥٦. عقيل، محسن: الدرر واللالئ من مجالس الأمالي (الصدوق، المفيد، الطوسي) ، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٤.

١٥٧. علم الهدى، جميله: النظريه الإسلاميه في التربية والتعليم، ج١، ط١، بيروت، ٢٠١١.

١٥٨. علي، سعيد اسماعيل: أصول التربية العامة، دار المسيرة، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٧.

١٥٩. علي، سعيد اسماعيل: التربية في الحضارة اليونانية، القاهرة، ١٩٩٥.

١٦٠. علي، سعيد اسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة، (د – ت – ط).

١٦١. العمايرة، مُحَمَّد حسن: أصول التربية، دارالميسرة، عمان- الاردن، ط٥، ٢٠٠٨.

١٦٢. العمايره، مُحَمَّد حسن: أصول التربية، دار المسرة، عمان- الاردن، ط٥، ٢٠٠٨.

١٦٣. العمري، ابراهيم: السلوك الإنساني، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٩.

١٦٤. الغرباوي، ماجد: التسامح ومنابع التسامح فرص التعايش بين الاديان والثقافات، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، ط١، ٢٠٠٦.

١٦٥. الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١، ج٣، ج٤، مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا " سمارغ "، القاهرة، د- ت.

١٦٦. الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٥، دار الافاق العربية، تحقيق د. مُحَمَّد محمد تامر، ط١، ٢٠٠٤.

١٦٧. الغزالي: أيها الولد، تحقيق علي محي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية، ط٤، ٢٠١٠.

١٦٨. الغزالي: ايها الولد، تقديم وتحقيق جميل ابراهيم حبيب، ١٠٥٨- ١١١١م.

١٦٩. الفارابي: اراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، تحقيق - د. البير نصرى نادر المطبعة الكاثوليكيه - بيروت، ط١، ١٩٥٩.

١٧٠. الفارابي: التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق د. جعفر آل ياسين، دار المناهل، بيروت، ١٩٨٥.

١٧١. الفارابي: تحصيل السعادة، تحقيق جعفر آل ياسين، د- ت.

١٧٢. الفارابي: فصوص الحكم، تحقيق الشيخ مُحَمَّد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٦.

١٧٣. فرحان، مُحَمَّد جلوب: دراسات في فلسفة التربية، جامعة الموصل، ١٩٨٩، .

١٧٤. فرهاديان، مُحَمَّد رضا: أسس التربية والتعليم في القرآن والحديث، تعريب - سيد علي اشرف، قم، مكتب الاعلام الإسلامي، ط١، ١٩٩٥.

١٧٥. فلسفي، مُحَمَّد تقي: الطفل بين الوراثة والتربية، ج١، ج٢، تعريب فاضل الحسيني الميلاني، د- ت.

١٧٦. الفورتيه، احمد جهان: القرآن أصل التربية وعلم النفس، دار الملتقى، ليماسول - قبرص، ط١، ١٩٩٤.

١٧٧. الفيروز ابادي، لمجد الدين: القاموس المحيط، ج٤، مصر، د- ت.

١٧٨. فيليب هـ. فينكس: فلسفة التربية، ترجمة- د. مُحَمَّد لبيب النجيحي، القاهرة، د- ت.

١٧٩. القاضي، احمد عرفات: التربية والسياسة عند الغزالي، دار قباء ' القاهرة، د- ت.

١٨٠. القاضي، خالد محمد: مولد امة، ١٩٩٤.

١٨١. القائمي، علي: تربية الطفل دينيا وأخلاقياً، ترجمة البيان للترجمة، إصدار مكتبة فخراوي، البحرين - المنامة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٨٢. القبانجي، حسن: علي عليه السلام والاسس التربوية، تحقيق: هاشم الميلاني، مطبعة الهادي، ط١، د- ت.

١٨٣. القبانجي، حسن: مسند الإمام علي عليه السلام، ج١، ج٤، ج٩، ج١٠، تحقيق: طاهر السلامي الشيخ، د- ت.

١٨٤. القرني، عائض بن عبد الله: مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم كانك تراه، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢.

١٨٥. القزويني، الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد: سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، كتاب الرهون تحقيق - مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، د- ت.

١٨٦. قطب، محمد: مناهج التربية الإسلامية، ج١، دار الشروق، القاهرة، ط١٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣.

١٨٧. القمي، عباس: خمسون درسا في الأخلاق، تحقيق: نزار الحسن، مكتبة الامين الكويت، ط١، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ.

١٨٨. قنيتي، حامد صادق: الكون والإنسان في التصور الإسلامي، ط١، ١٩٨٠،

١٨٩. القيسي، نايف: العجم التربوي وعلم النفس، ط١، عمان - الاردن، ٢٠٠٦.

١٩٠. كارليل، توماس: مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم المثل الاعلى، ترجمة - عربه مُحَمَّد السباعي، القاهرة، ١٩٩٣.

١٩١. الكاشاني، الفيض: الحقايق في محاسن الأخلاق، تحقيق - الحاج محسن عقيل، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، د- ت.

١٩٢. الكاشاني، مُحَمَّد محسن الفيض: العرفان والسلوك عند أهل البيت عليهم السلام، الشارح - مير جلال الدين المحدث الارمودي، دار الصفوة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١.

١٩٣. كانت، عمانويل: التربية، ت. د. عبد الرحمن القيسي، دار الكتب، ١٩٩٨

١٩٤. كرم، يوسف: تأريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٧.

١٩٥. الكعبي، علي موسى: سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، أصدار مركز الرسالة، د- ت.

١٩٦. الكعبي، علي موسى: معالم الاصلاح عند أهل البيت عليهم السلام، مركز الرسالة، مطبعة ستارة، قم، د-ت.

١٩٧. الكليني، مُحَمَّد بن يعقوب: الكافي، ج١، ج٢، ج٣، ج٤، ج٥، ج٨، تحقيق علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران - ايران، ١٣٦٣ش.

١٩٨. كوافحه، تيسير مفلح: علم النفس التربوي، دار المسيرة، عمان - الاردن، ط٢، ٢٠٠٧.

١٩٩. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الباقر)، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠٠. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الحسن العسكري) قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠١. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الحسن المجتبى) ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠٢. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام الحسين) ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠٣. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام جعفر بن مُحَمَّد " الصادق) ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠٤. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام علي الهادي)، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ

٢٠٥. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام مُحَمَّد الجواد) ، ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠٦. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام موسى بن جعفر الكاظم) ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠٧. لجنة التأليف: أعلام الهداية (فاطمة الزهراء) ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٠٨. لجنة التأليف: أعلام الهداية (محمد المصطفى)، أصدار المجمع العالمي لاهل البيت، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧.

٢٠٩. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الإمام علي بن أبي طالب)، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢١٠. لجنة التأليف: أعلام الهداية (الامام علي بن موسى الرضا) ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢١١. لجنة التأليف: معجم علم النفس والتربية، ج١، ١٩٨٤، .

٢١٢. لوك، جون: رسالة في التسامح، ترجمة - منى أبو سنة، ط١، ١٩٩٧.

٢١٣. مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨.

٢١٤. مبارك، زكي: التصوف الإسلامي في الإدب والأخلاق، (د – ط – ت).

٢١٥. متياس، ميشيل: هيجل والديمقراطيه، ترجمة. أ. د امام عبد الفتاح امام، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٠.

٢١٦. المجلسي، مُحَمَّد باقر: بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، ج١، ج٢، ج٣ ج٤، ج٥، ج٧، ج١٦، ج٢٤، ج٢٥، ج٣٠، ج٤٠، ج٤١، ج٤٣، ج٤٤، ج٦٣، ج٦٦، ج٦٧، ج٦٨، ج٦٩، ج٧٠، ج٧١، ج٧٢، ج٧٤، ج٧٥، ج٨٠، ج ١٠١، مؤسسة الوفاء دار أحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢١٧. المجلسي، مُحَمَّد باقر: عين الحياة، ج١ وج٢، تعريب وتحقيق - السيد هاشم الميلاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ

٢١٨. محافظه، سامح واخرون: التربية العملية رؤى مستقبليه، ج١، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٩.

٢١٩. محمد، حسن نجيب: محاضرات أخلاقية، مطبعة الاميرة، لبنان، ٢٠١١.

٢٢٠. محمد، عبد الزهراء عثمان: فاطمة بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، (د – ط – ت).

٢٢١. محمود، عبد الحليم: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دار الكتاب، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٥.

٢٢٢. محمود، عبد الحليم: القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، دار المعارف، القاهره، ط٣، د- ت.

٢٢٣. المدرسي، هادي: موسوعة الإمام علي في الأخلاق، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

٢٢٤. مدكور، ابراهيم: المعجم الفلسفي، القاهره، ١٩٨٣.

٢٢٥. مرسي، مُحَمَّد عبد العليم: الاصول الإسلامية للتربية، ج١، ٢٠٠٠م.

٢٢٦. مرسي، مُحَمَّد منير: تأريخ التربية في الشرق والغرب، القاهره، ١٩٧٧.

٢٢٧. مرسي، مُحَمَّد منير: فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، ١٩٩٥.

٢٢٨. مركز نون للتأليف والترجمة: قصص القرآن: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، ٢٠٠٧.
٢٢٩. المسعودي، مُحَمَّد فاضل: الأسرار الفاطمية، قم المقدسة، ١٤١٩هـ.
٢٣٠. مصطفى، ابراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء، الاسكندرية، ٢٠٠١.
٢٣١. مطهري، مرتضى: التربية والتعليم في الإسلام، ترجمة - علي الهاشمي، دار الهادي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥.
٢٣٢. المظاهري، الشيخ حسين: دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية، دار التعارف، د- ت.
٢٣٣. المظفر، مُحَمَّد الحسين: الإمام جعفر بن مُحَمَّد الصادق، ج١، د- ت.
٢٣٤. معن، حسين: نظرات حول الاعداد الروحي، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط٢، ١٩٩٢.
٢٣٥. المفيد: الامالي، تحقيق حسين ولي، علي اكبر الغفاري، ط٢، ١٤١٤-١٩٩٣.
٢٣٦. مكرم، عبد العال سالم: أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، ط١، ١٩٨٨، ص٧٩.
٢٣٧. مهران، مُحَمَّد بيومي: في رحاب النبي واله، ط٢، د- ت.
٢٣٨. الموسوي، السيد هاشم: التعريف بمدرسة أهل البيت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٧.
٢٣٩. الميلاني: فاضل الحسيني: فاطمة الزهراء (أم أبيها)، مؤسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط٦، ١٩٩٢.
٢٤٠. النراقي، مُحَمَّد مهدي: جامع السعادات، ج١، ج٢، ج٣، دار الاميرة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٤١. النسائي، أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي، دار السلام، الرياض، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٤٢. نصير، امنه محمد: إنسانية الإنسان في الإسلام، دار الشروق، ط١، ١٩٨٩.
٢٤٣. النقيب، عبد الرحمن: فلسفة التربية عند ابن سينا، القاهره، ١٩٨٤.
٢٤٤. النوري، الميرزا: خاتمة المستدرك، ج٣، مطبعة ستارة - قم، مؤسسة أل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٤٥. النوري، الميرزا: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج١٠.
٢٤٦. نوفل، عبد الرزاق: المسلمون والعلم الحديث، دار الشروق، ط١، ١٩٨٨.
٢٤٧. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم: كتاب العلم، دار أحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان، ١٩٩٦.
٢٤٨. النيسابوريين، أبو عتاب عبد الله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام: طب الأئمة، منشورات الرضى، قم، ط٢، ١٣٦٣.
٢٤٩. الهاشمي، عبد الله: الأخلاق والاداب الاجتماعية، دار الأضواء، ط١، ٢٠١١.
٢٥٠. الهواري، صلاح الدين: المعجم الوسيط المدرسي، دار البحار، بيروت - لبنان، ٢٠١٠.
٢٥١. وافي، علي عبد الواحد: الأسرة والمجتمع، دار أجياء، ١٩٤٥.
٢٥٢. يالجن، مقداد: دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٨٣.
٢٥٣. اليعقوبي، محمد: دور الأئمة في الحياة الإسلامية، (د – ط – ت).
٢٥٤. يماني، مُحَمَّد عبده: علموا اولادكم محبة آل البيت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، د- ت.

الرسائل الجامعية

٢٥٥. بني عواد، عبد المنعم حسن محسن: أصول الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي وابن رشد وابن خلدون دراسة تحليلية مقارنة مع الفكر التربوي الحديث، اطروحة دكتوراه في فلسفة التربية، عمان، ٢٠٠٧.

٢٥٦. الجزائري، علي فاخر محسن: رسالة الحقوق للإمام السجاد والاعلان العالمي لحقوق الإنسان دراسة تربوية مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، ٢٠١٠.

٢٥٧. الزهيري، عبد الكريم محسن: الفكر التربوي في العراق خلال القرن آل ٢٠، اطروحة دكتوراه، اشراف ا. م. د مقداد الدباغ، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.

٢٥٨. السعدي، حاتم جاسم عزيز: القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

٢٥٩. طاهر، علي هادي: المعرفة والتربية والتعليم عند اخوان الصفا، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٢٦٠. عبد جاسم، منتهى: جدلية العلاقة بين السياسة والتربية عند مُحَمَّد عبده، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.

٢٦١. العتوم، اديب شبلي عقله: نحو فلسفة تربوية للتعليم العالي، اطروحة دكتوراه، اشراف أ. د عبد الله حسن الموسوي، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

٢٦٢. العويضات، فاطمه حسن عوده: المدلولات التربوية النبوية القياسية، رسالة ماجستير، فلسطين، ٢٠١١.

٢٦٣. الموسوي، عباس نوح سليمان محمد: السلوك الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالذات والامن النفسي عند طلبة الموصل، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠٠٧.

٢٦٤. يوسف، زينب بشارة: أساليب التربية في القرآن، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٢هـ.

المحتويات

المدخل العام

الفصل الاول: أقسام التربية

الفصل الثاني

السلوك الإنساني وأثر التربية فيه

الفصل الثالث

مدرسة آل البيت عليهم السلام في التربية

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي

١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ - ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير

٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي ﷺ وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي

٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) — الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi'a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي

٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام – ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار – جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر – ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر

١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	موسوعة في ظلال شهداء الطف	الشيخ حيدر الصمياني
١٢٢	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	A Concise Knowledge Of The Prophetic Life History	السيد نبيل الحسني
١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم
١٣٤	ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار	تحقيق: عقيل عبدالحسن
١٣٥	المنهج السياسي لأهل البيت عليهم السلام	السيد عبدالستار الجابري
١٣٦	هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل	عبدالله حسين الفهد
١٣٧	فلان وفلانة	عبدالرحمن العقيلي
١٣٨	معجم نواصب المحدثين	عبدالرحمن العقيلي
١٣٩	استنطاق آية الغار	السيد نبيل الحسني
١٤٠	دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية	السيد نبيل الحسني
١٤١	أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار	السيد محمد علي الحلو

١٤٢	منهاج السنة المحمدية في الرد على منهاج ابن تيمية	عبدالرحمن العقيلي
١٤٣	قواعد حياتية على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٤٤	المُثُل العليا في تراث أهل البيت عليهم السلام	د. محمدحسين الصغير
١٤٥	خاصف النعل	الشيخ ماجد العطية
١٤٦	الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٧	الإمام حسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٨	أصول وقواعد تفسير الموضوعي	الشيخ مازن التميمي
١٤٩	بحوث لفظية قرآنية	عبد الرحمن العقيلي
١٥٠	مستدرك الكافي	د. علي عبد الزهرة الفحام
١٥١	الإفصاح عن المتواري من أحاديث المسانيد والسنن والصحاح - جزئين	الحاج محسن الخياط
١٥٢	آمنة بنت الحسين عليهما السلام	السيد محمد علي الحلو
١٥٣	أمهات الأئمة المعصومين - جزئين	د. السيد حسين الصافي
١٥٤	قراءة في السيرة الفاطمية	كفاح الحداد
١٥٥	الإيمان والعلم الحديث	محمد حسين الاديب
١٥٦	موسوعة آثار السيد المقرم	السيد عبد الرزاق المقرم
١٥٧	الأمن في القرآن والسنة	الشيخ خالد النعماني
١٥٨	شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى	سالم لذيذ والي الغزي
١٥٩	الوعي الإسلامي	الشهيد السيد حسن الشيرازي
١٦٠	الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي	محمد باقر موسى جعفر
١٦١	الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين عليه السلام	الشيخ حيدر الصمياني
١٦٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٦٣	التلقّي للصّحيفة السّجّاديّة	د. حيدر محمود الجديع
١٦٤	التقية عند مفكري المسلمين	كاظم حسن جاسم الفتلاوي
١٦٥	الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام	عبد الحسين راشد معارج
١٦٦	آيات عتاب الأنبياء في القرآن الكريم	زين العابدين عبدعلي الكعبي

١٦٧	سعيد بن جبير - شيخ التابعين وإمام القراء	سلام محمد علي البياتي
١٦٩	تحولات المكان الحسيني في الشعر العراقي (١٩٩٠-٢٠١٠)	شذى عبدالكاظم الحلي
١٨٧	أصحاب المهدي (عجل الله فرجه) صفاتهم و مقاماتهم	عرفان محمود
١٨٨	الإفادة بطرق حديث «النظر إلى علي عبادة»	جمال الدين عبدالعزيز المغربيّ
١٨٩	حب الوطن، قيمة أخلاقية عليا على ضوء أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٩٠	خصوصية الوسيلة الحسينية في الهداية والسلوك الى الله	عرفان محمود
١٩١	دور أهل البيت عليهم السلام في تصحيح الفكر والعقيدة	الدكتور علي موسى الكعبي
١٩٢	شرح بعض فقرات دعاء كميل	الشيخ وسام البلداوي
١٩٣	صحبة الرسول صلى الله عليه وآله بين المنقول والمعقول	محمد علي النجفي
١٩٤	جغرافية كربلاء القديمة وبقاعها	الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار آل طعمة
١٩٥	زبدة البيان في علوم ومناهج القرآن	الشيخ علاء المالكي
١٩٦	التربية عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) دراسة فلسفية	مها نادر عبد محسن الغرابي
١٩٧	تاريخ الفقه الامامي (من النشوء إلى القرن الثامن الهجري)	مرتضى جواد المدوّح
١٩٨	الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول - قراءة جديدة وإعادة تقويم	مريم رزوقي وليد
١٩٩	الإمام محمد الجواد عليه السلام وآراؤه في التفسير والرواية	كريم مجيد ياسين الكعبي
٢٠٠	خطب سيدات البيت النبوي (عليهنّ السلام) حتى نهاية القرن الأول الهجري	زينب عبد الله كاظم الموسوي
٢٠١	هاشم بن عبد مناف، دراسة في سيرته الشخصية	رياض رحيم حسين الصفراني
٢٠٢	الافتراءات على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم	رياض رحيم حسين الصفراني
٢٠٣	الحياة السّياسية والاجتماعية لفاطمة الزهراء عليها السلام	محمد اسماعيل
٢٠٤	غضب فاطمة عليها السلام غضب الله جل جلاله	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٥	فاطمة الزهراء عليها السلام ثمرة الجنة	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٦	فاطمة الزهراء عليها السلام في نظر أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي

٢٠٧	فَاطمةُ عليها السلام وَسِيْلَةُ السُّرُوْرِ وَكَشْفِ الهَمِّ	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٨	قبسات فاطمية	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٩	بركة تسبيح فاطمة عليها السلام وآثاره	الشيخ علي الفتلاوي
٢١٢	منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة	السيد عبد الله الحسيني